

ابراهيم ناجي

الأعمال الشعرية المختارة



تحقيق ودراسة
حسين قاضي



الأعمال الشعرية المختارة

إبراهيم ناجي

تحقيق ودراسة

حسن توفيق

الأعمال الشعرية المختارة - شعر

إبراهيم ناجي

تحقيق ودراسة حسن توفيق

الطبعة العربية الأولى - يناير ٢٠٠٣

حقوق الطبع محفوظة

الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث

إدارة الثقافة والفنون

قسم الدراسات والبحوث

ت: ٤٨٥٩٨٨٨ - ٩٧٤

فاكس: ٤٨٣.١٢٥ - ٩٧٤

الدوحة - دولة قطر - ص.ب (٣٣٣٢)

تصميم الغلاف: الفنان عماد برقلاوي

پورتريه ناجي: الفنان جمال قطب

التنفيذ الطباعي: مطابع الدوحة الحديثة

لايسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه

في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون

إنداز خطي مسبق من الناشر والمحقق

إبراهيم ناجي

الأعمال الشعرية المختارة

تحقيق ودراسة

حسن توفيق

المجلس الوطني للثقافة

والفنون والتراث



بعدهما أصبحتُ بالدنيا عليماً
ويعيد الطفلَ والجهلَ القديماً
من «وراء القمام»

كل شيء صار مُراً في فمي
آه من يأخذ عمري كله

فيه نبلٌ وجلالٌ وحياءٌ
ظالمُ الحسنِ شهىُ الكبرياءِ
من «ليالي القاهرة»

أين من عيني حبيبٌ ساحرٌ
واثقُ الخطوةِ يمشي ملكاً

جمعَ الأفراح طراً من شتاتِ
كلِّ أعمارِ الورىِ مجتمعاتِ
من «الطائر الجريح»

إن يوماً واحداً أسعدني
وهو عمرٌ كاملٌ عشتُ به

وإن كان في مقلتيك الردى
أقول لقلبي انتظرها غداً
من «قصائد مجهولة»

حبيبة قلبي حياتي الفداً
إذا مرُّ يومى بلا ملتقى



قبل أن أبدأ.. وقبل أن أقرأ..

* دائما أبدأ بالحب الذي يدفعني دفعا إلى العمل.. الحب هنا يرتبط بشاعر من أرق وأجمل شعرائنا العرب.. كنت ما أزال طالبا بالمرحلة الثانوية عندما سحرني شاعر الحب الرقيق والكبير الدكتور إبراهيم ناجي.. أحببت قصائده العاطفية من كل قلبي، لدرجة أنني حفظت معظمها إن لم يكن كلها، وما تزال ذاكرتي إلى اليوم، وعلى الرغم من عواصف الزمان وشواغل الحياة، تحتفظ بكثير من هذه القصائد الساحرة.

* يبدو أننا نعشق «الثنائيات» في حياتنا الأدبية والفنية، حيث نتذكر حافظ إبراهيم بمجرد أن نتحدث عن «أمير الشعراء»، أحمد شوقي، ونتذكر ميخائيل نعيمة بمجرد أن نذكر جبران خليل جبران، وإذا كنا حين نتحدث عن كوكب الشرق أم كلثوم، فإننا - في الغالب - لا نذكر مطربة قبلها ولا بعدها، إلا أننا - أحيانا - نستدعي اسمها حين نتحدث عن

ام كلثوم، ومن شعراء جماعة ابولو فإننا حين نتذكر
إبراهيم ناجي، نتذكر معه علي محمود طه، وأعترف هنا
بأنني كنت وما زلت منحازاً لناجي، على حساب صديقه
ومنافسه في زمانهما علي محمود طه، كما أن ناجي لم يفادر
قلبي، حتى بعد أن أحببت بعده شاعرين كبيرين من رواد
حركة الشعر الحر في أمتنا العربية، وهما بدر شاكر السياب
وصلاح عبدالصبور.

* دفعني الحب لشاعر الحب، لأن أكتب عنه - على امتداد
أكثر من ثلاثين سنة - عشرات المقالات التي نشرت في
العديد من مجلاتنا وجرائدنا العربية. وفي سنة ١٩٧٨
أصدرت أول كتاب لي عن ناجي، بعنوان «قصائد مجهولة
لإبراهيم ناجي» الذي ضم خمسين قصيدة، تصدرتها دراسة
متأنية، وقد صدر هذا الكتاب - وقتها - عن مكتبة مدبولي
بالقاهرة. وفي سنة ١٩٩٥ كلفني الدكتور جابر عصفور -
الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة في مصر بإعداد
«الأعمال الشعرية الكاملة» لناجي والتي صدرت بالفعل في
السنة التالية، سنة ١٩٩٦، وتضاعف فيها عدد القصائد

المجهولة من خمسين قصيدة إلى مائة قصيدة وقصيدة.
* تحمس كثيرون من النقاد والباحثين والشعراء
المرموقين للأعمال الشعرية الكاملة لناجي بعد صدورها،
وعلى سبيل المثال، فإن أستاذي الكاتب الكبير رجاء النقاش
كتب عنها مقالا رائعا مطولا في «الأهرام» بعنوان «قصيدة
في القلب»، كما كتب الباحث الكبير الدكتور يوسف حسين
بكار دراسة مطولة، أشاد خلالها بالجهد الذي بذلته في
تحقيق تلك الأعمال، وفيما بعد أصبحت هذه الدراسة فصلا
من فصول كتاب «العين البصيرة - قراءات نقدية» للدكتور
يوسف حسين بكار، وهو الكتاب رقم (٨٦) في سلسلة «كتاب
الرياض» التي تصدر في المملكة العربية السعودية. أما
الباحث المدقق الجاد مصطفى يعقوب، فقد نشر دراسة
مستفيضة في مجلة «علامات» السعودية - عدد مارس سنة
٢٠٠٠ بعنوان «الأعمال الشعرية الكاملة لإبراهيم ناجي -
ملاحظات ونصوص مجهولة» وقد سعدت وأفدت من هذه
الدراسة، على الرغم من ملاحظاتي على ملاحظات مصطفى
يعقوب!.. أما القاهرة والدوحة، فقد شهدتا ندوتين،

خصصتا لمناقشة - الأعمال الشعرية الكاملة لناجي، أولاهما
نظمها المجلس الأعلى للثقافة والفنون في مصر، والثانية
نظمها نادي الجسرة الثقافي في قطر.

* أتصور أن الدكتور جابر عصفور قد سعد حقاً بما
حظيت به الأعمال الشعرية لناجي من اهتمام وتقدير،
فضلاً عن نفاذ جميع نسخ طبعتها الأولى بسرعة، وبصورة
فاقت التوقعات، ولهذا فإنه عاد وكلفني بمهمة جديدة،
تتمثل في جمع وتحقيق «الأعمال النثرية الكاملة» لناجي،
وهذا ما قمت به بالفعل، لكن هذه الأعمال النثرية ظلت
قابعة في المجلس الأعلى للثقافة في مصر طيلة أربع سنوات،
لأسباب متعددة، دون أن ترى النور. وكان لا بد أن اغامر
وأبادر إلى طبعها على نفقتي الشخصية في الدوحة، حيث
صدرت سنة ٢٠٠١ في مجلدين، تجاوز عدد صفحاتهما ألف
صفحة، وإذا كنت قد تكبدت - مادياً - ما تكبدت، فإنني قد
سعدت - معنوياً - بإصدار هذين المجلدين، ولا أنسى هنا أن
مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري
قد ساندتني مساندة مشكورة، حيث اشترت مجموعة من

نسخ «الأعمال النثرية الكاملة» بسعر تشجيعي، ويبدو لي أن باحثين جامعيين عديدين كانوا كأنما يترقبون صدور هذه الأعمال النثرية لناجي، لكي يشرعوا في إعداد دراسات أكاديمية لنيل درجة الماجستير، فهذا ما جرى في الجامعة الأميركية ببيروت وما جرى في إحدى جامعات المملكة العربية السعودية، وجامعة فاس في المغرب.

* تصدر هذه «الأعمال الشعرية المختارة» لناجي في طبعتها الأولى عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث في قطر، وقبل أن أبدأ في الحديث عنها باعتبارها مدخلا إليها، وقبل أن يقرأ القارئ هذه الأعمال الشعرية المختارة، فإني أستأذن في الإشارة إلى بعض الأمور المتعلقة بها أو التي تدور حولها.

* تشتمل هذه «الأعمال الشعرية المختارة» على ثلاثة أقسام، أولها يضم الدراسة التي أعدتها عن ناجي وعن حياته وشعره بصورة عامة، وهي بعنوان «ناجي.. الحياة - الحب - الموت» أما القسم الثاني فإنه يضم خمسا وعشرين قصيدة من روائع ناجي، والتي اخترتها من دواوينه «وراء

الغمام» الصادر سنة ١٩٣٤ و«ليالي القاهرة» الصادر سنة ١٩٥٠
و«الطائر الجريح» الصادر سنة ١٩٥٧، في حين يضم القسم
الثالث خمسا وعشرين قصيدة من قصائد ناجي المجهولة،
من بينها ثلاث قصائد لم تنشر من قبل، فيما سبق أن
أصدرته، وقد راعيت أن أشير إلى المصدر الذي حصلت منه
على كل قصيدة، وهذا ما يجده القارئ عندما يتابع - في
خاتمة الكتاب - «مصادر القصائد المجهولة».

* من بين روائع ناجي التي اخترتها هنا، حرصت على
اختيار قصيدة «الوداع» وهي إحدى قصائد ديوان «وراء
الغمام» وقصيدة «الأطلال» وهي إحدى قصائد ديوان «ليالي
القاهرة» وليس المهم أن هاتين القصيدتين تنتميان -
موسيقيا إلى بحر الرمل «فاعلاتن - فاعلاتن - فاعلاتن»، فقد
كتب ناجي كثيرا من روائعه العاطفية وفقا لموسيقى هذا
البحر الذي كان يحبه أكثر من سواه من بحور الشعر التي
حددها الخليل بن أحمد، فالواقع أنني حرصت على اختيار
«الوداع» و«الأطلال» لأن هاتين القصيدتين قد كشفتتا لي
أمرا، لا يتعلق بناجي وحده، إنما يتعلق كذلك بكوكب الشرق

أم كلثوم!

* كان ناجي يتمنى من كل قلبه أن تغني له أم كلثوم إحدى قصائده، حتى تتحقق له شهرة جماهيرية عريضة، لا مجرد شهرة في الساحة الأدبية العربية وحدها، ولكن أم كلثوم لم تحقق لناجي ما تمناه من كل قلبه خلال حياته، فأنطلق إلى محمد عبدالوهاب الذي اختار عدة مقطوعات من قصيدة مطولة من روائع ناجي، والتي يجدها القارئ في هذا الكتاب، وهي قصيدة بعنوان «الخريف» أما ما غناه محمد عبدالوهاب منها فإنه معروف بعنوان «القيثارة» وكان من المقرر أن تذاع هذه القصيدة بألحان وصوت عبدالوهاب خلال سنة ١٩٥٢، لكن ناجي رحل عن عالمنا يوم ٢٤ مارس من تلك السنة دون أن يسمعها، ولم تذع هذه القصيدة إلا سنة ١٩٥٤، وأذكر منها هنا:

أي سر فيك إنني لست أدري
كل ما فيك من الأسرار يغري
خطر ينساب من مفتري
فتنة تعصف من لفتة نحر

قدر ينسج من خصلة شعر
زورق يسبح في موجة عطر
في عباب غامض التيار يجري
واصل ما بين عينيك وعمري

تحققت أمنية ناجي - دون أن يدري - بعد انقضاء ثلاث
عشرة سنة على رحيله عن عالمنا حين غنت أم كلثوم له
مقاطع من «الأطلال» وأضافت إليها مقطعين من قصيدة
«الوداع» وابتداء من سنة ١٩٦٦، أصبح اسم ناجي على كل
لسان بفضل صوت أم كلثوم، دون أن أنسى بالطبع العبقري
رياض السنباطي.

يشتمل النص الأصلي الكامل للأطلال، كما كتبه
ناجي، على (١٣٤) بيتاً، بينما يشتمل النص الأصلي
الكامل لقصيدة الوداع على (٢٨) بيتاً، أما «الأطلال»
التي غنتها أم كلثوم فهي تشتمل على (٣٢) بيتاً، منها
سبعة أبيات من النص الأصلي لقصيدة الوداع، وأثبت
هنا هذه الأبيات السبعة مع بيت آخر هو الثالث منها
والذي لم تغنه أم كلثوم.

هل رأى الحب سكارى مثلنا
كم بنينا من خيال حولنا
ومشينا في طريق مقمر
تشب الضرحة فيه قبلنا
وتطلعنا إلى أنجمه
فتهاوين وأصبحن لنا
وضحكنا ضحك طفلين معا
وعادونا فسبقتنا ظاننا

وانتبهنا بعد ما زال الرحيق
وأفقتنا ليت أنا لا نضيق
يقظة طاحت بأحلام الكرى
وتولى الليل، والليل صديق
وإذا النور نذير طالع
وإذا الضجر مغل كالحريق
وإذا الدنيا كما نعرفها
وإذا الأسباب كل في طريق

قلت - من قبل - إن ناجي كان يتمنى من كل قلبه أن تغني له أم كلثوم إحدى قصائده، لكن الأمنية لم تتحقق إلا بعد رحيله عن عالمنا، وهنا أطرح سؤالاً طرحته على نفسي عدة مرات منذ سنوات، ولم أتوصل إلى إجابة عليه إلا منذ عدة أشهر فحسب؛ هل هناك من غنى قصائد لناجي خلال حياته؟

أهداني أحد أصدقائي الحميمين، وهو الإعلامي القطري حسن محمد الحاج، مجلدا نادرا يضم أعداد السنة الأولى من مجلة أسبوعية، هي مجلة «الراديو المصري» التي صدر عددها الأول يوم ٢١ مارس سنة ١٩٢٥ أي بعد تأسيس الإذاعة المصرية بنحو سنة واحدة، والحق أنني قد تصفحت أعداد تلك المجلة بصورة سريعة في البداية، ثم خطر لي أثناء إعدادي لهذا الكتاب «الأعمال الشعرية المختارة» أن أعود لقراءة «الراديو المصري» بصورة متأنية، وبهذا التآني توصلت إلى الإجابة على السؤال الذي كان يشغلني، وكنت أطرحه على نفسي؛ هل هناك من غنى قصائد لناجي خلال حياته؟

أستطيع الآن الإجابة، وهي بالإيجاب.. نعم.. هناك من غنى لناجي خلال حياته.. ومتى؟.. في سنة ١٩٢٥.. ففي حفلة يوم

٣ مايو سنة ١٩٣٥ غنى الأستاذ محمد صادق «قصيدة من تأليف الدكتور إبراهيم ناجي، ومن تلحين محمد صادق».. ولكن ما هي هذه القصيدة؟.. هنا المفاجأة المدهشة.. فقد غنى محمد صادق سنة ١٩٣٥ أبياتا مما غنتها أم كلثوم سنة ١٩٦٦.. وهذه الأبيات من قصيدة «الوداع» لناجي، وإذا كانت أم كلثوم قد غنت منها - كما ذكرت - سبعة أبيات، فإن محمد صادق قد غنى ثمانية أبيات، أي إنه غنى البيت الذي لم تغنه أم كلثوم، والذي أشرت إليه من قبل، وأثبت هنا الأبيات الثمانية التي غناها محمد صادق سنة ١٩٣٥:

هل رأى الحب سكارى مثلنا
كم بنينا من خيال حولنا
ومشينا في طريق مقمر
تثب الفرحة فيه قبلنا
وضحكنا ضحك طفلين معاً
وعسدونا فسبقتنا ظلنا
وتطلعنا إلى أنجمه
فتهاوين وأصبحن لنا

لَمَ يَا هَاجِرَ أَصْبَحْتَ رَحِيمًا
وَالْحَنَانَ الْجَمَّ وَالرَّقَّةَ فَنِيمًا
لَمَ تَسْقِينِي مَن شَهْدِ الرِّضَا
وَتَلَاقِينِي عَطُوفًا وَكَرِيمًا
كُلَّ شَيْءٍ صَارَ مَرًّا فِي فَمِي
بَعْدَمَا أَصْبَحْتَ بِالدُّنْيَا عَلِيمًا
أَهْ مِنْ يَأْخُذُ عَمْرِي كُلَّهُ
وَيَمِيدُ الطِّفْلَ وَالْجَهْلَ الْقَدِيمًا

وإذا كان لا بد أن نلاحظ شيئاً في ترتيب الأبيات، فإني أذكر هنا أن البيت الذي لم تغنه أم كلثوم هو الثالث في النص الأصلي للمقطوعة، ولكن محمد صادق جعله البيت الرابع، وفضلاً عن هذا، وخارج سياق الحديث، فإن مجلة «الراديو المصري» أخطأت خطأ طباعياً في هذا البيت، فجاء على هذا النحو:

وتطلعنا إلى أنجـمـه
فتهاويننا وأصبحنا لنا

والصحيح، كما ورد في نص القصيدة ضمن ديوان «وراء

الغمام» الذي صدر سنة ١٩٢٤ هو:

وتطلعنا إلى أنجـمـه

فتهاوين وأصبحن لنا

وهنا أود أن أقول إن أم كلثوم ربما تكون قد استمعت إلى أبيات ناجي هذه سنة ١٩٢٥ من خلال حفلة محمد صادق، وإذا لم تكن قد استمعت، فإنها - بالتأكيد - قد قرأت هذه الأبيات، لأنها منشورة في «الراديو المصري» إلى جوار نصوص الأغاني التي كانت تغنيها في نفس تلك السنة، وقد عاد محمد صادق إلى غناء أبيات ناجي مرة ثانية في حفلة ٣ أغسطس ١٩٢٥، ثم غنى لناجي قصيدة «الغد» في حفلة ١٧ أغسطس من نفس تلك السنة، وهي القصيدة التي غنتها فيما بعد المطربة الكبيرة سعاد محمد، ولحنها رياض السنباطي، وغنى محمد صادق قصيدة ثالثة لناجي في حفلة ٢١ أغسطس ١٩٢٥، وهي بعنوان «توأم الروح» التي ضممتها - فيما بعد - ضمن القصائد المجهولة في «الأعمال الشعرية الكاملة» لناجي، ومطلعها:

مهلاً فإن النادي شطرك الظامي

يا توأم الروح أدرك روعي الدامي

* بحكم عملي في الصحافة، فإني أعذر الذين يقعون في أخطاء، تبدو مضحكة أحياناً، نتيجة عدم التزامهم بالدقة التي تتطلب التأني، وهو ما لا يتحقق للصحافة اليومية بصورة أساسية، لكنني أتصور أن التأني مطلوب حين يكون ما هو مكتوب فيها مكتوباً في مجلة أسبوعية، ويصبح التأني مطلوباً أكثر حين يكون المقال مقالاً لرئيس تحرير المجلة الأسبوعية.

على غلاف عدد ١٣ فبراير سنة ٢٠٠٠ من مجلة «نصف الدنيا» الأسبوعية والتي ترأس تحريرها الكاتبة القديرة سناء البيسي، نطالع عنواناً مثيراً هو «سنا البيسي تنفرد بنشر أشعار مجهولة لإبراهيم ناجي بخط يده»، أما المقال ذاته فإن خاتمته تقول: «.. يا ناجي الأشعار.. بإزاحة الستار عن قصائدك الجديدة نعدو نسابق جميع الصحف والمجلات والمحافل والأقطار..»!!

يستند مقال سناء البيسي على مجموعة من القصائد بخط ناجي، وهي من القصائد التي تحتفظ بها السيدة

أميرة إبراهيم ناجي، وقد سعدت سناء البيسي بهذه القصائد، وقامت بتصويرها، لتنشر ضمن مقالها الأسبوعي، ولو كانت هذه القصائد «جديدة» حقا لكنت قد سعدت بها، باعتباري واحدا ممن يعشقون قصائد الشاعر الرقيق والكبير، لكنني أدركت بمجرد أن تصفحت القصائد المنشورة في «نصف الدنيا» أنها - في معظمها - ليست «جديدة» وبالتالي فإن سناء البيسي ما كان لها أن تقول «يا ناجي الأشعار.. بإزاحة الستار عن قصائدك الجديدة نعدو نسابق جميع الصحف والمجلات والمحافل والأقطار..»!!

كنت أتمنى أن تقرأ سناء البيسي دواوين ناجي، وبالذات ديوان «ليالي القاهرة» قبل أن تكتب عن ناجي ما كتبت، متصورة إنها قد أتت بشيء جديد، دون أن يكون هناك أي جديد بالفعل، وذلك لأن معظم القصائد المصورة بخط ناجي، تمثل مقطوعات من قصيدة «الخريف» وهي إحدى قصائد ديوان «ليالي القاهرة» الصادر سنة ١٩٥٠، وقد ضمت هذه القصيدة إلى «الأعمال الشعرية الكاملة» لناجي، كما أنها موجودة هنا في هذا الكتاب الذي يضم «الأعمال الشعرية المختارة» لناجي.

أعرف أن الكاتبة القديرة سناء البيسي تعشق محمد
عبدالوهاب، فكيف لم تستطع أن تتبين أن القصيدة
الوحيدة التي غناها عبدالوهاب لناجي، والتي أشرت إليها
هنا من قبل، هي من ضمن القصائد التي تقول هي عنها إنها
«جديدة»!.. هل «أي سر فيك إنني لست أدري..» جديدة؟!
والى جانب هذا فإن عملية نقل بعض القصائد المكتوبة بخط
ناجي، لكي يتسنى نشرها بحروف الطباعة قد شابتها
أخطاء، أذكر هنا منها على سبيل المثال:

عندما (أرفع) ركب العـمـر

(شاهدت) الدنيا وجوها ورؤى

فالصحيح، كما ورد بخط ناجي الواضح، وكما ورد في
ديوان «ليالي القاهرة» و«الأعمال الشعرية الكاملة» وهذه
«الأعمال الشعرية المختارة» هو:

عندما أزمع ركب العـمـر

شاهت الدنيا وجوها ورؤى

أتمنى أن تعود سناء البيسي إلى مقالها وإلى دواوين ناجي،
لكي تتبين أشياء عديدة، لا مجال هنا لأن أطيل في الحديث

عنها وشرحها.

* من خلال متابعتي المتأنية لشعر ناجي، وقراءاتي الفاحصة للدراسات التي صدرت عنه، أدركت أن كثيرين من الدارسين والباحثين الأكاديميين قد وقعوا في أخطاء فادحة، بل فاضحة، وقد أشرت إلى بعض هذه الأخطاء، لا كلها، في الدراسة التي أسميتها «ناجي.. الحياة - الحب - الموت» وإذا كنا نعذر الورثة لأنهم ليسوا متخصصين، فهل بمقدورنا أن نعذر الدارسين والباحثين الأكاديميين؟!

* أود أخيرا أن أشير إلى قضية حساسة، لأنها تتعلق بورثة الشعراء الذين أحببتهم بصورة عامة، فقد أدركت أن كثيرين منهم لا يحسنون التصرف فيما تحت أيديهم من كنوز أزواجهم أو آبائهم الشعراء الذين رحلوا عن عالمنا، ولأن هؤلاء الورثة ليسوا متخصصين في الأدب ولا في تحقيق النصوص، فإنهم يقعون بين الحين والآخر في أخطاء فادحة، وقد يوقعون معهم في مصيدة تلك الأخطاء من يتعاملون معهم من المحققين، وهذا ما جرى بالفعل فيما يتعلق بالشاعر الرقيق الكبير الدكتور إبراهيم ناجي، لكني

اكتفي بما قلت، دون أن أورد أمثلة عديدة أعرفها حق المعرفة، وذلك حرصاً مني على عدم إحراج أحد.

* هذا قليل من كثير، أحببت أن أشير إليه قبل أن أبدأ تقديم هذه «الأعمال الشعرية المختارة» لناجي، وقبل أن يشرع القارئ في قراءتها، ويبقى الحب الذي يدفعني دفعا إلى العمل المضيء، وفاءً لمن أحببتهم من شعرائنا العرب، وفي صدارتهم شاعر الحب الرقيق والكبير إبراهيم ناجي.

«حسن توفيق»

الدوحة - ١١ نوفمبر ٢٠٠٢

ناجي... الحياة - الحب - الموت

بقلم: حسن توفيق

نحن لا نولد بإرادتنا، ولا نموت بإرادتنا. لكننا نستطيع أن نسعى لتحقيق ما نود أن نحققه بإرادتنا عبر سنوات حياتنا. ما بين يوم ٣١ ديسمبر عام ١٩٩٨ ويوم ٢٤ مارس عام ١٩٥٢، عاش شاعر مرهف الحس، محب للحياة إذا جادت عليه بالحب، وناقم عليها، بل كاره لها إذا حرمته من الحب. هذا الشاعر المرهف الحس هو الدكتور إبراهيم ناجي الذي كانت حياته قصيدة حب ذات مقاطع متنوعة، أغلبها شجي وحزين، وأقلها مسكون بالفرح.

امتزج شعر ناجي بحياته امتزاجا عميقا، يصعب معه أن نفرص بينهما، فقد كانت قصائده انعكاسا لحياته، وكانت حياته - بمنغصات وآلامها الكثيرة وبأفراحها القليلة - مرسومة في قصائده. لكن ناجي في خضم حياته - لم يهتم بجمع قصائده أولا بأول في دواوين تضمها مجتمعة، على

عكس شعراء جيله وشعراء الأجيال التالية، وعلى سبيل المثال، فإن ناجي الذي عاش أربعاً وخمسين سنة لم يصدر غير ديوانين في حياته، بينما نجد أن علي محمود طه الذي عاش سبعا وأربعين سنة (من ١٩٠٢ إلى ١٩٤٩) قد أصدر خلال حياته دواوينه «الملاح التائه» و «ليالي الملاح التائه» و «أرواح وأشباح» و «زهر وخمر» و «الشوق العائد» و «شرق وغرب». اهتمام علي محمود طه بجمع قصائده في دواوين خلال حياته، جعل مهمة الذين تصدوا لجمعها في «أعمال شعرية كاملة» مهمة سهلة ويسيرة، بينما تكفل عدم اهتمام ناجي بجمع قصائده في دواوين - باستثناء ديوانين - خلال حياته، بأن يجعل مهمة الذين تصدوا لجمع تلك القصائد في «أعمال شعرية كاملة» مهمة صعبة وعسيرة..

حقاً، إنها مهمة صعبة وعسيرة، مهمة التصدي لجمع قصائد ناجي في مجلد واحد ضخمة، يضمها - مجتمعة - بين دفتيه، لكنني أؤمن أن أي عمل ممزوج بالحب، يمكنه أن يتغلب على الصعاب وأن يجعل العسير يسيراً ... العمل الممزوج بالحب هو

الذي صوره جبران خليل جبران في «النبى»، ويصيب لي هنا أن اقتطفه نقلا عن الترجمة الرائعة التي قام بها الكاتب الفنان الكبير د. ثروت عكاشة. يقول جبران: «.. وما يكون العمل المزوج بالحب؟.. هو أن تنسج الثوب بخيوط مسلولة من قلبك، كما لو كان هذا الثوب سيرتديه من تحب .. هو أن تبني دارا والوجدُ رائدك، كما لو كانت هذه الدار ستضم من تحب .. هو أن تنثر البذور في حنان، وتجمع حصادك في فرح، كما لو كانت الثمار سيأكلها من تحب .. هو أن تنفخ كل ما تصنعه يداك بنسمة من روحك، وأن تدرك أن كل اعزائك الراحلين، قد التفوا حولك يراقبون ..» أحسست بفرح عميق، رغم أن الفرح شحيح في زماننا، منذ أن كلفني عام ١٩٩٥- الأستاذ الدكتور جابر عصفور - الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة في مصر الغالية، بمهمة إصدار «الأعمال الشعرية الكاملة» للدكتور إبراهيم ناجي، لأنني كنت أتهدأ بالفعل لإصدارها بعد استكمال القصائد استكمالا وافيا ودقيقا، بل إنني كنت أحلم بإصدارها على نفقتي الخاصة، لكن الحلم كان

يتحطم على صخرة الأعباء المادية التي لا قبل لي بها ولا بمواجهتها. وهكذا شرعت في مهمتي بحماسة لم أعهد لها في نفسي منذ سنوات، حماسة غناها الحب لشاعر الحب الرقيق والكبير الدكتور إبراهيم ناجي، الذي أحببته منذ صباي الباكر.. كيف نشأ هذا الحب وكيف تغلغل في أعماقي ولماذا هذا ما تحدث عنه.

ناجي.. والصبي الذي أحبه

مازلت أذكر هيئتي وأنا صبي في الخامسة عشرة من عمره .. كان يحلو لهذا الصبي أن يقضي معظم أمسياته على شاطئ النيل في ساحل روض الفرج، مترنما بأبيات عذبة رقيقة يختلس النظر إليها بين الحين والحين من ديوان شعر صغير الحجم يحمله معه في تلك الأمسيات باعتزاز وحب، كما لو كان يحمل شيئا نفيسا يود أن يراه الناس جميعا لكي يتسنى له أن يتباهى به عليهم ..

والحق أن المارة على شاطئ النيل لم يكونوا يابهون كثيرا
لهيئة هذا الصبي، بقدر ما كانوا يندهشون عندما يهطل المطر
في تلك الأمسيات البعيدة، فيهرولون جميعا تاركين هذا
الصبي بجسده النحيل وخطواته الهادئة المتسقة التي لم يفلح
المطر في أن يخرجها عن هدوئها واتساقها .. كان هذا الصبي -
وقتها - يسعد بهذا وينتشي إذ يرى شاطئ النيل وقد خلا من
الناس فيما عداه ..

أليست هذه فرصته الذهبية التي يغتنمها لكي يترنم
بالأبيات العذبة الرقيقة بصوت عالٍ يؤنسه ويزيح عن نفسه
إحساسها بالوحشة الغريبة المبهمة!؟

كان هذا الديوان الذي يحمله الصبي هو ديوان «وراء الغمام»
للدكتور إبراهيم ناجي، وما زال هذا الصبي - حتى بعد أن
كبر ووخط الشيب شعره - يعتز بهذا الديوان، لأنه - من جهة
- كان أول ديوان يقتنيه لكتبته الوليدة، ولأنه - من جهة
أخرى - كان يحمل إهداء خطه ناجي لأحد مفتشي اللغة
العربية بوزارة المعارف .. يقول الإهداء: «لحضرة صاحب العزة

عبد الحميد بك خضر مفتش وزارة المعارف .. مع تحياتي ..
ناجي - ٢٨ / ٥ / ١٩٣٤ ، ولقد كان من حسن حظ الصبي انه كان
زميلا لحفيد ذلك المفتش الراحل في مرحلة الدراسة
الثانوية، فلولا هذا لما كان قد قدر له ان يقتنى هذا الديوان!..
مرت الأيام .. وتلتها أيام .. وكبر الصبي .. وكبر معه حبه
لشاعره الأثير الدكتور ابراهيم ناجي، لدرجة انه كان يتعلق
بالأشياء التي عرف ان شاعره قد تعلق بها في حياته، كما
انه ظل - لفترة غير بعيدة - يؤمن بالقيم والمثل التي كان
شاعره يؤمن بها أو كان يتوهم أن شاعره يؤمن بها .. تملكه
الزهو حين عرف أن شبرا التي ولد فيها قد شهدت ميلاد
شاعره في يوم الحادى والثلاثين من شهر ديسمبر عام ١٨٩٨،
حيث قضى ناجى طفولته المنعمة فيها بفضل ثراء والده
ومركزه المرموق في المجتمع وقتها، وكان ينطيب لناجي
التريض في حقول شبرا ومزارعها التي كانت ترتوى من
مياه الترعة البولاقية، قبل أن يتضافر الناس على وأدها
واجتثاث الخضرة من حقولها ومزارعها لكي يتسنى لهم ان

يبتنوا المنازل والمدارس والمستشفيات بعد أن تكاثف السكان ..
وكما شهدت شبيرا ميلاد ناجي فإنها قد شهدت أيضا أخريات
أيامه، وشهدت رحيله عنا إلى تلك الديار المجهولة التي لم
يعد من الذهابين اليها أحد .. فقد كانت عيادته الطبية -
التي كان يتوجه اليها كل مساء لاستقبال المرضى - قائمة في
شارع ابن الفرات بشبيرا، وفي تلك العيادة ذاتها فاضت روح
ناجي من أثر السكتة القلبية وكان ذلك في يوم الرابع
والعشرين من مارس عام ١٩٥٣.

وكما تعلق الصبى بشبيرا التي تعلق بها شاعره، فإنه تعلق
أيضا بالمنصورة التي تعلق بها شاعره منذ أن عمل طبيبا بها
عام ١٩٢٧ أى بعد تخرجه من مدرسة الطب السلطانية
بخمسة سنوات .. ومدرسة الطب السلطانية هي بالطبع كلية
الطب الآن .. وقد تخرج منها ناجي عام ١٩٢٢، ولم يطل به
المقام في القاهرة بعد تخرجه، إذ عين في وظيفة بالقسم
الطبي لمصلحة السكك الحديدية ونقل إلى سوهاج، فأغلق
عيادته بالقاهرة، وافتتح عيادة بسوهاج، وبنفس الخصائص

والوسائل والخلال، لقي من النجاح أكثر مما لقي في القاهرة، ثم نقل من سوهاج إلى المنيا، ثم إلى المنصورة» التي التقى فيها ناجي برفاق الشعر والحب والشباب ممن سيكونون فيما بعد من أعضاء جماعة أبولو .. التقى ناجي بعلي محمود طه، والتقى بهما في نفس الوقت شاعران من ناشئة الشعراء وقتها هما محمد عبدالمعطي الهمشري وصالح جودت .. وكانت هذه الجوقة تتألف فكرا وشعرا في أمسيات عديدة من أمسيات عام ١٩٢٧ عند «صخرة الملتقى» وهي صخرة كانت قائمة عند موقع بين النيل والجزيرة الرملية التي ينحسر عنها الماء بعد موسم الفيضان فتبدو كالصحراء .. كان أفراد الجوقة يلتقون لكي يتناشدوا أشعارهم الجديدة، ولكي ينهلوا في نفس الوقت من ينابيع أصدقائهم الروحيين من الشعراء الرومانسيين في الأدب الإنجليزي .. شللى وكيتس وبيرون ووردزورث .. ومن أوائل قصائد علي محمود طه التي كتبها في المنصورة قصيدته «صخرة الملتقى» وقد أرسلها إلى جريدة «السياسة الأسبوعية» التي كان يرأس تحريرها

الدكتور طه حسين .. وقد نشرت تلك الجريدة قصيدة على محمود طه في عددها الصادر بتاريخ ١٦ يوليو ١٩٢٧، ثم كتب ابراهيم ناجي هو الآخر قصيدته «صخرة الملتقى» وأرسلها إلى نفس الجريدة حيث نشرت في عددها الصادر بتاريخ ٦ أغسطس ١٩٢٧، والحق أن ذكر التواريخ هنا أمر مهم جداً، لأنه ليس صحيحاً ما ذكره صالح جودت في مقدمة ديوان ناجي من أن ناجي كان أسبقهم إلى النشر كما سأوضح تفصيلاً فيما بعد، كما أنه يصبح من الثابت الآن بالدليل المادى أن ناجي لم ينظم قصيدته حوالى عام ١٩٢٨ كما توهم صالح جودت، ولم ينظمها عام ١٩٢٠ كما قطع بهذا أحمد عبدالمعطى حجازى في مقدمة مختاراته من «قصائد ابراهيم ناجي» وهذا ما سيتضح أكثر عندما نتحدث عن قصيدة «صخرة الملتقى» تفصيلاً.

إذا كانت الأيام قد أبعدت جوهرة شعراء صخرة الملتقى عنها وعن المنصورة ذاتها، فإن ناجي لم يفتر تعلقه بهذه المدينة التى قضى فيها فترة من أجمل فترات حياته .. فبعد انقضاء

أحد عشر عاما على ابتعاده عنها عاد إليها عام ١٩٤٢ ليجت
عن الهدوء ويتطلع الى السكنية وراحة البال في جوانبها بعد
أن طال تغرب روحه المثقلة بهم السنوات وأعباء الحياة،
والواقع أن ناجى قد وجد - محققا - أن تغربه يسكن داخل ذاته
نفسها لا خارجها، وبالتالي فإنه من العبث البحث عن الهدوء
ونشوان السكنية وراحة البال بشد الرحال من مدينة إلى
أخرى، ومن هنا فإن ناجى قد صرخ ملتاعا حين أدرك
استحالة ما يبتغيه:

وافيبتها وقلوب النور دامية
تطفو وترسب أو تعلو فتعتلق
لم أدر حين تبسنت لي إذا شفقى
أبصرته أم على المنصورة الشفق
يا من منحت الأمانى البيض معذرة
انى بهذى الأمانى البيض اختنق
أين الهدوء الرجى في جوانبها
انى رجعت وليلى كله أرق

أقبلت أنشد أمنا في هواك بها
فلم أئل وتولى قلبي الضـرـق
لا بالقلوب ولا الأرواح يا أملى
إنا بشيء وراء الروح نعتنق

وقد كان من قدر الصبي المفتون بناجي أن يكون له - هو
الآخر - غرام في المنصورة، تحدث عنه حينما كبر في قصيدة
«أغنية حب للمنصورة» التي ضمها ديوانه الثاني «أحب أن
أقول .. لا» .. وإلى الآن فإن أصدقاء هذا الصبي الذي كبر
مازالوا يعرفون فيه حنينه الدافق إلى المنصورة في حد ذاتها،
حتى بعد أن تحجرت القلوب وصدت الأرواح وتفتت الأحلام
على صخور الأهواء وبعثرتها العواصف الهوجاء .. والحق أن هذا
ليس بمستغرب من صبي ظل تصوره للحب منبثقا - لفترة
طويلة - من تصور شاعره الأثيرله، ولعل هذا أن يكون سر
الفرحة والحسرة اللتين أحس بهما - في وقت واحد - عندما
وجد الدكتور محمد مندور يعلل سر نفاذ قصائد ناجي إلى
قلوب محبيها بقوله: «لقد تحكم طبع ناجي في إنتاجه

الشعري، وجارى هذا الطبع على سجيته، بل غذاه بمطالعاته في الآداب الغربية، فتميز بالطابع الوجداني وبالحب المثالي وأشواق الروح .. وهذا شعر يلقي أكبر الاستجابة في نفوس الشبان المحرومين رغم تفتحهم للحياة ... لقد فرح الصبى بحديث الدكتور مندور لأنه فسره سر تعلقه بناجى تفسيراً موضوعياً، وأصيب الصبى بالحسرة لأن حديث الدكتور مندور نبهه إلى أنه شاب محروم رغم تفتحه للحياة!!..

يبقى أن أقول إن الصبى المفتون بناجى كان كثيراً ما يعذب نفسه بقوله إن حبه لشاعره الأثير حب غير مكتمل .. وإلا فما معنى أنه لا يستطيع - في أحيان كثيرة - أن يتذكر عناوين قصائد شاعره؟! صحيح أنه يحفظ القصائد نفسها عن ظهر قلب إلى الآن .. أما عناوينها فإنها هي التي كانت تجعله يتصور أن حبه لناجى حب غير مكتمل .. فكثيراً ما كان يحس بالحرج عندما يطلب منه أصدقائه أن ينشدهم قصيدة «الحنين» على سبيل المثال، فيسمعهم بدلاً منها أبيات قصيدة «مناجاة الهاجر»!! لم يكن لدى الصبى وقتها تفسير

ولا كان لديه تبرير، لكنه ذات مرة التفت إلى مقدمة أحمد
الصاوي محمد التي تصدرت ديوان «وراء الغمام» فوجده يقول
«يكاد يكون ديوان ناجي قصيدة واحدة وقصيدة حب» ..
وبعدها تنبه إلى أن الدكتور محمد مندور قد أطلق على
الفصل الذي تحدث فيه عن ناجي في كتابه «محاضرات في
الشعر المصري بعد شوقي» اسم «ناجي .. قصيدة غرام» ..
أجل ... إن ناجي قصيدة غرام متسقة، مهما تتنوع الموسيقى
في مقاطعها الممتدة، أو تتغير القوافي في أبياتها .. ومن هنا
فإن العناوين ليست في مجال الغرام بذات بال .. فإلهم في
الوردة الجميلة المتفتحة شكلها ورائحتها لا اسمها أو عنوانها!!!.

ناجي... الفراشة الحائرة

عاش ناجي حياته فراشة حائرة، تنتقل من غصن إلى غصن، عساها أن تجد بديلا عن الزهرة التي كان ينشدها، لكنه حرم منها طيلة حياته، على الرغم من أنها لم تكن بعيدة عنه، وهذا ما سأوضحه فيما بعد عند الحديث عن «زهرة المستحيل والأخريات».

وكلما توهم ناجي أنه قد وجد الزهرة التي تعوضه عن زهرة المستحيل، كانت الهوة العميقة ما بين المثال وبين الواقع تبرز له، وكانت تلك الهوة العميقة تفضل ما بين المثال الذي خلقته تصورات شاعر مثالي للمرأة التي ينشدها بكل ما يخلع عليها من صفات ملائكية تجعلها دوما مرفرفة في محرابها العلوي بعيدا عن البشر الفانيين، وبين الواقع الذي تتمخض عنه الحياة ذاتها بكل ما فيها من نقائص بشرية وبكل ما تجلبه معها من منغصات أرضية. هذه الهوة العميقة ما بين المثال والواقع

هى نفسها التى جعلت ناجي يحترق طيلة حياته ..
وأغلب ظنى أنه كان يعنى هذا ويدركه تماما، ولكن أكان
بمقدوره أن يشكل حياته تشكيلا جديدا مغايرا لما تشكلت
عليه تلك الحياة بالفعل؟ وهل كان باستطاعته أن يخرج
عن القضبان التى حددتها له عوامل نفسية واجتماعية
عديدة، تضافرت مجتمعة لكى تجعل الشاعر يسير عليها
سواء أشاء هذا أم كرهه .. فهذه العوامل هى التى يصطلح
معظمنا على تسميتها بالقدر ..!؟..

حقا إن ناجي كان - في بعض الأحيان - يتمرد على
تصوراته للمرأة التى ينشدها، ويحاول أن يقنع نفسه بأن
تلك المرأة لا وجود لها في الواقع لأنها من صنع خياله هو
فحسب، لكن الحق أيضا أن هذا التمرد لم يكن يزيد على
كونه فقاعة صغيرة ما تلبث أن تتلاشى وسط تقلبات
العواصف ودوامات البحار .. لنستمع إليه وهو يصرخ
صرخة تمرد حادة وعابرة في نفس الوقت، حيث يقول
في قصيدة «بين الشاعر والريح» التى أصبحت فيما بعد-

أبياتا من قصيدته الشهيرة «الأطلال»:

هاك فانظر عدد الرمل قلوبا ونساء

فتخير ما تشاء .. ذهب العمر هباء

ضل في الأرض الذي ينشد أبناء السماء

أي روحانية تُعَصَّرُ من طين وماء

وبالطبع .. ما تلبث هذه الفقاعة أن تتلاشى، وما يلبث

الشاعر أن يعود إلى القضبان التي حاول أن يخرج عنها ..

ومن هنا فإننا نجد يتساءل عن معنى الحياة بدون الحب،

ويظل هذا التساؤل يلح على وجدانه وفكره معا كلما تمعن

في شتى مظاهر الحياة .. إنه يتساءل عن الدافع الذي دفع

الله تعالى إلى أن يزين السماء وينسق الكون ويجعله بهيا

حافلا بشتى ألوان الجمال، كما يتساءل عن علة انبثاق الفجر

من خلال الظلمة وكأنه الميلاد الجديد للكون النائم .. إنه

يتساءل ويتساءل .. ثم لا يدع احدا غيره يجيب فهو يرى أن

كل هذا الجمال ليس إلا من أجل «روحين في أفق حلقاً» فكل

هذا الجمال ليس له من معنى في نظر الطائر المضرد الروح

الذى يضرب في متاهة الأفق وحده بغير اليق، ولو أن هذا
الطائر وجد أليفه لأدرك وقتئذ معنى الحياة وتمثل مفاتها
وسحرها وتمتع بجمالها وروعها .. هذا ما يقوله ناجي في
النص الكامل المجهول لقصيدة «صخرة الملقى» .. يقول
الشاعر متسائلا:

لن زَيْنَ الله هذى السماء	أو جَمَلَ الكون أو نَسَقا
لن يطلع الضجر في أفقها	فيبدو بها ضاحيا موقعا؟
لن مسُ هذا النسيم الغمام	فرفرق منه الذى رفرقا؟
إذا ذكرته الحسمائم أن	وإن ضاحكته الربى صفا
اللطائر المضرد الروح يمضى	يرود الموارد عن مستقى؟
وربك ليس لهذا .. ولكن	لروحين في أفق حلقا

وإذا كان الشاعر يتساءل هنا عن معنى الحياة بغير الحب، ثم
يجيب بنفسه عن تساؤله الذى صاغه في إطار رؤية شاملة،
فإنه - في البيتين التاليين - يقرر بصورة لا لبس فيها أن
حبيبته هى وحدها التى علمته معنى الحياة، وأنه بدونها لا

يجد لها معنى ... في هذين البيتين لا يتساءل الشاعر وإنما
نجده يقرر .. وهو - في هذه المرة - يقرر ما قررره من خلال
منظور ذاتي بحث لافي إطار رؤية شاملة .. وهذا بالطبع ما
يغلب عليه:

أنت التي علمتني معنى الحياة حبيبة ونجية وصديقا
انكرت معناها بغيرك واستوت وتشابهت سعة على وضيقا
والواقع أن الحياة - في نظر ناجي - كانت مسرحا كبيرا
يظل المثلون يمثلون خشبته، ويلعبون أدوارهم التي
حددها لهم المخرج مقدما، وأساعد الممثلين هم أولئك الذين
يعهد إليهم المخرج بتمثيل أدوار الحب، لأن هؤلاء - وحدهم
- هم الذين يقدر لهم عندئذ أن يدركوا معنى المسرحية
التي يمثلونها، والحق أن المتتبع لصورة الحياة - على هذا
النحو - عند ناجي، يجد أن الشاعر قد أغرم بها منذ صباه
الباكر، ويبدو لي أن هذه الصورة قد ارتسمت في مخيلته
الشابة نتيجة إدمانه قراءة شكسبير الذي كان يدمن
قراءته منذ كان شابا، ثم ترجم له - فيما بعد - عددا من

«سونتاته» .. ولقد تمثل ناجي هذه الصورة تمثلاً عميقاً،
بعد ان استوعب دقائقها في «ماكبث» شكسبير على وجه
التحديد، وها هو يرسمها في إحدى قصائده المبكرة التي
نشرها عام ١٩٢٢ أى وهو في الثانية والعشرين من عمره؛
نزل الستار على الرواية وانقضت تلك الفصول وفُضَّ ذاك المسرح

وكان من ولع ناجي بهذه الصورة للحياة أنه كان يعود إلى
رسمها في قصائد عديدة له في مختلف فترات حياته ..
ومن هذه القصائد قصيدة «رواية» التي تضمنها ديوانه
الثاني «ليالى القاهرة» ففيها يفصل القول ويبرز الجزئيات،
ويحدد الملامح والقسمات، وها هو يعلن ملتاعاً أن «المسرح»
قد انفض ملعبه .. لماذا؟ لأن صحب الشاعر قد مضوا كما أن
أحبهته قد هجروه، تاركين إياه وجهاً لوجه أمام الزمان
يُسمعه ضحكه الساخر، ويريه كيف يقهقه القدر:

نزل الستار ففيم تنتظرُ خلت الحياة واقصر العمرُ
لم يبق إلا مقفر تعس تعوى الذئاب به وتأتمرُ
هو مسرح وانفض ملعبه لم يبق لاعين ولا أثرُ

ورواية رويت وموجزها صحب مضوا وأحبة هجروا
عبروا بها صوراً فمذ عبروا ضحك الزمان وقهقه القدر
وإذا كانت الحياة باعتبارها مسرحاً، تكتسب معناها من
وجود الحب في مشاهدتها، وتضقد كل معنى مشرق عندما
ينتهي منها الحب، فإن الموت هو الصخرة الصماء المخيفة التي
تسقط - من عل - على خشبة المسرح فتحطمها في غير هواده
ولالين، والشاعر - بطبيعة الحال - لا يخشى على خشبة المسرح
في حد ذاتها، وإنما هو يخشى عليها لأنها تمثل الاطار الذي
يعيش الحب داخله، ومن هنا فإننا نجد أن ناجي - في قصائد
عديدة له - يؤكد أنه لا ضير من تحطيم المسرح إذا انتهى منه
الحب، ولعل تساؤله الذي وجهه لنفسه في مستهل قصيدته
«رواية» أن يكون شاهداً على ذلك، «نزل الستار .. فظيم
تنتظر؟» .. وهكذا فإنه حين يقف أمام البحر عند الغروب
متأملاً أسرار الحياة، فإننا نجد ان ضآلة الناس تروعه، وهذا ما
يجعله يبكى على تلك الضآلة المزرية يبني الإنسان أمام الأبد
المجهول الذي يزداد عتمة وخفاء .. والشاعر لا يكف عن البكاء

إلا عندما يلوح له من خلف الدموع وجه حبيبته، وذلك أنه
يجد فيه أحر عزاء عن الضالة المزرية ببني الانسان أمام هوى
الطبيعة العاتية ومنها البحر بجلاله وجبروته، يقول ناجي
في النص المجهول لقصيدة «خواطر الغروب»:

يزداد حيرة وخفاء	يا لهذا الجلال والأبد المجهول
فبكيت الحياة والأحياء	روعتني ضالة الناس فيه
لم تدغ ذلة الهوى كبرياء	فليدعني القضاء أبكي لأشفي
لا أرى غيره لقلبي عزاء	لاح خلف الدموع وجه حبيب
كم ظمئنا فما وجدنا الماء	قلت للقلب جاء ريك فانهل
حسبنا وجهه الجميل جزاء	لم تثبنا الحياة إلا بهذا

وإذا كان الانسان - في أوقات تبرمه بالحياة - يرى أن
المستقبل ليس سوى خدعة كبيرة، يخدع بها نفسه لكي
يتسنى له أن يواصل السير في ركب الحياة، محضوها بالمنى
البراقة التي تتوافد عليه في مقتبل العمر، فإنه - والأمر
كذلك - لابد أن يرى أن المستقبل الحقيقي له هو القبر الذي

تفتح فوهته الضيقة تلك الصخرة الصماء المخيفة، حينما
تسقط - من عل - على خشبة المسرح لتحطمها في غير هواده
ولالين:

أرى في العباب كفاح الحياة وتيارها الجارف الأحمقا
والمح فيها عراك الرجال إذا لاحق الزورق الزورقا
وكيف على رُحْب هذا المجال ننزلها منزلا ضيقا؟!

ماذا يعنى هذا المجال الرحب إذن؟! ان وجوده سيان وعدمه
مادام الانسان سينزل في النهاية منزلا ضيقا وينتهى السعى
المحموم إلى هذه النهاية الأسيفة .. لماذا اذن تكذب الدنيا علينا
أو نكذب نحن على نفسنا ونعللها بمنى براءة ندرك أنها لن
تتحقق .. يقول شاعرنا في إحدى قصائده المجهولة:

أو هكذا الدنيا وذاك حالها أو ذاك وعدُ خيالها الكذاب
أمل على أمل وأخرة المنى نوم على نوم مدى الأحقاب

ونحن لو عدنا من جديد إلى المرأة موضوع الحب، فإننا نجد أنها تمثل الهدف الاسمي في الأدب الرومانسي بصورة أساسية، بل إن النظر إلى الحياة - كما يقول رجاء النقاش في مقدمته لديوان «مدينة بلا قلب» لأحمد عبدالمعطي حجازي - إنما يكون من خلال أفراح الفنان وأحزانه في تجربة المرأة، حيث تحل محل روح الجمال الفرحة روح أخرى مشبعة بالحزن إذا ما تعرضت تجربة الحب لعائق من العوائق».

وإذا كنت قد ذكرت أن ناجي عاش حياته فراشة حائرة تتنقل من غصن إلى غصن، إلا أنه من سذاجة التصور البعيد عن التعمق ما تذهب إليه الدكتورة نعمات فؤاد في كتابها «ناجي الشاعر» - ص ٥٩ - حيث تقول: «... من شعر ناجي نتبين أنه ليس من الموحدين في الحب .. فله محاب كثيرة .. وقد ذاق ألوانا من الحب»

فتارة يفتنه السحر والذكاء وأنا يغريه الجمال .. ومن محابه البيضاء الزاهرة والسمرات الفاتنة .. وكما راعه الإشراق في الأولى .. سبته السمرة والجمالية في الأخرى حتى كاد أن يعبدها .. أقول إنه لمن سذاجة التصور ما تذهب إليه

الدكتورة نعمات، لأن كلامها يوحي، بل يقطع بأن ناجي كان متقلبا في عواطفه .. يحب هذه يوما، ثم يهجرها إلى أخرى يحبها هي أيضا يوما آخر .. وهكذا .. وحقيقة الأمر أن ناجي قد عشق المثال الذي خلقتة تصوراتها للمرأة التي ينشدها، وقد كان هذا المثال مستحيل التحقق في واقع الحياة، وكان الشاعر يلهث سعيا وراءه هنا وهناك، وكان إذا عرف امرأة وتوهم أنه وجد فيها مثاله المنشود، عشق فيها هذا المثال إلى أن يدرك أنه غير موجود داخلها، فيتركها إلى غيرها سعيا وراء هذا المثال، كما سيتبين لنا فيما بعد. ومن أغرب القصص التي يرويها ناجي عن نفسه - في هذا المجال - قصة تعلمه اللغة الفرنسية، وسندعه هو يرويها بنفسه: «ملخص الموضوع أني كنت أعرف الإنجليزية فقط لأن القسم العلمي في التعليم الثانوي لا يعلم الفرنسية، ولكن ما حيلتي وأنا «مضطر» للتعلم بالفرنسية مع أعز مخلوقة في الوجودا وهي لا تعرف غير الفرنسية، وهي لا تحب غير بورجيه، وتعتقد أن قصة «التلميذ» قصة خالدة وتتمنى لو قرأناها معا بالفرنسية! أمنية عزيزة ولكن

ما السبيل إلى ذلك؟ على أن أتعلم بسرعة وأقرأها معها بسرعة
والإفادات الوقت! لست أعرف في تاريخ «الضرورات» أغرب من
هذه الحكاية .. قلت لنفسى أتعلم كما يتعلم الطفل .. أحفظ
الكلمات، ثم أتعلم ربطها ثم اتكلم، كلمات أولا، ثم جملا ..
وهذا ما حدث .. فبعد ثلاثة شهور عدت إلى صديقتي فقرأت
معها قصة «التلميذ» لبورجيه، وهى لا تكاد تصدق» ..

هذه هي القصة كما رواها ناجي بنفسه - في خاتمة مقال
نشره في جريدة «الجمهورية المصرية» عدد ١٦ فبراير ١٩٥٢ -
وكان أصدقاؤه أيضا يروون عنه قصصا عديدة لا تقل في
غرابتها عن القصة التي رواها .. ولكن ماذا تعنى هذه القصة
على علاقتها نظرا لأن بطلها لم يبين لنا كيف عرف أن
صديقتة - التي لا تعرف غير الفرنسية - لا تحب غير
بورجيه وتتمنى أن تقرأ قصته بالفرنسية مع الشاعر على
الرغم من أنه لم يكن يعرف الفرنسية؟ على أى حال فإن
هذا ليس قضيتنا، فالمهم حقا هو ماذا تعنى هذه القصة؟ قد
نستغرب من الشاعر أن يكرم صديقتة هذه بأن يعطيها

لقلب «أعز مخلوقة في الوجود» خاصة وأن صلته بها لم تكن قد توثقت بعد لأنه لم يكن يعرف اللفة التي تمكنه من توثيق تلك الصلة، لكننا لن نستغرب هذا منه إذا أدركنا أن «أعز مخلوقة في الوجود» كانت تعرف اللغة العربية، وإن أنكر ناجي هذا، ربما لكي يجعلنا نتشوق لأحداث قصته، وهذه المخلوقة هي المثال المنشود للشاعر، لكنه لم يتحقق في الواقع كما كان هو يحلم ويتمنى. كما أن هذه القصة تبين لنا أن ناجي كان من الرجال الذين لا يتحمسون لأمر من الأمور ولا ينجزونه بسرعة إلا إذا كان وراء كل منهم امرأة ترعاه وتربّت على كتفه وتنظر إليه نظرة تشع بالحنان، ولذا فإن شاعرنا قد استطاع - في مدى ثلاثة شهور لا أكثر - أن يتعلم اللغة التي جعلته يتفاهم مع صديقتيه ويحقق لها أمنيتها العزيزة في قراءة قصة «التلميذ» لبورجيه معه!!..

ومادمننا قد تحدثنا عن ناجي باعتباره أحد الرجال الذين يتلمسون حنان المرأة، فإننا نود أن نتحدث عن عالمه الشعري لكي يتبين لنا إلى جانب ما نريد تبياناه كيف أن تلمس حنان

المرأة كان نغمة يستعذبها ولا يمل من تكرارها من صباح إلى شيخوخته، ومن بدايات قصائده إلى آخر ما كتب في حياته، وإذا كان لكل شاعر أصيل عالمه الفني المميز الذي نستطيع القول إنه عالمه هو فحسب، فإن الصور الشعرية التي تستهوى مثل هذا الشاعر، فيعمد إلى تكرارها بصورة ملحّة على امتداد قصائده، تشكل لبنة من اللبنات التي يشيد بها الشاعر عالمه هذا، وشاعر الحب الأصيل لا بد أن يرسّم صورته الشعرية من تجربة الحب بكل ما فيها من إشراق وكدر، ولو أننا تتبعنا هذا عند ناجي لوجدنا أن هناك ثلاث صور شعرية كان يعمد إلى تكرارها في قصائده بصورة ملحّة، أولى هذه الصور هي صورة بناء الشاعر والذي يبدو لنا متهاوياً متداعياً إلى أن تجيء الحبيبة، فترفع هذا البناء شامخاً ثم تهجره الحبيبة فيتهياً للسقوط، أما الصورة الثانية فهي صورة يد الحبيبة التي تمسح عن الشاعر همومه وتمسح - في نفس الوقت - خطايا عصره، وتبث في قلبه العزم والثقة بالنفس، وثالثة هذه الصور صورة الفراشة التي ترمز حيناً إلى قلب

الشاعر الذي يحب النور ولو كان فيه احتراقه، كما ترمز حيناً
آخر إلى حياة الشاعر ذاتها.

وسنكتفى هنا بتتبع الصورة الأولى تتبعاً سريعاً عبر
نتاج الشاعر كما سنشير إلى الصورة الثانية على عجل، لقد
كان ناجي - في أشهر قصائده - وهي قصيدة «العودة» -
يرى أن حبيبته هي ركنه الحاني الذي يلجأ إليه، محتمياً
بظلاله الناعمة، لكي ينشد الراحة من بعد طول المسير في
صحراء الحياة الموحشة، وفي هذا - بطبيعة الحال - نشدان
للحنان الذي يبتغيه الشاعر وقد كان هذا الاحساس يبرز
ويتضخم في قصائد متعددة له، فهو يقول في قصيدة
«العودة» من ديوانه الأول «وراء الغمام».

ركني الحاني ومغناي الشفيق وظلال الخلد للعاني الطليح
علم الله لقد طال الطريق وأنا جئتكم كيما أستريح
ثم يعاود نشدان الحنان في قصيدة «خمر الرضا» من ديوانه
الثاني «ليالي القاهرة»، لكنه - هذه المرة - يلجأ للتصريح بأنه
يريد أن يتوسد صدر الحبيبة البرلكي يرتاح على خفقاته من

بعد أن تعبت روحه كما تعب جسده أيضا، بينما كان - في المرة السابقة - يلجأ إلى التلميح بذكر الركن الحانى وظلال الخلد فحسب؛

كم تمنيت صدرك البريرتاج على خفقه الطريد المعذب
هات وسدني الحنان عليه جسدي متعب وروحي متعب
ومن هذا المنطلق بدأت صورة «البناء» تتشكل في وجدان الشاعر، فهو يعاتب حبيبته على تركها إياه وحيدا لأنه يرى أن وجودها جنبه يخفف عنه جهد العيش، فهي التي ترفع «البناء» إذا مال وتقيمه إذا انهار، ولذا فإن الشاعر كان يحس أن الأيام لا تقوى على هد «بنائه» هذا طالما أن الحبيبة إلى جواره:

بحبك أستشفى فكيف تركتني ولم يبق غير العظم والروح والجلد
وكنت إذا شاكيت خفضت محملي فهان الذي ألقاه في العيش من جهد
وكنت إذا انهار البناء رفعتة فلم تكن الأيام تقوى على هدني
وإذا كانت هذه الصورة منتزعة من إحدى قصائد ديوانه الثاني فإن ناجي قد عمد إلى تكرارها في إحدى قصائد ديوانه

الثالث «الطائر الجريح» وهى نفس القصيدة التى يحمل
الديوان اسمها، وفيها يبين انه لولا وجود الحبيبة جنبه لما
كان قد قال لشيء في الوجود مرحبا، ولولاها أيضا لما وجد
الحنان .. أليست هى التى أقامت «بناء» الشاعر من لاشيء:

لولاك ما قلت لشيء في الوجود مرحبا
ولم أجد ركنًا غنيا بالحنان .. طيبا
أنت التى أقمت مرفوع البناء من هبًا

هذه هى الحبيبة التى أقامت «بناء الشاعر» فلا عجب إذا
رأينا أن روح الشاعر تتحول إلى ظل شاحب يمتد في هيكل
متخاذل الأسوار بعد أن رحلت الحبيبة وارتحل النور الذى كان
يضيء جنبات «البناء» بارتجالها، على نحو ما نرى في البيتين
التاليين المنتزعين من قصيدة «الفراق» التى يضمها ديوان
«الطائر الجريح»:

يامن رفعت بناء نفسى شاهقا متهلل الجنبات بالأنوار
اليوم لى روح كظل شاحب فى هيكل متخاذل الأسوار
هذه هى صورة «البناء» أما صورة يد الحبيبة فإن الشاعر

يرسمها لنا- بصورة ناضجة- في قصيدة «بقايا حلم» التي
يتضمنها ديوانه الثالث «الطائر الجريح» فهو يطلب من
الحبيبة أن تبقى يدها في يده، لكي ينفذ بها عن نفسه
الخوف من الغد المجهول الذي يبين الشاعر أنه يخشاه دوماً لأنه
يفرق بينه وبين الحبيبة، ويظل الشاعر يصور إحساسه بوقع
يد الحبيبة على روحه الرقيقة، فمنها يستمد الثقة بالنفس
ويشد الأزر، ومن عناقها ليده يؤمن أن حبه باقٍ معه وأنه لم
يكن حلماً .. وانتهى:

كلما خلى حبيبي يده	لحظة قلتُ وحبى أبقها
أبقها أنفض بها خوف غد	واحس الأمان منها وبها
أبقها أشدُّ بها أزري إذا	ضعف الأزر أو العزم وهي
أبقها أو من إذا لامستها	أن حبي ليس حلماً وانتهى

والواقع أن تصوير يد الحبيبة هنا لم يكن لأول مرة، فقد
سبق للشاعر أن صور تلك اليد في قصيدة «توأم الروح»

الجهولة والتي نظمها عام ١٩٣٥، وهو يطلب - هنا أيضا - من حبيبته أن تبقى يديها، لأنهما - من جهة - يدا ملك من الملائكة، ولأنهما شفاؤه - من جهة أخرى - فقد جرحته أيامه وجنى عليه زمنه، وهو لهذا ينادى الحبيبة طالبا منها أن تُقبل إليه لكي تشفيه مما أصابه، ولكي تغفر يداها جرح الأيام:

يداك ياكل أحلامي يداً ملك هما شفائي هما .. ياكل أحلامي
إلى بالله أنسى ما جنى زمني واملددهما لي تغفر جرح أيامي

ويستطيع المتتبع لقصائد ناجي مجتمعة أن يرى كيف كان الشاعر يعمد إلى تكرار صورة: «يد الحبيبة» التي تفعل الأعاجيب، ومهما يكن من أمر فإن هذه الصورة ومثيلاتها إن دلت على شيء، فإنما تدل على أن الشاعر لم يكن يرتوى أبداً، فقد كان سريع التعطش إلى سكينه الروح التي يرى أن مبعثها يكمن في أن تحنو عليه الحبيبة، لكي تقيم «بناء نفسه» أو أن تلمسه يداها لكي تشد أزره ... ألم أقل إنه عاش حياته فراشة حائرة؟..

بين زهرة المستحيل.. والأخريات

ما الذي يمكن أن نراه حين نقف على أحد الشواطئ، وننظر إلى البحر الممتد أمامنا؟.. إننا نرى الأمواج وهي تتلاحق وتتتابع موجة في إثر أخرى، ونراها في عنفوانها وهي مقبلة من بعيد، كما نراها وهي تتكسر وتنبسط على الرمال فوق أقدام الشاطيء، ونرى الزبد الذي سرعان ما يذهب جفاء دون أن يمكث في الأرض، لكن هل ما نراه ممتداً أمامنا هو البحر حقاً؟ لا، ليس هو البحر حقاً، إنما هو المظهر الخارجي له، فالبحر حقاً يكمن في الأعماق، بكل ما فيها من أسرار ومن حياة ومن جزئيات وتفصيل، لكن الأعماق لا يراها من يكتفون بالوقوف على الشاطئ، الأعماق تتطلب الجسارة التي تهيننا لأن نغوص فيها لنتعرف ولنستكشف ما هو مخبأ وكامن في ثناياها ..

الذين يحكمون على الشاعر - أي شاعر - من خلال ما يبدو لهم من مظهره الخارجي، لا يختلفون كثيراً عمَّن يكتفون

بالوقوف على الشواطئ، متصورين أنهم قد عرفوا البحر.
للشاعر أعماق كأعماق البحر، ونحن لا نستطيع الحكم عليه إلا
إذا آثرنا أن نتغلغل في الأعماق، لنستكشف ما قد يتاح لنا
استكشافه من الأسرار والجزئيات والتفاصيل، التي تؤلف -
مجتمعة - عالماً بأسره، هو عالم الشاعر المستكن في هذه
الأعماق ..

الحكم على ناجي من خلال المظهر الخارجي هو الذي جعل
الدكتورة نعمات فؤاد ترى «... أنه ليس من الموحدين في
الحب .. فله محاب كثيرة .. وقد ذاق ألوانا من الحب، فتارة
يفتنه السحر والذكاء وأنا يغويه الجمال ...». والحكم على
ناجي من خلال المظهر الخارجي هو الذي دفع عباس خضر
لأن يشن حملة استهزاء على بعض قصائد ناجي العاطفية،
وقد امتدت هذه الحملة أسابيع عديدة على صفحات أعداد من
مجلة «الرسالة» خلال السنوات ١٩٤٧ - ١٩٤٨ - ١٩٤٩، وعلى سبيل
السخرية المرة لقبَّ عباس خضر ناجي بـ «الدكتور عمر بن
أبي ربيعة» الذي يتغزل في هذه وتلك وبأخرى غير هذه

وتلك، والحكم على ناجى من خلال المظهر الخارجى هو الذى
حدا بنعمان عاشور لأن يقول فى مجلة «الدوحة» - عدد مايو
١٩٨٠ ... كان ناجى كلما رأى امرأة وقع فى حبها .. فالحب
عنده كما كان يقول المرحوم كامل الشناوى مثل «قرقرة اللب»
.. وكامل الشناوى نفسه كان كذلك .. ويبدو أن جميع كتاب
القصائد الرومانتيكية من الشعراء جميعا .. مثلها تماما ..
والشرط الوحيد عندهم أن تكون المرأة جميلة وأن يكون
جمالها موحيا بالشعر ...»

لو أننا انسقنا وراء الحكم على ناجى من خلال المظهر
الخارجى، وهو الحكم الذى أصدره كل من د. نعمات فؤاد
وعباس خضر ونعمان عاشور، ومعهم آخرون عديدون، فإننا
نستطيع القول إن ناجى كانت له صولات وجولات، تجلت فى
قصائد عديدة، مع كثيرات من الفنانات الممثلات والمطربات
والكاتبات والشاعرات، فقد كتب ناجى - على سبيل المثال -
فضيدة فى ديوانه الأول عن أمينة رزق، ولكنه وضع نقاطا
مكان اسم تلك الفنانة، ولكن من يراجع مجلة «ابولو» يجد أن

اسم «أمينة» قد ورد في نص نفس القصيدة والذي حذفه
ووضع نقاطا مكانه في النص المنشور في «وراء الغمام» وكتب
ناجي عن «زوزوات عرفهن» والزوزوات اللواتى عرفهن هن
زوزو حمدى الحكيم وزوزو ماضى وزوزو نبيل، وكتب ناجى
عن المطربة شهر زاد وعن الراقصة سامية جمال، كما كتب عن
الشاعرات منيرة توفيق وجيلية رضا وأمانى فريد .. وكل هذه
الأسماء ليست على سبيل الحصر، بل على سبيل المثال!!..

ماذا لو لم نقنع بالوقوف على الشاطئ قائلين: هذا هو
البحر يمتد أمامنا؟... ماذا لو أننا تغافلنا وغصنا في أعماق
البحر؟!!..

على المستوى الحياتى، كانت هناك حبيبة واحدة، هى التى
أسميها «زهرة المستحيل» التى حرم ناجى منها طيلة حياته
رغم أنها إحدى قريباته، وعلى المستوى الإبداعى، فإن هذه
الحبيبة وحدها هى التى ألهمت ناجى روايتى عديدة، من بينها
رائعة «الأطلال» التى زعمت إحدى المثلثات أنها ملهمتها منذ
أن غنت الراحلة العظيمة أم كلثوم مقاطع منها، مزجتها مع

مقاطع من قصيدة أخرى ...

مَن هي هذه الحبيبة؟ .. مَن هي «زهرة المستحيل»؟

«زهرة المستحيل» التي أحبها ناجي، لها وجودان، وجود خيالي، ووجود حقيقي، أما الوجود الخيالي فيتمثل في «دورا» بطلة «دافيد كوبر فيلد» لتشارلز ديكنز، وأما الوجود الحقيقي فيتمثل في قريبة ناجي الجميلة التي حرمتها منها، وبوجدان الشاعر مزج ناجي بين الوجود الخيالي والوجود الحقيقي مزجا عميقا، يصعب معه أن نفصل بينهما!..

والآن .. فلأشرح الأمر ..

في مقال مطول، كتبه ناجي في جريدة «الجمهورية المصرية» قبل رحيله عن عالمنا بنحو شهر واحد، تحدث الشاعر الرقيق عن الكتب التي أثرت في حياته، وما يهمنها منها هنا هو حديثه عن رواية «دافيد كوبر فيلد»..

يقول: «كان هذا في مستهل الصبا .. سمعت كثيرا من القصص التي كان يقصها والدي على أمي .. سمعت «أوليفر تويست» وسمعت كل قصص راينهارها جارد، وسمعت وسمعت

.. ولكن الذى انطبع في ذهنى هو دافيد كوبرفيلد. لا اعرف
ما السر في ذلك، ولكنى اعتقد الآن ان قوة القصة في انها
سيرة صادقة لديكنز بالذات، عبر فيها اصدق التعبير عن
انفعالاته، وشرح فيها الحب العفيف الراقى اوفى شرح، وكنت
انا اذ ذاك في بدء محاولتى للشعر، فلم يكن عجيبا ان ينتعش
ديكنز في خيالى بسمو روحه ونقاء قلبه، مع انه لم يكن
شاعرا، ولكن الذى كتبه نثرا هو في الحق ارفع وأعلى من شعر
الوف من الشعراء.. وماذا في قصة دافيد كوبرفيلد؟ انها
تذكرنى - او على الأقل تجرى في خيالى - مع عودة الروح
لتوفيق الحكيم، لا شيء غير الصديق والواقع. قصة غرام قد
تنتهى للأشياء، ولكنها في الحياة كل شيء .. قصة غرام ديكنز
بالهتاة «دورا» .. «دورا» التى كان لا يقول انها حبيبته، بل كان
يسمئها وجوده العزيز.. أبدع وصف في لغة الهوى الرفيع .. لم
تكن حبيبته فحسب بل كانت (وجوده) جميعا .. كونه الملهم،
وحبه الصافى..

هذه هي «دورا» التي عرف تشارلز ديكنز .. وجوده العزيز

في شخصها، والتي تمثل - في نفس الوقت - الوجود الخيالي لـ
«زهرة المستحيل» في وجدان ناجي ..

أما «دورا» التي تمثل «وجود ناجي العزيز» على أرض
الحقيقة والواقع، فهي فتاته القريبة - البعيدة التي كان يرمز
لها بحر في «ع. م.» ..

يتصدر ديوان «ليالي القاهرة» لناجي إهداء، هذا هو نصه:
«إلى صديقي ع. م. الذي ندى الزهر الذابل من خمائل الماضي
وأنبت في روض الحاضر زهورا ندية مخضلة بالأمل والحياة
... إليه أقدم ما أوحى به الي .. إبراهيم ناجي».

وفي مقدمة ديوان ناجي الذي صدر عن وزارة الثقافة عام
١٩٦١ يقول صالح جودت - ص ٦: «... وقد حاول الكثيرون من
أحباب ناجي أن يعرفوا من يكون صديقه «ع.م.» هذا الذي
أثره الشاعر بشرف الإهداء. ورجم بعضهم بالغيب، فقال لابد
أنه صديق صباح، الشاعر علي محمود طه، الذي عاش معه
أحلى أيام العمر في المنصورة، وترددت أسماء أخرى .. أما
الحقيقة التي كتها ناجي حتى عن أقرب المقربين إليه، فهي

أن «ع. م.» ليس صديقا .. بل صديقة .. بل حبيبة العمر! ..
وقبل أن أتحدث عن «ع. م.» ومن تكون؟ .. فإني أذكر هنا أن
ناجي كان قد أهدى أحد كتبه النثرية وهو كتاب «رسالة
الحياة» والذي صدر قبل صدور ديوان «ليالى القاهرة» إلى
«ع. م.» وهذا هو نص الإهداء: «إلى الصديق الحبيب ع. م. ... أيها
الصديق الكريم، كيف أودى لك بعض فضلك على؟ أتذكر كيف
كتبت هذه الرسائل؟ كتبت بوحيك وتمت في ظلال صحبتك،
فمنك وأليك مرجع هذه الكلمات، أيها الصديق: لقد رضيت أن
يتوج حرفان من إسمك كتابي هذا، وحسبى شرفا، وحسبى
مدى العمر سعادة ووهناء» ..

«ع. م.» كانت ملهمة ناجي في شعره كما يتبين من إهداء
ديوان «ليالى القاهرة» وكانت ملهمته في نثره كما يتبين من
إهداء كتاب «رسالة الحياة» .. فمن هي؟ ومن تكون؟.

فى السنوات الأخيرة من حياة صالح جودت، كانت علاقتى
به علاقة وثيقة حقا، على الرغم من اختلاف الأهواء والثقافة
والنشأة والأجيال، وفى جلسة حميمة مع صالح جودت سألته -

وقتها - عن ملهمة «الأطلال» لناجى، فأكد لى أن ناجى لم يكتب رائعته من وحي أية ممثلة من اللواتى ادعين ذلك الإدعاء، وقال لى إنها من وحي حبه الأول «ع.م.» ... فاستفسرت منه عنها فأخبرنى باسمها، ورجاني أن احتفظ بالأمر سرا، لأنها مازالت على قيد الحياة، ولأن ناجى كان يحبها من جانبه هو فحسب ..

وبعد رحيل صالح جودت عن عالمنا، حاولت أن أتأكد مما قاله عن «ع.م.» فتأكدت .. حيث سألت الأخ الأصغر لناجى وهو المهندس الراحل حسن ناجى عما أعرفه من صالح جودت، فأكد لى أن الإسم صحيح، لكنى لم أشأ أن أشير إلى اسم «ع.م.» إلا بعد أن رحلت هي أيضا عن عالمنا، حيث ذكرت الإسم صراحة فى مقال لي بعنوان «إبراهيم ناجى .. العاشق الذى مات حيا» وقد نشر هذا المقال فى جريدة «الرأية» القطرية - عدد ١٨ يوليو عام ١٩٨٤، وقلت فى خاتمته: «... والآن وقد رحلت عنا الملهمة الحقيقية أجد أن من حقى أن أذكر اسمها لأول مرة .. إنها السيدة «عنايات محمود الطوير» .. «ع.م.» ..

المثال الذي عاش ناجى يناجيه طيلة حياته في قصائد
عديدة»..

والحق أنني قد اكتشفت فيما بعد أن ناجى قد صرح باسم
«وجوده العزيز» الواقعي لبعض المقربين من أقربائه ومن
أصدقائه، على نقيض ما كان صالح جودت قد ذكره في
مقدمة «ديوان ناجى» من أن الشاعر الرقيق قد «كتم الحقيقة
حتى عن أقرب المقربين إليه». وهنا أذكر أن المهندس الراحل
حسن ناجى كان قد أعارنى كتاباً مخطوطاً كتبه الشاعر
الراحل محمد مصطفى الماحى عن الشاعر الرقيق إبراهيم
ناجى، وحين قرأت هذا الكتاب المخطوط قراءة متأنية وجدت
الماحى - وكان من أصدقاء ناجى المقربين - يتحدث عن «ع.م»
دون أن يشير صراحة إلى اسمها، حيث يقول - ص ٦٢ - «...»
وحدث أن هياً القدر لناجى طفلة من قريباته تماثلته في السن
وتقيم في أحد قصور مدينة الأحلام فنشأت بينهما صلة ود
إلى جانب القرابة، وبدأت عاطفته تتحرك بشيء لا يدرك
كنهه، وبدأت ملكة الشعر تثمر في وجدانه، فنطق بالشعر

وهو في سن العاشرة، وقد اطمعتة هي في استمرار هذا الحب،
وفي أن ينتهي بالرباط الوثيق بينهما، حتى تأصل في قلبه،
وأصبح يتمثل فيها الوجود كله كما تمثل دافيد كوبرفلد
حبيبته دورا قصة تشارلز ديكنز...»..

يعود محمد مصطفى الماحي - ص ٦٥ من كتابه المخطوط -
يفسر لنا كيف حُرِمَ ناجي من «وجوده العزيز» فيقول: «.. فأما
حبه الأول فقد كان - كما قدمنا - لفتاة جميلة من هريباته
وهي تقطن بجواره ووتمكن الحب من قلبه ولم يجد هذا الحب
اعتراضا من جانبها، بل وجد تجاوبا منها فضمهما الحب روحيا،
وتعاهدا على أن يكون احدهما للآخر في حياة سعيدة، فلما
وصل إلى الدراسة في مدرسة الطب أبت الانتظار حتى يتم
دراسته وحقرت عهده وتزوجت غيره وظل هو على حبه
الضعيف الذي لازمه طول حياته وكلما مرت به سانحة حب أو
إعجاب بامرأة كان يتمثل فيها فتاة حبه الأول...»..

الآن أستطيع القول إن ناجي كان يحب فتاة واحدة، هي
«زهرة المستحيل» كما أسميها، وهي «دورا» تشارلز ديكنز التي

امتزجت في خياله، وهي «عنايات محمود الطوير» التي
عاشت في واقعه.

لنستمع إليه وهو يناجي «زهرة المستحيل» في قصيدة «من
ن إلى ع» وهي إحدى قصائد «ليالي القاهرة»:

يا شطر نفسي وغرامي الوحيد
ما شئت ياليلاي لا ما أريد
يا من رأيت حزني العميق البعيد
داويت لي جرحي بجرح جديد

ثم يشير ناجي - في نفس القصيدة - إلى لقاء تم بالمصادفة
وحدها دون أن يكون هناك اتفاق مسبق:
ويوم لقسيسك على سلم
في جانب مكتسب مظلم
يا عذبة العينين والبسم
وغضة الحسن الشهى الفريد

في لحظة يقفز فيها دمي
وتعقد الدهشة فيها فمي
من أي كون جئت لم أعلم
يا نفحة من نفحات الخلود

... وفي تقديري، وعلى ضوء ما أزعم أنه غوص في أعماق
ناجى، فإننى أرى أن هناك قصيدة مترجمة لم يلتفت إليها
أحد من دارسي ناجى على الإطلاق، رغم أن هذه القصيدة
تلخص حكايته مع «زهرة المستحيل» تلخيصا دقيقا، وقد
ترجم ناجى هذه القصيدة، ونشرها في عدد يناير عام ١٩٥٠
من مجلة «الحديث» الحلبية، والقصيدة بعنوان «سنارا» وهي
للشاعر داويد سون، وقد كتب لها ناجى مقدمة موجزة، هذا
نصها: «عندما هجرته حبيبته «سنارا» كان يبحث عن أخرى
تشابها فلم يعثر عليها فكتب الشاعر داويد سون هذه
المقطوعة يعبر فيها عن أحاسيسه أصدق تعبير..»
أما نص القصيدة فيقول:

حين قبّلتُ تلكُ ياسنارا
وقعتُ أنفاسك بين شفّتي
وقعتُ أنفاسك بين الخمر والقبلات
معذرة ياسنارا لقد كنتُ يائسا منك

وقد كنت متعبا ولكني أخلصتُ لك على طريقي؛
ظللتُ أشرب وأرقص .. وأرقص وأشرب
حتى انتهى الخمر وانتهى الرقص ..
فإذا الليل كله لك يا سنارا!

أعتقد أن قصيدة «سنارا» تلخص حكاية ناجي مع «زهرة
المستحيل»، وتؤكد ما سبق أن ذكرته من أن ناجي عاش
حياته فراشة حائرة، تنتقل من غصن إلى غصن، عساها أن
تجد بديلا عن الزهرة التي كان ينشدها، لكنه حرّم منها
طيلة حياته، على الرغم من أنها لم تكن بعيدة عنه. وهنا
يمكنني القول أيضا إن ناجي كانت له حبيبة واحدة، هي
«دورا» وهي «ع.م» وهي «سنارا» وهي «زهرة المستحيل»

وبالتالى فإنه كان موحداً فى الحب على نقيض ما قالته د.
نعمات فؤاد من أنه «ليس من الموحدين فى الحب»، ولم
يكن «الدكتور عمر بن أبى ربيعة» كما قال عنه - على
سبيل التهكم - عباس خضر، ولم يكن الحب عنده مثل
«قزقزة اللب» كما روى نعمان عاشور، نقلاً عن كامل
الشناوى..

بعيداً عن حلايقة الحب

قليلة هي القصائد التي خرج بها ناجى من حلايقة الحب، حيث لا نراه - عبر أبياتها - فراشة حائرة، تتنقل من غصن إلى غصن، لكنى أزعج - في نفس الوقت - أن معظم هذه القصائد القليلة ينطلق أيضا من الحب. لقد كتب ناجى عدة قصائد من شعر التفكه والمداعبات، وفي هذه القصائد حب متبادل بينه وبين الذين داعبهم، وكتب ناجى عدة قصائد يرثى فيها بعض الذين فقدهم، وكلهم كانوا من أحبائه ومن أصدقائه، وكتب ناجى قصائد وطنية موجهة لمصر العربية - وطنه الغالى، وفي ثنايا هذه القصائد يفيض الحب، وكتب ناجى قصائد في وصف الطبيعة، استأثر «القمر» حتى في خسوفه بنصيب كبير منها، وكان في الوصف من الحب ما فيه، بل إن ناجى كتب قصائد المدح، لكنها - في الحقيقة - كانت موجهة لأحباء له، حتى قصائده التي كتبها في مدح آخر الملوك الذين حكموا مصر قبل انطلاق ثورة يوليو

المجيدة فإنه كتبها أثناء انبهار الناس أجمعين بالملك الشاب
فاروق الأول في بداية توليه الملك بعد وفاة الملك فؤاد الأول.
أما القصائد الأخرى التي أخرج فيها ناجي نفسه من حديقة
الحب، فإنني أعدها استثناء وخروجاً عن القاعدة العامة،
وتتمثل هذه القصائد في شعر الهجاء، لأن الشاعر حين يهجو
فإنه يكره ويبغض، والبغضاء نقيض الحب، وهكذا يمكن لمن
يتأملون قصائد ناجي التي كتبها في التفكه والدعابة وفي
الثناء والحماسة الوطنية والوصف والمدح، يمكن لهؤلاء أن
يتبينوا ما هو كامن فيها من الحب، باستثناء شعر الهجاء
وحده. ويبدو أن ناجي قد شاء أن يؤكد ما أزعمه، فهو القائل:

ذلك الحب الذي علمني

أن أحب الناس والدنيا جميعاً

وسأحاول الآن إلقاء نظرة سريعة على تلك القصائد التي
خرج بها ناجي من حديقة الحب.

*من القصائد التي نظمها الشاعر بقصد التفكه والدعابة

قصيدته التي نشرت في العدد العاشر من مجلة «الأسبوع»، وهو العدد الصادر بتاريخ الأربعاء ٣١ يناير ١٩٣٤، وقد نشرت هذه القصيدة تحت عنوان «الأدباء في مبادلهم..!» وتصدرتها مقدمة نثرية تشرح أو تفضح مناسبة كتابتها، ذلك أن طائفة من أدباء الشباب - ذلك الوقت - كانت قد اعتادت الاجتماع في «مندرة» الكاتب القصصي الأستاذ محمود طاهر لاشين، ولهذا المندرة نواذر وقصص فكهة لا تحصى. وكانت هذه المندرة تارة ندوة للجدل الأدبي وأخرى مسرحا للهو والعبث البريء، وكثيرا ما كانت تنور ضجة المجتمعين، ويعلو جدلهم وصخبهم إلى حد أن أصحاب الدار كانوا يضجون في بعض الأحيان من فرط دوشة المجتمعين إذ كانت تمتد سهراتهم في معظم الليالي إلى الهزيع الأخير من الليل. وقد خطر للشاعر الرقيق الدكتور ناجي، وهو أحد رواد هذه المندرة أن يحيى دار «لاشين» بقصيدة فكهة طريفة. هذه هي المقدمة التي تشرح مناسبة كتابة القصيدة أو تفضحها، وأما القصيدة ذاتها فقد أسماها ناجي «يا دار لاشين» وهي تتألف من ستة أبيات، هذا نصها:

يا دار لاشين حيثك السلامات
والناس عندك ياكلوا الأكل ويبساتوا
تموج بالرائح الفادى مواكبها
خلق صنوف وأشكال عجيبات
حتى إذا كثروا في الدار وانقلبت
كمولد البدوى رضى وصيحات
ترن صيحة «تيزتى» فى سلالها
ما تختشوا والايه دا اللى اختشوا ماتوا
ماذا ترى العين؟ إنى اليوم فى حلم
وسكى وصودا وأقداح ومزات
كانوا إذا ما اتيح العرقسوس لهم
يقول قائلهم زارنى النبى ذاته
هذه هى القصيدة الطريفة الفكهة، التى نستطيع أن
ندرجها ضمن قصائد «الشعر الجلمنتيشى» الذى برع فيه -
فى ذلك الوقت - شعراء وزجالون عديدون، وقد كان هذا
النمط الشعرى من الذبوع والانتشار لدرجة ان بعض كتابه

اكتسبوا شهرتهم الأدبية من خلال كتابتهم له وحده، كما أن مجلات عديدة منها «الكشكول» و«المطرفة» كانت متخصصة في نشره هو بالذات، والواقع أن «الشعر الحلمنتيشي» كانت له وظيفة مهمة انحرف بها ناجي لكي تخدم الغرض الذي كتبت من أجله قصيدته، فقد كان هذا الشعر يقوم بوظيفة الانتقاد الاجتماعي اللاذع بصورة مغايرة تماما لصورة الوعظ والارشاد التي كانت تلجأ إليها القوائد الرسمية «الجيليلة» وكثيرا ما كانوا يتعرضون لأفراد فاحت رائحة فضائحهم الخلقية والاجتماعية، فيصبون عليهم شواظ قصائدهم الموحجة، والحق أنهم لم يكونوا يستثنون في هذا أميرا أو خفيرا، كما أنهم كانوا يتحدثون عن أوضاع البلاد السياسية في جراحة قل أن نجد مثلها عند غيرهم، ومن أجل هذا تعرضت المجلات والجرائد التي كانت مخصصة لنشر هذا اللون من الشعر إلى صنوف متعددة من المصادرة والاضطهاد، لكنهم كانوا يعودون سيرتهم الأولى بنفس الحماسة وكان الحكومة - وقتها - كانت تكرمهم وتخلع عليهم الأوسمة

والنياشين، وواقع الأمر أن «الشعر الحلمنتيشي» كان يستمد تأثيره البالغ على قرائه من خلال صورته المغايرة لصورة القصائد الرسمية «الجليلة»، إذ أن كتابه كانوا يلجأون إلى انتقاد ما يريدون انتقاده عن طريق إبرازه في قالب هزلي ساخر يجعل قراءهم يضحكون ساخرين، كما يجعلهم مهياين نفسيا لأن يغيروا هذا الوضع المنتقد أو يتمنون تغييره، وهذا هو المهم، وكثيرا ما كان كتاب هذا اللون ينقضون على القصائد الفخمة من تراثنا العربي القديم، بغية تحويرها وإكسابها مضمونا هزليا، فهم يهلهلون الجزالة اللغوية بطريقة عابثة، كما كانوا يعبثون بحرمة الموضوعات الخطيرة بخفة روح مصرية أصيلة، وهم - إلى جانب هذا كله - كانوا من الناحية الفنية يستخدمون نفس الأوزان والقوافي التي يستخدمها شعراء التراث الأقدمون أمثال المتنبي وأبي تمام وأبي فراس وغيرهم، وكان هذا في حد ذاته سببا من أسباب إضحاك قرائهم الذين كانت تتداعى في أذهانهم المفارقات المضحكة بين القصائد التراثية الفخمة

وبين قصائد «الشعر الحلمنتيشي». ويمكننا ان نأخذ مثالا لهذا، المثال الذي سنأخذه من قصيدة لعبد السلام شهاب وكان رحمه الله من أبرع كتاب هذا اللون، وقد رأى ان يهلهل قصيدة فخمة من قصائد المتنبي، وأما المناسبة التي دعته الى هلهلة قصيدة المتنبي وتحويلها الى ما يحقق هدفه هو، فهي مناسبة تولى الطاغية اسماعيل صدقي رئاسة الوزارة المصرية في أعقاب مذبحه كوبرى عباس في فبراير عام ١٩٤٦ ففى يوم ٢١ فبراير من ذلك العام وهو اليوم الذى أصبح فيما بعد يوما عالميا لطلاب العالم أجمع، سارت مظاهرة - يقول شهدى عطية الشافعى فى كتابه تطور الحركة الوطنية فى مصر (ص ٩٩) إنها كانت - .. تضم ما يزيد عن أربعين الفا وقيل مائة ألف، وأخذت تطوف بأهم شوارع القاهرة حتى بلغت ميدان التحرير (الاسماعيلية سابقا) وهنا تصدت لها أربع سيارات بريطانية مصفحة، واقتحمت الجموع لا تعباً، وكان مستحيلا إفساح الطريق لها، فسقط قتلى وجرحى، ومع هذا فإن الطاغية صدقي ألقى فى مساء ذلك

اليوم خطابا قال فيه: إن المظاهرات السلمية التي قامت صباح اليوم، قد تحولت بفعل الأيدي التي لم تعد خافية، واندس عناصر من الدهماء في صفوف الطلبة الأبرياء .. كل هذا حَوَّلَهَا إلى مظاهرات ظهر عليها طابع الشر، وإن المظاهرات السلمية البريئة التي كان عمادها الطلبة الأبرياء انقلبت مع الأسف الشديد إلى مظاهرات اختفى منها عنصر الطلبة والتعلمين» .. ولم يشر ذلك الطاغية بطبيعة الحال إلى السيارات البريطانية المصفحة التي اقتحمت الجموع، كما لم يشر إلى قوات البوليس التي استخدمت براعتها في إصابة الطلبة العزل .. وهنا نجد عبدالسلام شهاب ينقض على قصيدة المتنبي الدالية التي قالها وهو خارج من مصر لكي يبتعد عن وجه كافور وهي قصيدة «عيد بأية حال عدت يا عيد»، وقد سار عبدالسلام شهاب على نهج المتنبي في الوزن والقافية، لكنه بالطبع لم يسر على نهجه في الجدية، فقد أخذ يسخر من إسماعيل صدقي ومن وزارته كما نرى من خلال هذه الأبيات:

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد
أما الوزارة فالترقيع بهدائها وكل أيامها غلب وتنكيد
رئيسها صلقى باشا في إدارتها طهقان تعببان لا رجل ولا إيد
هلا اختشيتم وداريتم كسوفكمو أم الخشا عندكم بالله مفقود
يا أخيب الناس إن الناس تعرفكم مهما فشرتكم وحكم الشعب موجود

والحق أنني قد قصدت أن أظليل في تبيان وظيفة «الشعر
الحلمنتيشي» لكي يستطيع القارئ أن يقارن بين نماذجه التي
قدمها كتابه، وبين نموذج الذي قدمه ناجي، فإذا كان كتاب
«الشعر الحلمنتيشي» يقتحمون ميدان السياسة اقتحاما جريئا
ويسخرون، من بعض المواقف الاجتماعية العامة التي تهم
المجتمع كله أو تهم قطاعا كبيرا من قطاعاته فإن قصيدة
ناجي عن «دار لاشين» لا تهم - حقيقة - أحدا غير رواد
«مندرة» محمود طاهر لاشين، وليس هذا مقصورا على تلك
القصيدة وحدها، فقصائد ناجي الأخرى، والتي كتبها بقصد
التفكك والدعابة لا تهم غير عدد قليل من الناس أغلبهم ممن

تعنيهم المناسبات التي قيلت تلك القصائد من أجلها، فناجى له قصيدة «تحية إلى ذهن الدكتور محمود ثابت» فضلا عن مقطوعات في «وصف أصلع» و«حسنا بجانب أمها الدميمة».

* فإذا انتقلنا إلى المراثي التي تفجع فيها ناجى على الذين فقدهم، فإنها تتمثل في خمس عشرة مرثية، منها مرثيتان نشرتا لأول مرة في «الأعمال الشعرية الكاملة». هناك خمس قصائد يضمها ديوان «وراء الغمام» خصص ناجى أربع قصائد منها في رثاء «أمير الشعراء» أحمد شوقي وحده، أما القصيدة الخامسة فهي مرثية للشاعر طانيوس عبده، ويتضمن ديوان «ليالى القاهرة» ثلاث قصائد، خصص الشاعر اثنتين منها لرثاء شاعرين هما محمد الهراوي ومحمد عبدالمعطي الهمشري، أما الثالثة فهي لرثاء أحد وزراء الصحة السابقين - الدكتور عبدالواحد الوكيل، ويضم ديوان «الطائر الجريح» قصيدة رثاء واحدة، وهي - في الواقع - ليست مرثية لشخصية من الشخصيات، إذ أنه خصصها لـ «رثاء كلب صغير» وهناك مرثية للشاعر خليل مطران أضافها محققو «ديوان ناجى»

إلى ما سبق من مرثيات، وهناك مرثيتان لم تنشرا في أى ديوان من تلك الدواوين الثلاثة، حيث أتيج لى أن أنشرهما ضمن ديوان «قصائد مجهولة» في طبعته الأولى، أولاهما مرثية «لشاعر النيل» حافظ إبراهيم، وثانيتها «رثاء صديق» والصديق هو الدكتور محمد نصر الدين، وفضلا عن هذا، فإننى اكتشفت - أثناء عكوفى على جمع «الأعمال الشعرية الكاملة» - مرثيتين أخريين، وقد ضممتها إلى «قصائد مجهولة» في تلك الطبعة التى تضم «الأعمال الشعرية الكاملة» وقد كتب ناجى إحدى هاتين المرثيتين عندما رحل عن عالمنا شيخ الأزهر الأسبق محمد مصطفى المراغى، أما المرثية الأخرى فقد كتبها عندما رحل إبراهيم الدسوقى أباطة «باشا» عن عالمنا.

ويلاحظ على هذه المرثى أنها متفاوتة في مستواها، فقد كان ناجى يلجأ فى بعض منها إلى طريقة شوقى في الرثاء، حيث يخاطب الشاعر الميت، مستنهضا إياه من رقده لى لى يجعله يتأمل معه أسرار الحياة ومعناها أو لى يسأله عما

يحدث للإنسان بعد موته وبهذا يتعظ الأحياء ويتذكرون «الدار الآخرة.. دار البقاء»..!! وقد استخدم ناجي طريقة شوقي هذه في رثائه له هو بالذات، وكأنه كان يريد أن يثبت لجمهور حفلات التأبين التي أقيمت لشوقي أنه يفهم طريقته في الرثاء، وهذا ما يجعل الجمهور يحس بالتعاطف مع قائل المراثية لأنه يحس بالتقارب بينه وبين من يرثيه، هذا إلى جانب أن ناجي لم يكن شاعر رثاء بحيث تكون له طريقته الخاصة فيه، كما هو الشأن عنده في مجال الحب، وفي بعض الأحيان كانت قصيدة الرثاء عند ناجي تثير سخرية من يستمع إليها، ومثال ذلك قصيدته التي ألقاها في حفلة الذكرى للشاعر المرحوم طانيوس عبده بمعهد الموسيقى الشرقي يوم الثلاثاء ٢٠ فبراير ١٩٣٤، ففي هذه القصيدة يعلن الشاعر - من البداية - أن وفاة المرحوم فرصة عليه أن يغتنمها في قول الشعر، خاصة وأنه سينتقي الفاظا رقيقة يرثى بها المرحوم، يقول ناجي مخاطبا نفسه أمام الحاضرين:

موقف حان فاغتنم وتخيّر من الكلم
كل لفظ أرق من ضحكة الزهر للديم

ويبدو ان استقبال الحاضرين لهذه القصيدة كان سيئاً، وأن هذا حز في نفس ناجي لأنه عاد إلى الحديث عن إخفاقه في رثاء أحد اصدقائه الشعراء، بصورة أضحكت الناس منه، وقد تحدث ناجي عن هذا في إحدى قصصه الذاتية التي نشرها في عدد اول نوفمبر عام ١٩٣٨ من مجلة «مجلتي» وكان عنوان هذه القصة «يوميات عشاق» وقد ذكر الشاعر أنه لجأ إلى حبيبته، يلتمس عندها العزاء عن إخفاقه في الرثاء ..

ويلاحظ أيضا أن الشاعر كان قصير النفس في بعض هذه القصائد، وكأنه كان يحس بأنه لن يستطيع القول فيكفُ عنه بسرعة وهذا ما يبدو مثلاً في رثائه لخليل مطران، فقد رثاه بثلاثة أبيات أعلن فيها رغبتة في الرحيل عن الدنيا ما دام الخليل قد رحل، وأعلن أيضا ان موت الخليل هو مصرع للعبقريّة .. وعند هذا الحد سكت ناجي عن الكلام:

يا نفس إن راح الخليل وعنده ودُّ الخليل فعجلى برحيلي
حملوا على الأعواد فنا خالدنا وارحمتاه لكوكب محمول
هو مصرع للعبقريّة روعت في عرشها والتاج والإكليل

كما يلاحظ ان الشاعر كان يقتطف أحيانا أبياتا من قصائده العاطفية لكي يحشو بها قصائده في الرثاء، إما استسهالا منه ورغبة في عدم إجهاد النفس في أمر يعرف هو أنه لا يحسنه، وإما رغبة في زيادة عدد أبيات قصيدة الرثاء لكي لا يحس القارئ بأن الشاعر في هذا المجال قصير النفس، وإما للأمرين معاً، ففي إحدى القصائد التي خصصها ناجي لرثاء شوقي وهي قصيدة «ساعة التذكار» نجده يقتطف أحد أبيات قصيدته العاطفية «اللقاء»، وهو لا يحور في هذا البيت المقتطف إلا خضوعاً للقافية وحدها، فقد قال ناجي في قصيدته العاطفية:

مد الخريف على الرياض رواقه ومضى الربيع الطلق ما يفشاها

ولما كانت قصيدة ناجي في رثاء شوقي قصيدة رائية فإن
هذا البيت قد تشكل شطره الثاني تشكيلا جديدا لكي يتلاءم
مع ما قبله من أبيات في القافية وهذا هو البيت بصورته
الجديدة:

مد الخريف على الرياض رواقه ومضى الربيع الضاحك النوار

وقد فعل ناجي هذا الصنيع مرة أخرى في قصيدة «رثاء
صديق» إذ أنه عمد إلى بيتين من أبيات قصيدته العاطفية
«الشك»، ودسهما ضمن أبيات قصيدة الرثاء، ومع أن هاتين
القصيدتين منشورتان ضمن قصائد مجهولة، إلا أننا سنبيين -
مع هذا- أن البيت الخامس عشر من قصيدة «الشك» هو الذي
اقتطفه ناجي ودسه في قصيدة «رثاء صديق» وقد أصبح
ترتيبه فيها العاشر، وهذا البيت هو:

تغلو الحياة بها إلى أن تنتهي عند التراب رخيصة كتراب

أما البيت الآخر الذي أخذه ناجي من قصيدته «الشك» ودسه

في قصيدته «رثاء صديق» فهو آخر أبيات قصيدة «الشك»:

وأذبت جواهرها فداء نواظر علوية قدسية المحراب

وقد غيّر الشاعر - في مجال الرثاء - الشطر الأول من هذا البيت لكي يتسنى له أن يتساءل متعجبا أي حساب لصاحبه الميت وحياته علوية قدسية المحراب، مع أن نواظر حبيبته هي التي كان يقول عنها إنها علوية قدسية المحراب .. على أي حال، فهذا هو البيت بعد تحويره:

أي الحساب لذهاب وحياته علوية قدسية المحراب

على أنه من الإنصاف لناجي - في مجال الرثاء - أن نستثنى ثلاث قصائد، أولاها رثاء صديقه الشاعر محمد الهمشري، فهي قصيدة رقيقة شجية ولعل هذا يرجع إلى تقارب روح كل منهما من روح الآخر، كما يرجع إلى أن الصور الشعرية المستخدمة فيها هي صور سبق للشاعر أن استخدمها في مجال

الحب الذى أجاد فيه ناجى وأبدع، فهو يصور الهمشرى - كما
صور نفسه هو من قبل - فى هيئة فراشة حائرة:

لا تجزعوا للشاعر الملهم ما مات لكن صار فى الأنجم
ما كان إلا زائرا عابرا لأى سر جاء لم نعلم
كان فراشا حائرا فى الدنى فى نورها أو نارها يرتدى
فإن نجا من نارها مرة فمن لهيب النفس لم يسلم

أما ثمانية القصائد الثلاث التى استثنيتها فهى مرثية شيخ
الأزهر الأسبق محمد مصطفى المرافى الذى رحل عن عالمنا
يوم ٢٢ أغسطس عام ١٩٤٥، ويبدو أن ناجى كان يحبه حبا
عميقا، وهذا ما يتضح لمن يقرأ هذه المرثية الصادقة.

وفيما يتعلق بالمرثية الثالثة فإنها آخر ما قاله ناجى فى شعر الرثاء،
ومن أواخر القصائد التى كتبها قبل رحيله عن عالمنا بشهرين.

هذه المرثية هى مرثية الوزير الأديب ابراهيم الدسوقى
أباظة «باشا» الذى رحل عن عالمنا يوم ٢٢ يناير عام ١٩٥٢،
وبعد رحيله بشهرين لحق به ناجى حيث رحل عن عالمنا -
كما سبق أن ذكرت - يوم ٢٤ مارس عام ١٩٥٢، والواقع أن

ناجى - في هذه المرثية - كان كأنما يرثى نفسه، خاصة بعد شعوره العميق بالظلم نتيجة ما حل به في حملته «التطهير» بعد ثورة يوليو ١٩٥٢، وهذا ما أكده محمد مصطفى الماحى فى كتابه المخطوط عن الشاعر، حيث يقول: «... فلا عجب أن يذيب ناجى قلبه فى رثاء الأديب الكبير إبراهيم الدسوقي أباطة والذى لم يستطع لفرط تأثره أن يلقيه بنفسه - وهو الخطيب الحاضر - فعهد إلى غيره فى إلقاء المرثية، ووقف وهو يستمع اليها وهو يذرف الدموع، فقلت لرفاقى إن «ناجى» يرثى نفسه ولن يطول عمره، ولم تمض على موقفه هذا إلا بضعة أسابيع حتى رحل عن هذه الدار ليلقى صديقه ونصيره».

يقول ناجى فى هذه المرثية الأخيرة:

ودعت أحلامى وعفت حياتى	ودفنتُ بعدك فى التراب شباتى
هيهات ليس الدمع فيك بمسعف	جفتُ على حوض الردى عبراتى
يتمثل الماضى إلى بئسه	متألق الآمال والبسمات
فإذا التفت لحاضرى ألفيته	جهما، وفرعنى خيال الآتى

* ... إذا تركنا قصائد الرثاء، لننظر إلى قصائد الحماسة الوطنية وحب الوطن، فإننا نجدها لا تتعدى تسع قصائد، ثلاث منها نشرها ناجي ضمن قصائد ديوان «وراء الغمام»، وهناك قصيدتان يضمهما ديوان «ليالي القاهرة»، وقصيدة أضافها محققو ديوان ناجي وقد جمعوها من المصدر الذي نشرت به وهو مجلة «العمارة» - عام ١٩٤٠ وتبقى ثلاث قصائد أخرى، استطعت العثور عليها، ويجدها القارىء منشورة - لأول مرة - في هذه الأعمال الشعرية الكاملة، بعد أن ظلت مجهولة على امتداد سنوات مضت.

لو تأملنا قصائد الحماسة الوطنية التي نشرها ناجي ضمن ديوانه الأول، فإننا سنلاحظ عليها غلبة الخطابة وعلو النبرة، وأولى هذه القصائد تكاد تصبح برمتها نموذجاً للشعر الزاعق الذي يتسم بالطابع المدرسي، وهو مما تحفل به كتب النصوص في المدارس الإعدادية والثانوية عندنا.

يقول الشاعر في مطلع هذه القصيدة:

وطن دعا وفتى أجاب بوركت يا عزم الشباب

أما القصيدة الثانية فقد نشرت أول ما نشرت في العدد الأول

من مجلة الأسبوع وهو العدد الصادر بتاريخ الأربعاء ٢٩
نوفمبر ١٩٣٣ وقد تصدرتها هذه السطور: «ألقى الشاعر النابغ
الدكتور إبراهيم ناجي هذه الأبيات الحماسية الرائعة يوم
الثلاثاء ١٤ نوفمبر الجاري في دار الأوبرا الملكية في حفلة
أسبوع الصحة، فأحدثت ضجة هائلة ودويا عظيما، وقد
اختص بنشرها مجلة الأسبوع دون غيرها» على أن شاعرنا لم
ينس نفسه في هذا الموقف الجماعي باعتباره فردا متفردا
فخص نفسه ببيتين - فيما أرى - يقول فيهما:

قل للذي يبغى الصلاح لقومه بنبيل صنع أو شريف جهاد
بالطب أو بالشعر أو بكليهما كل الجهود فداء هذا الوادي

أما الثالثة قصائد الحماسة الوطنية في ديوان «وراء الغمام»
فهي قصيدة «الأجنحة المحترقة» وقد كتبها الشاعر بمناسبة
سقوط إحدى الطائرات المصرية، والتي استشهد بسقوطها
شهيدان هما أول شهداء مصر في الطيران وكان ذلك عام ١٩٣٤،
ويفتتحها ناجي قائلا:

يا امتى كم دموع في مآقينا نبكى شهيديك أم نبكى أمانينا؟
إلى أن يعلن أن الشهيدين قد ذهبوا فداء للوطن .. فداء لمصر ..

فذاك يا مصر هذا النجم منطفئا والنسر محترقا والليث مطعوننا

أما القصيدتان المنشورتان ضمن ديوان «ليالى القاهرة» فأولاهما «مصر» وقد غنتها أم كلثوم لكنها لم تظفر بنجاح يماثل نجاح غناء قصيدة «الأبطال»، ومطلع هذه القصيدة يقول:

أجل إن ذا يوم لن يفتدى مصرا

فمصر هي المحراب والجنة الكبرى

وثانية القصيدتين هي قصيدة «بطل الأبطال». ولهذه القصيدة مناسبة مهمة إذ أنها كتبت بمناسبة استشهاد عبدالحكم الجراحى، وسندع شهيد المعتقلات المصرية عام ١٩٥٨ شهدي عطية الشافعى يروى ظروف استشهاد هذا الشهيد الراحل: «لم يكن الاستعمار يكتفى باللعب وراء الستار، وإنما كثيرا ما كان يتدخل تدخلا سافرا في شئون الحياة النيابية، فقد أصر الشعب إصرارا على إرجاع دستور ١٩٢٣، والتطويح بدستور صدقى الزيف، فصرح صمويل هور وزير خارجية بريطانيا في ٩ نوفمبر ١٩٣٥ بأنه «عندما استشيرت الحكومة

البريطانية في شأن الدستور، نصحت بالأيعاد دستور ١٩٢٣، ولا دستور ١٩٢١، إذ ظهر أن الأول غير صالح للعمل، والثاني لا ينطبق على رغبات الأمة، ليس أوجه من هذا التدخل السافر، في شؤون بلد معترف باستقلالها ولو اسمياً، وليس أحقر من وزارة مصرية، ووزارة السراى، ووزارة نسيم التي لا تتحرك في شيء من شؤون البلاد إلا باستشارة الانجليز، وواحتج الشعب، وزاد سخطه على وزارة السراى، وقامت المظاهرات في أنحاء القرى وبعض المدن، احتجاجاً على تصريح هور، وتعرض لها البوليس بالرصاص، فكان أول من استشهد هو اسماعيل محمد الخالغ أحد العمال، ثم قامت مظاهرة في الجامعة استشهد فيها محمد عبدالجيد مرسى ومحمد عبدالحكيم الجراحى وعلى طه عفيضى من طلبة جامعة القاهرة، ثم عبدالحليم عبدالقصيد بالمعهد الدينى بطنطا، وأعلن الحداد العام على الشهداء يوم ٢٨ نوفمبر فأغلقت المتاجر واحتجبت الصحف وعطلت المصانع وأقام الطلبة نصبا تذكاريًا لشهداء الجامعة أقيم له احتفال ضخم يوم ٧ ديسمبر ١٩٢٥ تخللته مظاهرات كبيرة، وقد أفاضت الجرائد والمجلات في الحديث عن المظاهرات العارمة والإشادة بالشهداء، فنشرت

«المجلة الجديدة الأسبوعية» في عددها الصادر بتاريخ الأربعاء ٢٧ نوفمبر ١٩٢٥ صورتين للشهيدين عبدالمجيد مرسى وعبدالحكم الجراحى على صفحة الغلاف، ثم علقت قائلة: «كان من نتيجة المظاهرات التى قام بها طلبة الجامعة فى الأسبوع الماضى أن ذهب ضخيتها شابان من خيرة شباب الجامعة أخلاقاً وتهذيباً هما المرحومان محمد عبدالمجيد مرسى أفندى الطالب بكلية الزراعة ومحمد عبدالحكم الجراحى أفندى الطالب بكلية الآداب، وقد احتفلت الجامعة رسمياً بتشجيع جنازة المرحوم الجراحى فى مشهد رهيب سار فيه كبار رجال الأمة ورجال الجامعة وطالباتها وطلبتها أما المرحوم عبدالمجيد مرسى فقد دُفن فى الإسكندرية بإشراف رجال البوليس الذين نقلوا جثته من مستشفى القصر العينى، وذهبوا بها إلى الإسكندرية حيث دفنت .. وقرر طلبة الجامعة أن يلبسوا شارة الحداد العام على أرواح الذين استشهدوا من أبنائها فى الأسبوع الماضى» ..

والحق أنى قد تعمدت إطالة الحديث بعض الشيء فيما يتعلق بالمناسبة التى هيات لناجى كتابه قصيدته «بطل الأبطال» التى تشتمل عليها «قصائد مجهولة»، ولكن بعنوان آخر هو

«عاصير مصرية» وبعد أن عدل فيها الشاعر تعديلا عجيبا سيرد الحديث عنه في معرض الحديث لكي يتضح للقارئ بعد قراءته للقصيدة ذاتها أنها دون مستوى الأحداث التي قام بها خيرة شباب مصر في ذلك الوقت، بل إن الأحداث نفسها لم تظفر من الشاعر بأى اهتمام على الرغم من أهميتها وقد سيئتها، أما ما ظفر من الشاعر حقا فهو الصبح الذي يطلع على ربي مصر، فإذا الورد ضحوك في الأكم، حتى إذا حل المساء انقلبت هذه الربي فوهة حمراء تغلى بالحمم، ويسيل الدم، وهنا يطرح الشاعر تساؤله الغريب: هل هذا الدم هولون الورد أم لون الموت أم لون الجحيم:

يطلع الصبح على هذى الربي	فإذا الورد ضحوك في الأكم
فإذا أمسى المساء انقلبت	فوهة حمراء تغلى بالحمم
لست تدري إذ تراها ظمئت	فروى الأحرار وادبها بدم
ذاك لون الورد أم لون الردى	الجائم أم لون الجحيم المضطرم؟

أما القصائد الثلاث التي اكتشفتها وضممتها إلى الأعمال الشعرية الكاملة، فإن أولها بعنوان «تحية لجد مصر» وقد ألقاها ناجي في مؤتمر طبي عقد بمدينة «الأقصر» في يناير

عام ١٩٣٤، ومطلعها:

بلاد النيل يا مهد العالى ويا وطن العظام والجلالِ

أما القصيدة الثانية، فقد كتبها ناجى عام ١٩٤٧ ومطلعها:

اليوم يومك في الرجـالِ فنـادِ

في ساحة مجموعة الأَشهادِ

وإذا كان ناجى قد اقتطف أبياتا من شعره العاطفى ودسها
فى قصائد الرثاء التى كتبها - كما سبق أن أوضحت - فإننا
نستطيع القول إن نفس الظاهرة قد تكررت، حيث اقتطف
ناجى أبياتا أو عدلٌ وحوّر فى أبيات من قصيدة «فى يوم
الشباب» التى يضمها ديوان «وراء الغمام»، وعاد ليدسها فى هذه
القصيدة الثانية، وقد سهل عليه هذه المهمة أنه اختار «الدال»
حرفا للروى فى القصيدة الثانية، وهو نفس حرف الروى فى
قصيدة «يوم الشباب» التى يستهلها قائلا:

اليوم يومك فى الشبابِ فنـادِ

لا نوم بعد، ولا شهى رقـادِ

وهكذا استبدل ناجي «الشباب» بـ «الرجال» في قصيدته الثانية، أما الشطر الثاني من البيت الذي استهل به ناجي قصيدته الثانية، فإنه هو نفس الشطر الثاني من البيت الخامس عشر من أبيات قصيدته «في يوم الشباب»، على أنه من باب الإنصاف للقصيد الثانية القول إنها تضم أبياتاً رائعة، منها هذه الأبيات

يا مصرا يا مصر الحبيبة إن يرمُ
منى الفداء، دمي لحبك فإدى
تالله لو في الخلد كنتُ بموضع
أو في المجرة مصبحي ومهادي
لرنت لشطيك النواظرُ من علٍ
وهضاً إليك من الجنان فوادي

وعلى الرغم من إعجابي بهذه الأبيات، إلا أنني أتصور أن ناجي حين كتبها كان يتمثل بيت أحمد شوقي الأخاذ،
وطني لو سُففت بالخلد عنه
نازعتنى إليه في الخلد نفسي

ولست أدري إن كسان ناجي قد قرأ ناظم حكمت في تلك
الفترة أم لا ؟ .. فالشاعر التركي الكبير كان قد قال:

وضعوا الشاعر في الجنة

فصرخ قائلاً:

آه .. يا وطني

ونأتى الى القصيدة الثالثة من القصائد التي اكتشفتها، وهي
قصيدة «المجد الحي» فأقول إنها من روائع ناجي التي ألقاها في
مدينة «الزقازيق» عام ١٩٤٧، وفيها إشارة واضحة إلى الزعيم
أحمد عرابي والى موقعة «التل الكبير». وقد أرهقني البحث
عن هذه القصيدة الرائعة، ففى البداية قرأت أبياتاً قليلة منها
في ثنايا مقال كتبه وديع فلسطين عن ناجي في مجل
«الأديب» البيروتية، وقد أشار وديع فلسطين إلى كتاب للدكتور
محمد عبدالمنعم خفاجي هو كتاب «دراسات في الأدب والنقد»
وقال إن د. خفاجي هو الذى نبهه بنفسه إلى تلك الأبيات، ثم
وجدت نفس هذه الأبيات القليلة منشورة في ثنايا مقال،
كتبه علي متولى صلاح، ونشر فى مجلة «الرسالة» - عدد ٨
سبتمبر عام ١٩٤٧، وفى المقال إشارة إلى كتاب صدر فى نفس

ذلك العام، فأرسلت إلى الصديق فتحى عبد الحافظ رسالة من
الدوحة - حيث أعمل - طالبا منه أن يصور لى قصيدة ناجى
الموجودة ضمن العديد من القصائد لشعراء آخرين فى ذلك
الكتاب الذى أشار اليه علي متولى صلاح، وبالفعل لم يطل بى
الانتظار، وإذا برسالة تضم هذه القصيدة مصورة، وكانت
فرحتى بها كبيرة بعد أن قرأتها، وهذه هى الأبيات الأولى
منها:

يا أمة نبتت فيها البطولاتُ
لا مصر هانت ولا الأبطال قد ماتوا
ما يبرح المجد يدعوننا فنتبعه
كما تطير إلى النار الفراشاتُ
..أين الغزاة الألى مروا بنا زمراً
واين بالله تيجان ودولاتُ
طافوا البقاع فلما حل رحلهم
بمصر لم يصبحوا فيها كما باتوا

* وفيما يتعلق بقصائد الوصف عند ناجى، فإن له قصائد
عديدة عن «الربيع»، وكلها تحمل عنوان «الربيع» فاضطرت

لكى يسهل التمييز بينها إلى أن أشير إلى العام الذى كتبت فيه كل قصيدة منها، وعلى سبيل المثال فإن قصيدة «الربيع» التى كتبها ناجى عام ١٩٤٦ جعلت عنوانها «الربيع - عام ١٩٤٦».. وهكذا. ولم يكن «الربيع» وحده هو الذى استأثر باهتمام ناجى فى قصائده الوصفية، فقد احتل «القمر» مكانته هو الآخر، وإلى جانب «الربيع» و«القمر» نجد «الورد» كما نجد «الطبيعة» ذاتها، وهذا مطلع قصيدة «الطبيعة» التى نشرت لأول مرة فى الأعمال الشعرية الكاملة:

وافنى نغتنم جمال الطبيعة

ويرى المرء فى الربيع ربيع

خلّ ضيق الديار وانزل برحب

من رياض ومن غياض وسيعه

* من القصائد التى خرج بها ناجى من حديقة الحب، تبقى أمامنا قصائد المدح والتى أطلق عليها هو «قصائد التكريم»، والحق أن هذه القصائد - كما سبق أن أشرت - موجهة إلى أصدقاء وإلى أقارب، ممن احتلوا مناصب رفيعة، لكن علاقة ناجى بهم كانت علاقة محبة، وممن توجه إليهم

الشاعر بقصائد المدح أو «التكريم» ابراهيم عبدالهادى «باشا» -
«على باشا» ابراهيم - أنطون «باشا» الجميل - عبدالحميد
«باشا» عبدالحق - عزيز أباطة «باشا» - ابراهيم الدسوقي
أباطة «باشا» الذى يقول عنه ناجى فى «ليالى القاهرة» إنه
«أبو النهضة الأدبية الحاضرة ما فى ذلك من منازع، هذا فوق
فضله على ناظم هذا الديوان»، ولعلنا نتذكر أيضا أن ناجى قد
رثى ابراهيم الدسوقي أباطة «باشا» مرثية صادقة ورائعة،
سبق أن أشرت إليها..

ويضم «ليالى القاهرة» قصيدتين عن الملك السابق
فاروق الأول، أولهما فى عيد ميلاده، والثانية فى عيد
تتويجه، لكن هناك قصيدة ثالثة لم أستطع الحصول على
نصها الكامل، وإن كنت قد قرأت أبياتا منها فى جريدة
«السياسة الأسبوعية» فى عدد السبت ٢٠ فبراير عام
١٩٢٧ من هذه الجريدة إشارة إلى «المهرجان العظيم
بمناسبة عيد ميلاد صاحب الجلالة الملك»، وسأثبت هنا
نص هذه الإشارة حتى نتعرف على أجواء «المهرجان
العظيم».

تقول «السياسة الأسبوعية»: «نظمت رابطة الشباب

العربي لإحياء القومية العربية في يوم الخميس
الماضي (أى يوم ١٨ فبراير عام ١٩٢٧) مهرجانا
عظيما بمناسبة عيد ميلاد صاحب الجلالة الملك،
وألقي كلمة الافتتاح صاحب العزة الدكتور محمد
حسين هيكل بك الرئيس العام للرابطة ثم وقعت
فرقة معهد الاتحاد الموسيقى برياسة إبراهيم شفيق
نشيد جلالة الملك، ثم ألقى الأستاذ حافظ محمود
كلمة طيبة عن الملك فى روح الشباب ثم تحدثت
الآنسة المهذبة ابنة الشاطيء عن ملك العهد الجديد،
ثم أنشد الدكتور ابراهيم ناجى قصيدة عصماء
وتكلم الأستاذ أحمد حسن الباقورى عن الملك الصالح
ثم ألقى الشاعر محمود حسن إسماعيل النخيلي
قصيدة، ثم اختتمت الحفلة بالسلام الملكى ...». واما
الآبيات المنشورة فى «السياسة الأسبوعية» من
قصيدة ناجى عن الملك، فإننى أثبتتها هنا من باب
الأمانة تجاه شعر ناجى، فضلا عن أنها آبيات
جميلة، وهذا نصها:

هل للمليك اذا وافيت سدته
إخلاصنا لك اضحى عندنا دينا
يا عارفاً بأمانى الشعب فى زمن
مصر وانتَ به أغلى أمانينا
ويا ندى طائفنا أيا منى لمست
كفاه تربتها اخضرت رياحيننا
يا من بذلت لنا أيام محنتنا
كففاً تؤازر أوعينا تراحيننا
ويا هوى الناس فى حل ومر تحل
سمعت آهاتنا فاسمع أغانينا

... هل خرج ناجى من حديقة الحب بقصائده التى
كتبها فى التفكه والمداعبات، والرثاء، والحماسة
الوطنية، والوصف والمدح؟ .. أكاد أجيب قائلاً، لا .. لم
يخرج .. لكنه خرج من حديقة الحب حقاً حين كتب
قصائد قليلة جداً من شعر الهجاء ..

إطالة على العطاء الشعري

لم يكن العطاء الذي خلفه لنا ناجي محصورا في الشعر وحده، فقد كان له عطاء نثري غزير ومتنوع، ليس هذا مجال الحديث عنه، فالحديث هنا يتركز حول عطاءه الشعري الذي أكسبه ما أكسبه من شهرة وذيوع صيت، وكان ناجي قد بدأ نشر قصائده في مجلة نصف شهرية، هي مجلة «السيدات والرجال» ابتداء من عام ١٩٢٢، ثم نشر قصائد أخرى في جريدة «السياسة الأسبوعية» ومجلة «الهلال» ثم مجلة «أبولو» التي نشر فيها الجديد من قصائده، كما أعاد نشر بعض قصائده التي كان قد نشرها من قبل على صفحاتها. وخلال حياته لم يصدر ناجي غير ديوانين فحسب، ثم صدر له بعد رحيله عن عالمنا ديوان ثالث، وجمعت هذه الدواوين الثلاثة وأضيفت إلى قصائدها بضعة قصائد وصدرت في ديوان ضخيم يشملها جميعا هو «ديوان ناجي»، ثم صدرت مختارات من قصائد ناجي، ونستعرض هنا هذا العطاء الشعري.

● «وراء الغمام» - الديوان الأول

كان عام ١٩٣٤ عام خصوبة شعرية، ففيه صدر ديوان «وراء الغمام» أول دواوين ناجي، إلى جانب أنه شهد صدور دواوين «الكائن الثاني» و «الينبوع» للدكتور أحمد زكي أبو شادي، و «الألحان الضائعة» لحسن كامل الصيرفي، و «ديوان صالح جودت» و «الزورق العالم» لمختار الوكيل، و «ظلال القمر» لأحمد مخيمر، و «الملاح التائه» لعلي محمود طه و «ديوان الماحي» لمحمد مصطفى الماحي، أما أول دواوين محمود حسن إسماعيل وهو ديوان «أغاني الكوخ» فقد صدر في يناير عام ١٩٣٥ .

وقد اشتعلت في أعقاب صدور «وراء الغمام» معركة نقدية عنيفة كان هذا الديوان سببها الظاهر، وقد نشبت تلك المعركة في ذلك الوقت بين شعراء جماعة أبولو وعباس العقاد مع تلاميذه من جهة، وبين شعراء جماعة أبولو والأستاذ الدكتور طه حسين من جهة أخرى، والحق أن النفوس كانت مهياة لتلك المعركة من قبل أن يصدر ديوان ناجي الأول، ولذا فإن صدوره كان فرصة لاشتعالها بسرعة. نقد طه حسين ديوان «وراء الغمام» نقدا قاسيا، ونشره في جريدة الوادي في يونيو ١٩٣٤، ورأى فيما رأى «... أن صاحب» «وراء الغمام» من هؤلاء

الشعراء الذين يحسن أن نستمتع بما في شعرهم من الجمال
الفنى، كما نستمتع بجمال الوردة الرهيفة النضرة، دون أن
نشطُ عليها بالتقليب والتعذيب، هو شاعر هين، لين، رقيق،
حلو الصوت، عذب النفس، خفيف الروح، قوى الجناح، ولكن
إلى حد، لا يستطيع أن يتجاوز الرياض المألوفة، ولا أن يرتفع
في الجو ارتفاعاً بعيد المدى، وإنما قصاراه أن ينتقل في هذه
الرياض التي تنبت في المدينة أو من حولها، والتي لا تكاد تبعد
عنها كثيراً، وهو إذا ألم بحديقة من الحدائق أو جنة من
الجنات لا يحب أن يقع على أشجارها الضخمة الشامخة في
السماء، وإنما يحب أن يقع على أشجارها المعتدلة الهينة،
ويتخير من هذه الأشجار أغصانها الرطبة اللدنة التي تثير في
النفس حناناً إليها، لا إكباراً لها ولا إشفاقاً منها. هو شاعر حب
رقيق، ولكنه ليس مسرفاً في العمق ولا مسرفاً في السعة ولا
مسرفاً في الحب الذي يحرق القلوب تحريقاً ويمزق النضوس
تمزيقاً، شعره أشبه بما يسميه الفرنجة موسيقى الغرفة منه
بهذه الموسيقى الكبرى التي تذهب بك كل مذهب، وتهيم بك
في ما تعرف وما لا تعرف من الأجواء.. ونقد عباس العقاد
ديوان ناجي في عدد ١٢ يونيو ١٩٣٤ من جريدة الجهاد، وجاء

نقده أكثر فسوة من فقد طه حسين وأشد منه عنفا فقد اتهم
ناجى بأنه سرق أبياتا من شعره هو وضمنها قصائده بعد أن
حاورها، وقال إن «أظهر ما يظهر من سمات هذه المجموعة
الضعف المريض والتصنع، فإن صاحبها كما يدل عليه كلامه
من أولئك النوع الذين يفهمون أن «الرقعة ترادف البكاء، وأن
الشاعر ينظم ليبكي ويشكو فإذا هجره الحبيب بكى وإذا
تناجى مع حبيبته قال لها «هاتى حديث السقم والوصب» إلى
نحو ذلك من أعراض الرخاوة المريضة التي لا نزال نحاربها
منذ ٢٠ سنة في الشعر والنثر والغناء»..

وكان من الطبيعي أن يرد ناجى على ما وجه إليه وإلى
شعره من نقد، وكان من الطبيعي أيضا أن يرد على طه
حسين فهو الأقرب إلى نفسه والا يرد على العقاد لأنه
بطبيعته الودية كان ينفر في حرارة نفسه من طبيعة العقاد
الخشنة ومن أسلوبه الناري وعباراته التجريحية التي يصبها
على رؤوس ناقديه ومنقوديه على حد سواء، لكن ناجى
تورط في رده إذ أنه لم يستطع أن يخفى غيرته من على
محمود طه الذي كان طه حسين قد نقده نقدا مجاملا قبل أن
يكتب ما كتب عن ناجى، وقد كان هذا من دواعي الجفوة التي

وقعت بين الشاعرين الصديقين علي محمود طه وإبراهيم ناجي.. رد شاعرنا على طه حسين في عدد ٢٠ يونيو ١٩٣٤ من مجلة الأسبوع فقال مما قال: «.. أنت ترانى قوي الجناح إلى حد، ترانى رقيقا وترى لي موسيقى تسميها موسيقى الغرفة» ويلوح لى من تفضيلك على طه أنك لست ترضى عن تلك الرقة ولا تعجب بهذه الموسيقى، بل أنت من أنصار الشاعر الذى تراه «مهياً» ليكون جباراً، أنت من أنصار الأدب العنيف.. الأدب المنتشوى الهتلرى.. من أنصار النسر الذى يحط على الشجر الباسق ويبسط جناحيه بسطة عقادية، الواقع أن هذا العصر في حاجة إلى مثل ما تحب، أما نحن فأدبنا مائع رخو، أدب دموع وضعف، وقد كنت أحب أن أعرف رأيك يا مولاي في ليالي الفريد دى موسيه وروائع لا مرتين كالبحيرة والوادي ما رأيك في هذا الضعف الشائن من شاعرين لم يخلد لهما إلا الدموع الذائبة؟! ومع ذلك قل لى منصفاً وليقل العقاد أى أنواع الأدب أحب إلى النفوس؟ سيقوم الموتى من قبرهم وستنبض كل صحيفة في كتبهم بالحياة، صارخة «مأسينا خلدت ودموعنا هي التي عاشت!» وأنت لو سألت نفسك عن أحب الكتب إليك قالت «الأيام» ولو سألت قراءك نفس السؤال

قالوا: «الأيام» .. لماذا؟ لأنها قصيدتك الكبرى، فيها دموعك
وفيهما ضعفك كذلك، وهي أقوى ما كتبت! ولو سألت العقاد أي
الشعراء تحب؟ لقال لك «هاردي» وما شعر هاردي إلا دموع،
وضعف من الصنف الذي يعيرنا به..».

لكن هذا الرد المتهذب لم يرزض - بطبيعة الحال - من هم
على شاكلة العقاد، ممن تقترب طبائعهم من طبيعته الخشنة،
ومن هؤلاء الشاعر سيد قطب الذي كان وقتها من أخلص
تلاميذ العقاد، رأى سيد قطب أن المعركة بين طه حسين
وابراهيم ناجي ليست معركة بالمعنى الحقيقي، وإنما هي أقرب
إلى سذاجة الاطفال منها إلى أي شيء آخر، وانتقد اهتمام طه
حسين بإبراز الجزئيات في ديوان ناجي، كما انتقد رد ناجي
ورأى فيه ردا لا يليق بالرجال أن يردوا بمثله، وقد كان هذا
في العدد التالي مباشرة للعدد الذي نشر فيه ناجي رده من
نفس المجلة .. مجلة الأسبوع .. قال سيد قطب تحت عنوان:
«معركة النقد الأدبي - ودوافعها الأصيلة» .. «الحق أقول إن
المعركة بين طه حسين وناجي معركة رخيصة هادئة أشبه
بعتاب العبيبين، منها بخصام المتلاحين وإن كنت أرى أن
الدكتور طه قد اتجه إلى الجزئيات في الديوان أكثر مما اتجه

إلى الكليات، وأنه اشتد في بعض المواضع شدة لا تتناسب مع الصورة الرقيقة التي رسمها لناجي في أول مقاله «وهي الصورة التي رسمتها في «الاهرام» قبل مقال الدكتور طه بأسبوع» وإن كنت أرى كذلك أن ناجي تلقى هذه الشدة باضطراب وجزع - يتفقان مع طبيعته - ولكنها لا يليقان بأديب، وإن كلمته التي كتبها ردا على طه فيها دموع وفيها شهيق وزفير لا يليقان بالرجال، ولكن يعزينا عن ذلك كله أن المعركة هنا أقرب شيء لسذاجة الأطفال وبراءة الأطفال...»

ورأى على أحمد ماهر في مقاله الذي عقب به على نقد طه حسين لناجي أن هذا النقد إنما هو حلقة من سلسلة الظلم الذي تحالف الشيوخ الذائعون على أن يدكوا به أعناق الشبان ذكرا عنيفا، ثم أشاد العقب بموسيقى ناجي وامتدح شعره، وخلص إلى أن طه حسين يريد تحطيمه لكي يبردما أقدم عليه من خلع إمارة الشعر على العقاد بعد أن رحل أمير الشعراء أحمد شوقي.

أما السيد عطية شريف فقد رأى أن حملة سيد قطب على ناجي قد قصد بها تمجيد العقاد على حساب جميع من بعدهم منافسيه، وأنه إن ذهب إلى شيء خفيف من النقد

السطحي للعقاد، وإنما يقصد إلى التمويه على القارئ بأنه مستقل فكرياً عن العقاد، وذكر السيد عطية شريف، أنه لم يكن يعرف سيد قطب باعتباره شاعراً إلا من خلال تنويه مجلة أبولوبه، ومع هذا فقد سولت له نفسه أن يشن عليها حملة بذيئة غير خافية المقاصد، والحق أن المعركة النقدية التي نشبت في ذلك الوقت ما لبثت أن تحولت إلى المهاترات والمباحكات اللفظية وافتعال المواقف، ولعل الكلمة الوحيدة التي كتبها صاحبها لوجه الفن وحده كانت كلمة الشاعر حسن كامل الصيرفي الذي قال: «إننا لا نحب المفاضلات والمنافسات السخيفة كما لا نؤمن بالتوحيد في الأدب، والمتحدث إلى أعضاء جمعية أبولو لا يجد بينهم إلا اتفاقاً في المبادئ الفنية العامة التي تسائر حيوية الفن كما تماشى روح العصر، ولكنه لا يجد تلك التحزبات الشخصية المقوَّتة التي اشتهرت عن بعض الجماعات والفئات» وقد دخل محمود حسن اسماعيل المعركة باتهامه للعقاد بأنه سرق أبياتاً من شعره من محمود سامي البارودي، وبدلاً من أن يقر بهذا أو يعترف به، نجده يلقب لناجى تهمة سرقة أشعاره هو، وقد اشترك في تلك المعركة النقدية إلى جانب من ذكرناهم الدكتور أحمد زكي أبو شادي

ومحمود الشرقاوى ومختار الوكيل وصالح جودت ومصطفى
عبداللطيف السحرتى.

على أنه بعيدا عن مهاترات تلك المعركة، فإن هناك عددا من
المقالات النقدية الجادة قد حلت فصائد ديوان «وراء الغمام»،
ومن تلك المقالات مقال نظمى خليل في عدد نوفمبر ١٩٣٤ من
مجلة أبولو ومقال حسين عفيف في عدد ٦ يوليو ١٩٣٤ من
مجلة «الأسبوع»، فضلا عن الفصل النقدى الجاد والمنصف الذى
كتبه ابراهيم المصرى في كتابه «صوت الجيل» وهو الكتاب
الذى صدر عام ١٩٣٤ أيضا ..

والواقع أن بعض شواغل الحياة أسمعت في إبعاد ناجى عن
جو تلك المعركة، ففى شهر يونيو ١٩٣٤ - كما يقول صالح
جودت - «شد الشاعر رحاله إلى أوروبا ليعاون أخاه الأصغر فى
الالتحاق بكلية «تولوز» الفرنسية للنسيج، ثم ليواصل طريقه
إلى لندن، ليشهد مؤتمرا طبيا منعقدا هناك» ... وكان لوقائع
المعركة التى كانت تصل إليه أنباؤها هناك أسوأ الأثر على
نفسيته الرقيقة، إلى درجة أنه كان يسير فى شوارع لندن
المزدحمة بالناس والسيارات شارد اللب، حائر الروح، مشتت
النفس، وكان من جراء هذا أن صدمته إحدى السيارات، فعاد

إلى مصر وساقه في الجبس، ولم يقدر له الشفاء من حادث التصادم هذا إلا في نوفمبر ١٩٢٤، وهذا ما علقته به «المجلة الجديدة الأسبوعية» في عددها الصادر بتاريخ ١٦ نوفمبر ١٩٢٤ تحت عنوان «تعليقات على حوادث الأسبوع»: «سر كثيرون بشفاء الدكتور ناجي من سقطته في لندن، فقد كان أصيب بكسر في ساقه وهو يعبر شارعاً، وبدلاً من أن يقضى إجازته في التنزه بين الريف والحضر الإنجليزيين، قضاه في المستشفى على السرير، وساقه في الجبس، وللدكتور ناجي مجلة يجدر بكل ربة ممن ربات البيوت أن تقتنيها هي «حكيم البيت» وله قصائد تتسم برقة اللفظ الموسيقية، ومعانيه أقرب إلى الحلاوة منها إلى الجلال. وهو معنى بالغة قلما يخطي، وهذه صفة نادرة في الطبقة التي ينتمي إليها» وقد كان من نتائج المعركة النقدية أن زادت الجفوة بين شاعرنا ناجي وصديقه القديم علي محمود طه، كما أنها - وهذا هو الأسوأ - قد زعزعت ثقة ناجي في قدراته الفنية، وأعلن أنه سينصرف عن الشعر وأنه سيهجر الأدب، وقد أعلن هذا في حديث أدلى به لمراسل «المجلة الجديدة الأسبوعية» وقد نشر هذا الحديث في عدد الأربعاء ٦ مارس عام ١٩٢٥ تحت عنوان

«لماذا هجرت الأدب؟ .. حديث هام مع الاستاذ الدكتور
ابراهيم ناجي»، والحق انه ليست لهذا الحديث قيمة تذكر،
بغض النظر عن قيمته التاريخية فيما يختص بدراسة
شاعرنا، أما ما يعكس نفسية ناجي في تلك الرحلة، ويستمد
من هذا قيمته، فهو ختام مقدمته لكتابه «مدينة الاحلام»
الذي صدر عام ١٩٢٥، يقول ناجي بحسرة ما بعدها حسرة:
«بالأمس أخرج الشاعر ديوانه، واليوم قد أخرج القاص ما
لديه من قصص، وأفضى الفكر بما أنتج فكره، وغدا ينطوى
الشاعر وينسى القاص ويتلاشى الفكر .. غدا ينقلب القدر
وينهزم الخيال وتحطم الروح أعز أمانيتها وأغلى ميولها، غدا
تحرقها وتنظر إلى لهيبها كما تنظر إلى الشفق والشمس ذاهبة
.. غدا فراغ، غدا يمشى الطبيب إلى قبر الأديب الذي كان ذات
يوم هو نفسه وقد حمل في يده زهورا، فيضعها عليه دافع
العين ثم يعود فإذا الطريق خاوية مقفرة، وإذا به في زحام
الناس كواحد من الناس يجوع فيأكل وتضحك له الدنيا
فيتהל، وتعبس له فينقبض، فعل منعكس واستجابة لدافع ..
ويمر به الجمال فلا يرى فيه غير مظهره، وأما المعنى والروح
فقد مضى بهما الشاعر رحمه الله. ويستمتع الموسيقى فيصيح

مع الصائحين، ويصخب مع الصاخبين، أما الألوهية الدفينة
التي تقف بالمستمع على حافة الأبدية، أما السلاف السماوية
التي تنسكب في أعماق أعماق النفس، كل هذا ينطوى مع الفنان
الذاوي وا أسفاه.. وغداً يمر بالناس، فيراهم صوراً متشابهة،
الات فحمها الرزق ومحركها الجنس والجوع .. أما الفيلسوف
فذهب في أثر الشاعر والفنان.

وداعا أيها الشعر ..

وداعا أيها الفن ...

وداعا أيها الفكر ..

وداعا ودمعة مرة وابتسامة أمرا ..

وإذا كنت قد تعمدت الإطالة في سرد وقائع المعركة النقدية
التي كان صدور ديوان «وراء الغمام» سببها الظاهر، فذلك
مرجعه إلى اننى حاولت ان أقدم صورة متكاملة لتلك المعركة،
نظرا لأن جميع الذين تناولوها بالتحليل من الدارسين، قد
اهتموا بإبراز الصورة التي تجعل القارئ يتعاطف مع ناجي
فحسب، وذلك بتركيزهم على المقالات النقدية التي هاجمت
ديوانه، وإغفالهم لتلك التي امتدحتة، أو تلك التي وقفت منه
موقفاً جادا موضوعيا، هذا إلى جانب أن تلك المعركة كان لها

أسوأ الأثر على نفسية شاعرنا - كما سبق أن ذكرت - وهذا ما سأسير إليه عند الحديث عن «مصادر القصائد المجهولة» لناجى .. وأما قيمة ما كتبه شاعرنا فى ختام مقدمته لكتابه «مدينة الأحلام» فيتمثل فى أنه يقدم لقارئه تصوره النظرى لدور الشاعر فى الحياة، ورأيه فى أن الشاعر الحق هو من يتأمل الأعماق الخبيثة من جوانب الحياة، لا من يتعلق بالقشور السطحية التى يستطيع معرفتها الناس العاديون دون ما حاجة إلى الفن، وهذا التصور النظرى يتسق - بطبيعة الحال - مع النماذج الشعرية التى أبدعها ناجى من جهة، كما أنه يتعارض - من جهة أخرى - مع التصور النظرى لدور الشاعر فى الحياة عند على محمود طه.

ونظرا لأن الشاعر فى ناجى كان أصيلا ولم يكن مجرد واجهة خارجية، فإنه عاد إلى الشعر مرة أخرى، على الرغم من حديثه الذى أعلن فيه أنه هجر الأدب، وعلى الرغم من كلماته الجريئة فى ختام مقدمته لكتاب «مدينة الأحلام».. والحق أن ناجى لم يستطع أن يهجر فنون الأدب جميعها فى تلك الفترة التى هجر فيها الشعر مؤقتا، فقد نشرت له المجالات الأدبية فى ذلك الوقت العديد من القصص القصيرة التى يغلب

عليها الاتكاء على العنصر الشخصي، فضلا عن أنه نشر عددا من المقالات النقدية وطائفة من البحوث التي تتناول علاقة علم النفس بالأدب، إلى جانب اشتغاله بترجمة العديد من القصص القصيرة العالمية ..

بعد عودة ناجي إلى فنّه الأصيل أخذ ينشر قصائده في أهم المجلات الأدبية في ذلك الوقت .. «الرسالة» و «الثقافة» و «السياسة الأسبوعية» و «المجلة الجديدة» و «مجلتى»، وكان نتاج الشاعر من الغزارة بحيث أن مجلة «الرسالة» وهي مجلة أسبوعية كما هو معروف كانت تنشر له قصيدة في كل عدد من أعدادها بصورة شبه منتظمة، وكان هذا في أواسط الأربعينيات على وجه التحديد، وقد جمع شاعرنا طائفة من تلك القصائد، وأصدرها في ديوانه الثانی «ليالى القاهرة»، بينما لم يهتم بجمع طائفة أخرى منه، ولعله رأى أن يؤجل جمعها إلى حين، أو لأنه لم يكن راضيا تماما عنها. وهناك أمران لم يلتفت إليهما أحد على الإطلاق من دارسى شعر ناجي، أحب أن أشير إليهما هنا مجرد إشارة، الأمر الأول أن المترجم الشهير الراحل دريني خشبة قد كتب سلسلة مقالات بعنوان «شعر ناجي» في أواسط الأربعينيات، وقد نشرها في

مجلة «الرسالة» ابتداء من عدد ٢٤ أبريل عام ١٩٤٤، وهي مقالات مهمة وإن كانت متحمسة بصورة واضحة لناجى وقد كتب درينى خشبة هذه المقالات، معتمدا على الديوان الأول لناجى «وراء الغمام» والأمر الثانى أن ناجى لم يكن يفكر فى إصدار ديوانه الثانى «ليالى القاهرة»، وإنما كان يفكر فى إعادة طبع ديوانه الأول «وراء الغمام» بعد أن يضيف اليه قصائده الجديدة التى كان ينشرها فى تلك الفترة، وقد تأكدت من هذا الذى أقوله من خلال خبر صغير، نشر فى مجلة «الرسالة» ضمن ما كانت المجلة تسميه «كشكول الأسبوع».

• «ليالى القاهرة» - متى صدر؟!

وفيما يتعلق بديوان «ليالى القاهرة»، فإننى أعترف بأن تاريخ صدوره ظل لغزا محيرا إلى أن تكشفت لى حقيقة الأمر، وهذا مرجعه إلى تضارب النقاد والكتاب الذين كتبوا عنه فى تحديد العام الذى صدر فيه. فقد ذكر عبدالعزیز الدسوقي فى ثبت المراجع الذى ذيل به كتابه «جماعة أبولو» (ص ٥٨٦) إن هذا الديوان قد صدر عام ١٩٤٢، بينما ذكر الدكتور محمد مندور فى الحلقة الثانية من كتابه «محاضرات

في الشعر المصري بعد شوقي» (ص ٥٨) أنه صدر عام ١٩٤٤، وذكر الدكتور شوقي ضيف نفس التاريخ في كتابه «الأدب العربي في مصر» (ص ١٥٥) كما أن التعريف بحياة ناجي ونتاجه والذي ذيل به كتاب «أزهار الشر» الذي صدر بعد وفاته، قد ذكر هو أيضا نفس ذلك التاريخ (١٩٤٤) - راجع ص (١٤٩) أما صالح جودت فقد ذكر أن «ليالي القاهرة» قد صدر عام ١٩٥١، وذلك في مقدمته لديوان ناجي (ص ٢٢). وهذا التضارب هو ما جعل الأمر لغزا محيرا في البداية، لكن الحقيقة تكشفت لي عندما قمت بمراجعة أعداد مجلة «الرسالة» في تلك الفترة الزمنية التي تضارب فيها القول وهي الفترة الممتدة من عام ١٩٤٢ إلى عام ١٩٥١، وقد وجدت - من خلال المراجعة - أن عباس خضر يعاتب ناجي في عدد من متواليين من أعداد مجلة الرسالة عام ١٩٥٠ لأنه أهدى نسخة من ديوانه الجديد لرئيس التحرير، ولم يهده نسخة منه، وقد ثبت لي باليقين أن ديوان «ليالي القاهرة» قد صدر عام ١٩٥٠ من خلال مراجعتي المتأنية للجزء التاسع من «فهرس الكتب العربية التي اقتنتها دار الكتب المصرية من سنة ١٩٢٥ إلى سنة ١٩٥٥»، ففي صفحة ٥٤٦ من ذلك الفهرس إشارة

ببليوجرافية إلى ذلك الديوان: هذا نصها: «ليالى القاهرة -
نظم ابراهيم ناجى - مطبعة الفكرة سنة ١٩٥٠م، ٢٢٤ ص
القاهرة رقم ز ٨٦٧٤، ٨٦٧٥ ..».

ولكيلا يكون هناك أى تضارب مرة أخرى بشأن تاريخ صدور
«ليالى القاهرة» فإننى أحيل الدارسين المهتمين إلى عدد يناير
عام ١٩٥٠ من مجلة «الحديث» الحلبية، وعدد مارس عام ١٩٥١
من مجلة «الكتاب» التى كان يرأس تحريرها الشاعر والكاتب
عادل الغضبان، وفى عدد مجلة «الحديث» نبذة عن الديوان
(ص ٥٤٥ - ٥٤٦)، وتنتهى هذه النبذة بالقول «.. والديوان فى
٢٧٥ صفحة فنشكر للشاعر هديته» أما عدد مارس عام ١٩٥١
من مجلة «الكتاب» فيشير إلى صدور «ليالى القاهرة» ضمن
الدواوين التى صدرت عام ١٩٥٠، وهذا هونص الإشارة (ص ٢٢٩)
.. «كان إنتاج العام الماضى (أى عام ١٩٥٠) غنيا بالشعر، فقد
ظهر فيه بضعة عشر ديوانا، تختلف بين الشعر القديم والشعر
الحديث، ويختلف الحديث بين المذاهب المختلفة للفن الذى
توحى به الآلهة أو الشياطين!! .. ودواوين الشعر الحديث هى:
«ديوان الخليل» ج ٤، وبه تم ديوان المرحوم خليل بك مطران
الذى تولت إخراجة لجنة تكريمه، و «الحانى» لابراهيم هاشم

الفلالى من أدباء الحجاز و«ليالى القاهرة» للدكتور ابراهيم ناجى، و«فكر وروح» للآنسة أمانى فريد، و «بعد الأعاصير» لعباس محمود العقاد و«الظلال» لعبد الغنى سلامة و «جنى الأيام» لعبد المجيد مصطفى خليل»..

صدر ديوان «ليالى القاهرة» عام ١٩٥٠ إذن، وليس عام ١٩٤٣ أو عام ١٩٤٤ أو عام ١٩٥١، وقد بدأ الشاعر ديوانه بإهداء رقيق يقول فيه «إلى صديقى ع. م . الذى ندى الزهر الذابل من خمائل الماضى وأنبت فى روض الحاضر زهورا ندية مخضلة بالأمل والحياة .. إليه أقدم ما أوحى به إليّ ..» وقد تصدرت الديوان مقدمة ضافية قيمة ومتحمسة للشاعر، كتبها «معالي ابراهيم الدسوقي أباطة باشا» الذى يرى صالح جودت أنه كان «راعيا للشعراء وكان يجمعهم فى رابطة أدباء العروبة، وكان ناجى شاعره الأثير».. ويتسم ديوان «ليالى القاهرة» بأنه يتضمن عددا من القصائد المطولة، وهى تلك القصائد التى يتجاوز الشاعر حين يطلق عليها «ملاحم»، فالملاحم - كما هو معروف - فن شعري عرفه الأقدمون من الإغريق والرومان والفرس والهنود، وكانوا يقصدون به إلى تسجيل تاريخهم والإشادة بأمجادهم ومآثرهم فى مجال الحروب التى خاضها أبناؤهم،

ولهذا الفن بطبيعة الحال خصائصه الفنية وسماته المميزة التي يعرف بها ومن خلالها، وليست الملاحم إذن أن يضم الشاعر عددا من قصائده الذاتية إلى بعضها ويطلق عليها عنوانا موحدا على نحو ما فعل ناجي فيما نستطيع تسميته بالقصائد المطولة مثل «ليالى القاهرة» و«السراب» و«الأطلال» و«الخريف»، ويشتمل هذا الديوان - ضمن ما يشتمل عليه - على قصيدتين من قصائد المديح قالهما الشاعر فى مناسبتين، أولاهما عيد تتويج الملك فاروق ملك مصر فى ذلك الوقت، وثانيتهما عيد الميلاد الملكى «السعيد». وقد سبق أن اشترت إليهما ويتضمن الديوان أيضا عددا من قصائد «الاخوانيات» معظمها وجهه الشاعر إلى معالى «ابراهيم الدسوقي أباطة باشا، كما أن بعضها موجه إلى «عزيز باشا أباطة» بمناسبة زيارته لبيت الشاعر.

والحق أنه على الرغم من أن «ليالى القاهرة» قد تضمن عددا وفيرا من روائع ناجي إلا أن طريقة إخراجه نفسها كانت بالغة السوء، فضلا عن أنه يحفل بالأخطاء المطبعية التي يقل وجودها فى ديوانه الأول.

• «الطائر الجريح» - الديوان الثالث

في عام ١٩٥٧، وليس في عام ١٩٥٣ - كما توهم أحد الباحثين وهو الدكتور طه وادي - صدر الديوان الثالث لناجى بعد أربعة أعوام من رحيله عن عالمنا، وقد جمع قصائد هذا الديوان الذى حمل عنوان إحدى قصائده «الطائر الجريح» صديق من أخلص أصدقاء ناجى هو الشاعر الراحل أحمد رامى، وتصدرت ديوان «الطائر الجريح» مقدمة مقتضبة كتبها الشاعر والمحقق محمد عبدالغنى حسن، وقصائد «الطائر الجريح» هي - في الواقع - عدد من القصائد التى لم ينشرها ناجى فى حياته ضمن ديوانه الثانى «ليالى القاهرة»، كما أن عددا آخر منها كان ناجى قد كتبه بعد صدور «ليالى القاهرة»، واعتقد أن أحمد رامى قد تدخل فى بعض قصائد «الطائر الجريح» حيث تأكد لى أنه قد حذف عدة مقطوعات من بعض تلك القصائد.

• «ديوان ناجى» - الديوان الرابع الشامل

صدر «ديوان ناجى» عام ١٩٦١، حيث كانت «وزارة الثقافة والإرشاد القومي» قد شكلت لجنة، كلفت - كما يقول صالح

جودت في كتابه عن ناجي - ص ٥٧ - «بجمع تراث ناجي الشعري المطبوع والمخطوط وشرحه وتنسيقه بغية نشره في ديوان واحد» .. وكان أعضاء تلك اللجنة شاعرين من أصدقاء ناجي هما أحمد رامي وصالح جودت وأستاذًا جامعيًا هو الدكتور أحمد هيكل فضلًا عن الشقيق الأكبر للشاعر وهو محمد ناجي، وقد أنجزت اللجنة مهمتها التي كلفت بها في شهر فبراير عام ١٩٦٠، وصدر ديوان ناجي بعد ذلك بعام، وقد أثار صدوره في ذلك الوقت ضجة صحفية اعتمدت على الإثارة أكثر مما اعتمدت على الدراسة المتأنية، وكان مثار تلك الضجة هو أن الديوان قد تضمن -خطأ- قصائد من شعر الدكتور كمال نشأت، نظرًا لأن أعضاء اللجنة قد توهموا أنها لناجي، والواقع أن ديوان ناجي - منذ صدوره عام ١٩٦١ حتى الآن - لم يظفر بدراسة واحدة من الدراسات الموضوعية المتأنية بعد أن هدأت الضجة الصحفية، ولست أزعم أن العناية الإلهية قد أرسلتني لأقوم بهذه الدراسة الموضوعية المتأنية، فالحق أن قصارى ما سأفعله الآن هو أن أبرز عددًا من النقاط المتعلقة بتحقيق ديوان ناجي، وهي نقاط لم يشر إليها أحد من

قبلى ولو عَرَضاً على الرغم من اشتراك الكثيرين من النقاد والصحفيين في أحداث الضجة التي أعقبت صدور الديوان، وقبل أن أبرز تلك النقاط أحب أن أبين تصويرى الخاص لما سار عليه أعضاء اللجنة في عملهم، ومن خلاله سيتضح للقارئ أن السبب الجوهرى فيما وقع فيه هؤلاء الذين حققوا الديوان أنهم لم يوزعوا العمل عليهم توزيعاً يحقق له الأسلوب العلمى، فأحمد رامى - فيما أتصور - اكتفى بما أسهم به من قبل فى جمع قصائد «الطائر الجريح» وكان بهذا عضواً شرفياً لا عضواً عاملاً، وصالح جودت تحمل معظم أعباء العمل لكنه اعتمد كلية على ذاكرته، ويبدو أن صداقته الطويلة لناجى قد ملأته بالثقة فيما كان يذكره أو يجمعه، أما شقيق ناجى فقد كان عضواً سورياً يستمد عضويته من كونه شقيقاً للشاعر فحسب دون أن يكون مؤهلاً للقيام بتحقيق الأعمال الأدبية، ويكفى أنه هو الذى قدم لبقية الأعضاء قصائد كمال نشأت طالباً ضمها إلى ديوان ناجى على أساس أنها له وأنه صاحبها، ويبقى من الأعضاء الدكتور أحمد هيكل الذى امتلأت نفسه بالثقة - فيما أتصور - لأن اللجنة تضم معه

شاعرين صديقين لناجى إلى جانب شقيقه - ولهذا فإنه لم يحاول أن يتثبت تثبتاً علمياً مما كان يذكره صالح جودت من أمور اعتمد فيها على ذاكرته وحدها.

وهكذا يمكن القول إن صالح جودت على وجه التحديد قد وقع فى الأخطاء التالية:

١ - ذكر فى هامش قصيدة «صخرة الملتقى» أن ناجى «نظم هذه القصيدة فى المنصورة حوالى عام ١٩٢٨» (ص ٢١٠ من الديوان) والثابت بالدليل القاطع أن ناجى قد نشر هذه القصيدة فى جريدة السياسة الأسبوعية، بتاريخ ٦ أغسطس ١٩٢٧، فكيف إذن نظمها حوالى عام ١٩٢٨؟

٢ - ذكر فى هامش قصيدة «قلب راقصة» أن ناجى «نظم هذه القصيدة سنة ١٩٢٥، وكانت ملهمته فيها هى الراقصة كريمة أحمد» (ص ٢٦٧ من الديوان) والثابت بالدليل القاطع أن ناجى قد نشر هذه القصيدة ضمن قصائد ديوانه الأول «وراء الغمام» وقد صدر الديوان فى مايو ١٩٢٤، فكيف إذن نظمت القصيدة عام ١٩٢٥؟

٣ - ذكر فى هامش قصيدة «مرثية الشاعر الهمشرى» أن

ناجى نظم هذه القصيدة فى رثاء «محمد عبدالمعطى
الهمشرى» الشاعر الذى رحل عن الدنيا وهو فى الثلاثين
من عمره سنة ١٩٢٩» (ص ٢٧٢ من الديوان) والثابت من
جميع المراجع التى تحدثت عن الهمشرى بما فيها كتاب
صالح جودت نفسه «م . ع . الهمشرى - حياته وشعره» أن هذا
الشاعر الرقيق قد غادر دنيانا عام ١٩٢٨.

ووقعت اللجنة - مجتمعة - فى الأخطاء التالية

١ - قال ناجى فى البيت التاسع من أبيات قصيدته الشهيرة
«العودة»:

أيها الوكر إذا طار الأليف

لا يرى الآخر معنى للسماء

وقد نشرت قصيدة العودة ثلاث مرات، وفيها هذا
البيت بصورته التى قدمتها، فقد نشرت فى العدد
التاسع من مجلة «الأسبوع» الصادر فى ٢٤ يناير ١٩٢٤،
وكانت قد نشرت قبل هذا بعامين فى مجلة أبولو، وعلى
وجه التحديد فى عدد سبتمبر ١٩٢٢ (ص ٨٤) وقد نشرت

ضمن قصائد «وراء الغمام»، ومع هذا فإن البيت الذى ذكرته قد تغيرت صورته بتغيير «للسماء» إلى «للهناء» على الرغم من أن السماء أشمل وأعمق إذا صرفنا النظر عن الأمانة العلمية، وقد نشر البيت (ص ٣٩ من الديوان).

٢ - قال ناجى فى أحد أبيات قصيدة «السراب فى السجن» وهى «الجزء الثالث» مما يسميه شاعرنا «ملحمة السراب»:
يا عزيز الجنى عليك سلام
كيف جادت بقربك الأقدار؟

وقد نشر هذا البيت بصورته هذه ضمن القصيدة كلها مرتين، أولاهما فى العدد ٦٢٩ من مجلة الرسالة الصادر بتاريخ أول اكتوبر ١٩٤٥، وثانيتها ضمن «ليالى القاهرة» الذى صدر كما بينت عام ١٩٥٠، ومع هذا فإن هذا البيت قد تغيرت صورته بتغيير لفظ «جادت» بلفظة «جاءت» على الرغم من أن اللفظة الأولى أكثر إيحاء وبالتالي أعمق شاعرية، وقد نشر البيت فى (ص ٦٠ من الديوان) وأصبح الشطر الثانى (كيف جاءت بقربك الأقدار؟).

٣ - نشر محققو الديوان هامشا ذيلوا به قصيدة
«لقناء في الليل» (ص ١٤٥) وهذا نصه: «في هذا
المقطع بيت ناقص، وقد وجدناه ساقطا من أصل
القصيدة في ديوان: «ليالى القاهرة» وهذا بطبيعة
الحال غير صحيح، ففي صفحة ٢٢٦ من ديوان
«ليالى القاهرة» كتب ناجي يقول ما نصه:
«استدراك - في صحيفة ٢٥ قبل البيت الأخير سقط
من الطبع البيت التالي:

قلت أهدنى لِمَ ثورة الندم

كفأك ترتجضان يا أملنى

وسرى بعد قليل أن أحمد حجازي قد ولد خطأ خاصا
من هذا الخطأ الذي وقعت فيه اللجنة!

٤- قال ناجي في قصيدة «انتظار» (ص ١١٤ من وراء
الغمام..»)

فتصطبب العواطف ساخرات

وتطعننى بأطراف الحراب

ولم يصحح الشاعر البيت بإبدال «العواطف» بلفظة «العواصف» لأنه كان قد ذكر هذا البيت مصححا في نفس القصيدة، وبالتالي فإنه ترك أمر تصحيحه للقارئ الذكي، لكن أعضاء اللجنة لم يهتموا بتصحيح البيت وهذا ما يجده القارئ في (صفحة ٣١٠ من الديوان) ..

٥ - ذكر محققو الديوان هامشا ذيلوا به قصيدة «إهداء ديوان» هذا نصه: «هذه القصيدة هي إهداء ديوانه الأول «وراء الغمام» وقد أشرنا إليها في التمهيد لهذا الديوان الشامل (ص ٢٥٧ من الديوان) ، وهذا غير صحيح، فبالرجوع إلى جريدة «السياسة الأسبوعية» وجدت أن ناجي قد نشر هذه القصيدة في عدد السبت ٦ سبتمبر ١٩٣٠، وكان عنوانها «إهداء اشعار» وقد صدرها بقوله «طلباً من الشاعر مجموعة من شعره فقدمها بالأبيات التالية»، ومن المعروف بالطبع أن ديوان «وراء الغمام» قد صدر في مايو ١٩٣٤ أي بعد نشر تلك القصيدة في السياسة الأسبوعية بخمس سنوات ..

٦ - ذكر محققو الديوان في الكلمة الموقعة باسم «اللجنة» (ص ٧ من الديوان): «أننا قد وضعنا في نهاية هذا الديوان فهرسا يسجل مصدر كل قصيدة ورقم صفحاتها في المصدر»،

والباحث في نهاية هذا الديوان لا يستطيع العثور على هذا
الفهرس مهما يطل به البحث، وبذلك تكون اللجنة قد ذكرت
في مفتتح الديوان أنها ستنفذ أمرا، ووقع بعدئذ نوع من
السهو أو النسيان، فأنساها أن تنفذ في نهاية الديوان ما ذكرته
في المفتتح.

٧ - قدم شقيق ناجي إلى اللجنة قصائد من شعر الدكتور
كمال نشأت، وطلب ضمها إلى ديوان ناجي على أساس أنها له
وأنه صاحبها، ولم تحاول اللجنة التثبت من هذا تثبتا علميا،
فكانت النتيجة أن اندست ست عشرة قصيدة لكمال نشأت في
«ديوان ناجي»، خمس عشرة قصيدة منها نشرها الشاعر ضمن
قصائد ديوانه «رياح وشموع» الصادر عام ١٩٥١، أما القصيدة
السادسة عشرة فقد نشرها كمال نشأت في إحدى الجرائد
اليومية كما يقول هو نفسه وهي قصيدة «يا مصر» كما أنني
وجدتها منشورة في مجلة الثقافة .. وقصائد كمال نشأت
حسب ترتيبها في ديوان ناجي هي: «انتظار القافلة» ص ٤٥،
«بحيرة البجع» ص ٥٢، «رحلة في الظلام» ص ٧٨، «وداع -
صورة جندي من هنود كشمير» ص ٩٨ «حديث فراشة» ص ١١١
«إلى البحر» ص ١١٤، «ربيعي» ص ١٦٢، «نسمة الفجر» ص ١٧٤،

«حديث فراشة القسم الثاني» ص ١٨٣، «رياح وشموع» ص ٢٠١،
«لقاء» ص ٢٠٢، «يقظة الرماد» ص ٢١٥، «مارسيان» ص ٢٢٥
«عينان من العراق» ص ٢٢٦، «نبيح وقطرات» ص ٢٥٦ ومن المهم
ذكر الصفحة التي نشرت فيها القصيدة الأخيرة في ديوان
كمال نشأت فقد نشرت في ص ٥٣، وقد ذكرت «اللجنة» (ص ٧
من الديوان) «اننا حرصنا على إثبات تواريخ القصائد التي
استطعنا أن نظفر بتواريخها ومكان نظمها أيضا» والواقع أن
القصائد المؤرخة والمذيلة بأماكن نظمها هي قصائد كمال
نشأت الذي كان يحرص على إثبات تواريخ قصائده، وأماكن
نظمها، أما شاعرنا ناجي فإنه لم يحرص على هذا في أية
قصيدة من قصائد دواوينه، ولكن ما سر وجود قصائد كمال
نشأت لدى ناجي؟ الأمر بسيط، فقد قدم كمال نشأت - وكان
معجبا بشاعرنا - مخطوطة ديوانه «رياح وشموع» لكي يكتب
له مقدمة، وعندما طال انتظار كمال نشأت لها آثر أسفا أن
ينشر ديوانه بدونها، وترك المخطوطة عند ناجي دون أن
يطلبها منه وظلت بين أوراقه إلى أن رحل عن عالمنا وهنا
قدمها شقيقه إلى اللجنة على أساس أنها له، وهذه القصة
تذكرنا بقصة القصيدة المطولة التي كتبها بدر شاعر السياب

بعنوان: «بين الروح والجسد» والتي قيل أنها تناهز الألف بيت، فقد أرسلها السياب إلى علي محمود طه ليكتب لها هو الآخر مقدمة، وإلى الآن لم يعثر عليها بين أوراق علي محمود طه، والحق أنه كان ينبغي على اللجنة لاعتبارات فنية واضحة أن تميز بين قصائد ناجي وقصائد كمال نشأت، صحيح أن كمال نشأت كان متأثراً بناجي في بعض قصائده، ولكن هذا التأثير لم يصل إلى حد عدم التمييز بين قصائد الشاعرين، وهناك قصائد أخرى تأثر فيها كمال نشأت أوضح التأثير بشعراء المهجر مثل قصيدة «ربيعي» و «نبع وقطرات» ولم يكن ناجي ممن تأثروا بشعراء المهجر فيما كتب، وهناك قصائد أخرى تتسم بغلبة الصور الحسية مثل قصيدة «في معبد الليل» وهي مما لا يمكن لناجي أن يكتبه لأنها تخالف طبيعته ومن أبياتها:

فنام الضوء خجلانا	على مصباح نشوان
قـريرا لا تنبهه	سوى أنات تحنان
وكان الليل مرتميا	على النافذة الوسنى
تلصص خلسة يرنو	إلى معبدنا الأسنى
فشاع السربين	الليل والأ نجم والزهر
وإذا بالفجر بساما	إلى الفين في خـدر

وهناك قصائد أخرى تتسم بتنوعات عروضية شكلية، لم يكن ناجي قد استخدمها في قصائده ومنها «انتظار القافلة» و «مارسيان».

٨ - نسب محققو الديوان إلى ناجي أربعين بيتاً ليست من شعره، وإنما هي من شعر علي محمود طه، وهي أبيات قصيدة بعنوان «المرأة» (ص ١٧١ من الديوان) والحقيقة أن علي محمود طه قد نشر قصيدته هذه عدة مرات في عدة مجلات قبل أن ينشرها في «أرواح وأشباح» الذي صدر عام ١٩٤٢.

ومن العجيب، بل من الغريب أن صالح جودت ظل مصراً على الخطأ وأن الخطأ ليس خطأ بل إنه عين الصواب، فبعد أن كتبت جريدة «أخبار اليوم» - عدد ١٢ سبتمبر عام ١٩٦٦ عن هذا الخطأ واعتبرته فضيحة أدبية، فإن صالح جودت كتب مقالا في مجلة «المصور» - عدد ٧ أكتوبر عام ١٩٦٦، وكان عنوان مقاله بالنص: «.. فالأبيات إذن لناجي، لآل علي محمود طه والفضيحة إذن ليست فضيحة لأحمد رامي وصالح جودت وأحمد هيكل الذين نشروا ديوان ناجي .. وإنما هي مردودة على من اخترعوها في تجرد من النبيل ..» ولو كان صالح جودت قد كلف نفسه أن يقلب صفحات «أرواح وأشباح» لآل علي

محمود طه، لما كان قد كتب مقاله هذا، وكان قد آثر الصمت
تماماً! ..

٩ - كانت عملية جمع قصائد ناجي التي لم ينشرها في
ديوانيه خلال حياته، تتم بطريقة مرتجلة، تعتمد على
المصادفة وحدها، ولهذا نسي أعضاء اللجنة أن يجمعوا قصائد
كثيرة من صفحات المجلات والجرائد، وقد قدر لي أن أقوم
بجمع قصائد عديدة لم يدر ببالي ولا ببال غيري أنها راقدة
في ثنايا تلك المجلات والجرائد، هذا بينما اعتمد أعضاء اللجنة
على الذهاب إلى ملهفات ناجي لكي يسألوهن عما إذا كان
شاعرنا قد نظم فيهن شعرا، ومن الملهفات اللائي ذهب إليهن
أعضاء اللجنة كما يذكرون هم (ص ٥ من الديوان) الملهمة
«سونيا التي قدمت لنا بعض مناديلها وأمشاطها وأتوجرافاتها،
فجمعنا منها أربع قصائد نظمها ناجي في جلسة واحدة،
وتجدونها في هذا الديوان، وهي «كيف أنساك؟» و «خشوع»
و «عيد سونيا» و «دنيا»

ولكي أبين خطورة الاعتماد على «الملهفات» وغيرهن في
مجال التحقيق العلمي للنصوص الأدبية، فإني أحب أن
أشير إلى أن محققى الديوان قد نشروا بيستين لناجي

وذيلا وهما بالهامش التالي «عن مخطوطة قدمتها إلينا
الآنسة ضوحية كريمة الشاعر (ص ٢٢١)، والواقع أن هذين
البيتين هما آخر بيتين من قصيدة نشرها ناجي في العدد
الخامس من المجلد الثالث عشر من مجلة «مجلتي» وهو
العدد الصادر بتاريخ ٢٧ نوفمبر ١٩٢٨ - (ص ٢١٩) والقصيدة
بعنوان «بعد الشباب» ويمكن أن يطالعها القارئ كاملة نقلا
عن: «مجلتي» ضمن «القصائد المجهولة» والواقع أن ناجي
قد نشر هذه القصيدة مرتين أخريين بعد نشرها في
مجلة «مجلتي» إذ أنه نشرها في مجلة «الحديث» الحلبية
ومجلة «الهلال»..

● «مختارات من قصائد ناجي»

في عام ١٩٧١ صدرت عن دار الآداب - البيروتية مختارات من قصائد ناجي، اختارها وقدم لها أحمد عبدالمعطي حجازي الذي تردى فيما تردت فيه لجنة تحقيق «ديوان ناجي» على الرغم من أنه هاجم أعضاء تلك اللجنة - في مقدمته - ونسب إليهم الإهمال ..

وقع أحمد عبدالمعطي حجازي في أخطاء عديدة، لن أذكر هنا إلا أهمها:

١ - ذكر أحمد عبدالمعطي حجازي أن «ناجي كان يعمل طبيباً في المنصورة حوالى عام ١٩٢٩» (ص ١٧ من ابراهيم ناجي - قصائد)، والواقع ان هذا غير صحيح فقد عمل ناجي طبيباً في المنصورة عام ١٩٢٧.

٢ - قال أحمد حجازي «وناجي يعطي نفسه الحرية في أن يجعل التاء المنونة في كلمة مثل «هادئة» قافية ..» (ص ٢٥ من ابراهيم ناجي - قصائد) والواقع ان التاء المنونة لا تسمى في العروض قافية، وإنما يطلق عليها حرف الروي، ويمكن لحجازي الرجوع إلى أى كتاب في العروض لكي يتثبت من هذا،

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن هذا المثال الذي استشهد به حجازى لم يتكرر مطلقا فى شعر ناجى كما بين حجازى، فضلا عن قبج حرف الروي بالصورة التى أورده بها ناجى، والتى جعلته لا يكرر هذا فى شعره مطلقا، وهذان هما البيتان اللذان جرى فيهما هذا:

وليبق يا هذى البحيرة فى حاليك ثائرة وهادئة
فى ياسق للماء منعطف فى رائعات الصخر ناتئة

وهذان البيتان هما من قصيدة «البحيرة» العربية (ص ١٣٩ من وراء الغمام).

٣ - قال أحمد حجازى إن ناجى «فى إحدى قصائده المكونة من مقاطع ثنائية يورد مقطعا مكونا من بيت واحد غير حريص على إكماله ببيت آخر لتظهر القافية» (ص ٢٥ من إبراهيم ناجى - قصائد)، وقد سبق أن ذكرت أن حجازى قد ولد خطأ خاصا من الخطأ الذى وقعت فيه لجنة تحقيق ديوان ناجى، فقد أشرت من قبل إلى الهامش الذى نشره محققو الديوان وذيّلوا به قصيدة «لقاء فى الليل» وهذا نصه مرة أخرى: «فى هذا المقطع بيت ناقص، وقد وجدناه ساقطا من

أصل القصيدة في ديوان «ليالى القاهرة» وهذا بطبيعة الحال غير صحيح، فالبيت الناقص أورده ناجي في ص ٢٦ من ديوان «ليالى القاهرة» وذكر مستدركا أنه سقط من الطبع، ولكن المحققين لم يرجعوا إلى هذه الصفحة، وجاء أحمد حجازي فاعتمد عليهم ولم يرجع إلى ديوان «ليالى القاهرة»، ثم استنتج حجازي من هذا أن «هذا كله ما جر على ناجي سخط النقاد المتعصبين للقواعد كالدكتور طه حسين وجعلهم يحسبون إنهم أمام شاعر غير مكتمل الأدوات» (ص ٢٦ من ابراهيم ناجي - قصائد) والواقع أن الدكتور طه حسين - كما هو معروف وكما بينت من قبل - لم ينقد ديوان «ليالى القاهرة» وإنما نقد ديوان «وراء الغمام» فحسب، بينما يرد البيت الذى توهمت اللجنة أنه ناقص فى ديوان «ليالى القاهرة»، ثم إننا لا نستطيع ان نقول عن شاعر إنه جدد فى قوافيه لمجرد إنه أورد بيتا واحدا فى مقطع ثنائي الأبيات على فرض صحة هذا، وهو غير صحيح، فلكى نتحدث عن تجديد شاعر ما فإنه لابد أن يكون لهذا التجديد خصائصه وسماته التى يكون بمقدوره من خلالها ان يشكل ظاهرة واضحة فى شعر هذا الشاعر، على أى حال فهذان هما البيتان

اللذائين يشكلان المقطع الثنائي لكي يتبين لحجازي أن المقطع ليس مؤلفاً من «بيت واحد» كما ذكر:

هلتُ أهدئي لِمَ ثورة الندم كضاك ترتجفان يا أملئ
وأخذت أدفيء بردها بضمي لو تنفعن حرارة القُبلِ

٤ - ذكر حجازي أن ناجي «نشر في عام ١٩٣٠ أولى قصائده «صخرة الملتقى» في جريدة «السياسة الأسبوعية»، والحق أنني لست أدري من أين أتى حجازي بهذا التاريخ؟ ... فقصيدته «صخرة الملتقى» منشورة في عدد «السياسة الأسبوعية» الصادر بتاريخ ٦ أغسطس ١٩٢٧ - صفحة (٢٠) - كما ذكرت من قبل.

٥ - ذكر حجازي أن ناجي «توفي يوم ٢٥ مارس سنة ١٩٥٢» (ص ٢٩ من إبراهيم ناجي - قصائد) وهذا غير صحيح، ولكن من الأمانة أن أقول إن كل المراجع التي ذكرت تاريخ وفاة ناجي قد وقعت فيما وقع هو فيه من خطأ باستثناء صالح جودت الذي قال «وتنتهى قصة الشاعر الخالد في يوم ٢٤ مارس سنة ١٩٥٢» (ص ٢٣ من مقدمة ديوان ناجي) والواقع أنني راجعت أعداد شهر مارس من جريدة «الأهرام» لكي اتثبت من التاريخ الحقيقي لوفاة الشاعر إلى أن عثرت في

«الأهرام» عدد ٢٥ مارس ١٩٥٢ - ص ١١ على هذا النعي: «أفزع المحافل الطبية والأدبية بعد ظهر أمس نبأ مفاجيء نعى إليها الطبيب الشاعر المغفور له .. الدكتور ابراهيم ناجى .. فكان للمصاب فيه وقع أليم فى نفوس مقدريه من أصدقائه وعارفيه، لقد وهب الضميد حياته للطب والأدب فبرع فى كليهما وسخر كفايته فيهما لخدمة الانسانية والمثل العليا، فكان طبه ملاذا المرضى من الفقراء والمحتاجين، وكان شعره إشراقا من وحى الروح الأمين، يهدي إلى الحق المبين وينير الطريق للحائرين، وكان الدكتور ناجى طبيبا موظفا فى مصلحة السكك الحديدية وفى وزارة الصحة وفى وزارة الاوقاف، ثم اعتزل الخدمة الحكومية منذ شهرين، بعد ان ترك فى كل دائرة من دوائر عمله أثرا مذكورا بالتقدير والعرفان على كل لسان، ولن ينسى أحد ممن عرفوه ما كان عليه من دماثة الخلق وفضيلة التواضع ورقة الحاشية والسمو بالواجب إلى أعلى المراتب، طيب الله ثراه، وجعل الجنة مثواه وألهم ذوية وأصدقائه الصبر الجميل».

٦ - ذكر حجازى أن وزارة الثقافة «أصدرت عام ١٩٦٠ ديوان ناجى الكامل الذى ظهرت به بضع عشرة قصيدة من الأشعار

الأولى للشاعر المصري كمال نشأت نتيجة لإهمال المكلفين
بجمعه وتحقيقه وهم أحمد رامى وصالح جودت والدكتور
أحمد هيكل ومحمد ناجى شقيق الشاعر وكان ذلك سببا فى
ضجة كبيرة».

والواقع أن الديوان صدر عام ١٩٦١ لا عام ١٩٦٠ كما أنه «لم
تظهر به بضع عشرة قصيدة من الأشعار الأولى للشاعر
المصرى كمال نشأت» فحسب، وإنما تضمن قصيدة «المرأة» وهى
لعلى محمود طه وقد سبق أن بينت هذا.

٧ - على الرغم من أن أحمد حجازى نسب الإهمال إلى لجنة
تحقيق ناجى. إلا أنه هو نفسه فقد تردى فيما تردت فيه
اللجنة، إذ أنه ضمن المختارات التى اختارها من قصائد ناجى
قصيدة ليست له، وإنما هى لكمال نشأت!! (راجع ص ٧٩ من
ابراهيم ناجى - قصائد) والقصيدة بعنوان «نبع وقطرات»
ويمكن للقارئ الرجوع إليها فى ص ٥٢ من ديوان «رياح
وشموع» للشاعر كمال نشأت، وكان حريا بحجازى بدلا من أن
يشغل نفسه بالهجوم على غيره أن يشغل نفسه بقراءة
القصيدة بتمعن، لكى يكتشف من خلال موضوعها ومن خلال
صورها وتراكيبها اللغوية أنها لشاعر متأثر بشعراء المهجر

تأثرا واضحا، ففي القصيدة أنفاس من ميخائيل نعيمة
وجبران خليل جبران بشكل خاص، وهذه بضعة أبيات منها:

كنت في عمري الغرير نهيرا	يرهب البحر ذا العباب العتي
ويخاف الأعماق فيه ويخشى	من فناء في لجسه الأزلى
فإذا بي الضناء والخلد واللي	ل وإشراق الصباح الوضى
والذى يلمس الاله بجانبينه	يشسيم الاله في كل شى
في ارتعاش الفصون في بسمة	الطفل وفي آهة بقلب شجى
في صلاة النساك في حانة الله	و وفي دمعة البيئس الرضى
والسعيد السعيد من وجد	الكون على قلبه الكبير النقى

إن القارئ لهذه القصيدة يلمس أن صاحبها يترسم
خطى ميخائيل نعيمة في قصيدة «كحل اللهم جفنى»
على وجه التحديد، وهي إحدى قصائد ديوانه «همس
الجفون»، ولا ننسى هنا رسالة الماجستير في ذلك الوقت
عن «شعر المهجر»، كما أن ناجى - في شعره كله - لم يكن
يلجأ إلى التصغير كأن يقول «نهير» بدلا من «نهر» أو
«شجيرة» بدلا من «شجرة»، كما أن البيت الأخير من
الأبيات التي أوردتها يشير إلى أن كمال نشأت كان معجبا

بقصيدة «صلوات في هيكل الحب» للشاعر التونسي أبو القاسم الشابي، وهذا كله يجعل قصيدة كمال نشأت بعيدة الصلة عن روح شعر ناجي إذا ما أردنا أن نلتمس العذر لأحمد حجازي. ولكن ما الذي جعل حجازي يتردى في كل هذه الأخطاء؟ السبب - في اعتقادي الثابت - أنه تعجل كتابة مقدمته واختيار قصائد ناجي، فما كان منه إلا أن يلجأ إلى ديوان ناجي الذي حققته اللجنة، وكان ينبغى عليه فعلاً أن يلجأ إلى دواوين ناجي نفسها، ويقارن بينها وبين ديوان ناجي، وهناك دلائل كثيرة تشير إلى أن حجازي لم يرجع إلى دواوين ناجي نفسها، منها على سبيل المثال ورود الشطر الثاني من أحد أبيات قصيدة «العودة» على النحو التالي (لا يرى الآخر معنى للهناء)، وهذا مالا يجده القارئ في ديوان «وراء الغمام» كما بينت من قبل في معرض حديثي عن أخطاء اللجنة بل إن حجازي لم يهتم حتى بتصحيح الشكل في هذا الشطر، فكلمة «الآخر» - وهي فاعل - تجيء مفتوحة لا مضمومة في نص القصيدة من ديوان ناجي وحده، وهي تجيء على نفس الصورة الخاطئة في مختارات حجازي، ومن دلائل

اعتماد حجازى على ديوان ناجى وحده، أن عبارات
عديدة من عبارات صالح جودت فى مقدمته لهذا الديوان
تندس فى ثنايا المقدمة التي كتبها حجازى، فضلا عن
قصيدة كمال نشأت التي نقلها حجازى - بطبيعة الحال -
من ديوان ناجى ..

● «فى معبد الليل» - الديوان الملقق»

فى أواخر عام ١٩٧٣ صدرت عن دار العودة البيروتية طبعات جديدة من دواوين ناجى «وراء الغمام» و «ليالى القاهرة» و«الطائر الجريح»، وقد وقعت الطبعات الجديدة فى أخطاء عديدة، لكن ما يهمنى الآن هو الإشارة إلى ديوان رابع بعنوان «فى معبد الليل» صدر عن نفس الدار البيروتية، والحق أن هذا الديوان ديوان ملقق بكل معنى الكلمة.

ماذا عن الديوان الملقق؟ .. يضم هذا الديوان خمسا وثلاثين قصيدة، أربع قصائد لم تنشر من قبل لناجى فى المجلات أو الجرائد الادبية وقد صدر الناشر بهذه القصائد ديوان «فى معبد الليل» الملقق، وهى على النحو التالى: قصيدة «الى أميرتنا» وهى ثلاثة أبيات كتبها ناجى فى عيد ميلاد ابنته «أميرة» (الرابع عشر يوم ١٠/٤/١٩٤٦)، وقصيدة «الى ابنتى» وهى تتضمن خمسة أبيات كتبها ناجى لابنته أميرة مثل سابقتها وقصيدة «أبد الخلود» وقد كتب تحتها هامش هذا نصه: «عندما زارت الشاعرة نازك الملائكة الدكتور ناجى فى مصر أهدى إليها ديوانه ليالى القاهرة وقد كتب «الإهداء» هذه

القصيدة التي أرسلتها اليينا الشاعرة من جامعة الكويت،
ويتضمن هذا «الإهداء» الشعري أربعة أبيات هي:

ما كان أقصر هذه من زورة ما أشبهتتنا من بشاشة نازك
كلأ ولا روى النهى من زهرة بالظهر تُفصح عن سمات ملائك
إننا حمدنا لليالي أنها قد قربتنا من سن سماءك
إن كان أسعدنا الزمان بساعة فكأنها أبدُ الخلود حيالك

أما القصيدة الرابعة فهي قصيدة «تكريم» (ص ٧٢٢) وهي -
كما يذكر الهامش المكتوب تحتها (قصيدة الدكتور ناجي في
الحفلة التي أقامها فريق من أنصار التجديد وأعلام المدرسة
الحديثة تكريماً لصاحب مجلة الحديث الحلبية الأديب الراحل
سامي الكيالي سنة ١٩٢٢) ومطلعها:

نفسدي النزيل ونكر من إن لم نكرمه فمن؟

يبقى إذن من القصائد الخمس والثلاثين التي يضمها
الديوان الملقب إحدى وثلاثون قصيدة جميعها - بلا استثناء -
منقولة بنصوصها وهوامشها التي تعلق عليها من صفحات
ديوان ناجي الذي حققه صالح جودت وشركاؤه، وهذه

القصاصد مرتبة حسب أولويتها في ديوان ناجي - فأولى القصاصد «إلى أمينة» يجدها القارئ في ديوان ناجي - طبعة ١٩٦١ (ص ٥٤) والثانية «تحت الباب» يجدها القارئ في ديوان ناجي - (ص ٩٠) والرابعة «عجبا» يجدها القارئ في الديوان المذكور (ص ١٠١) .. وهكذا تتوالى القصاصد دون إشارة ولو سريعة إلى المصدر الذي نُقلت عنه نصوصها وهوامشها!! .. وفيما يتعلق بقصيدة «في معبد الليل» التي يحمل الديوان الملقب اسمها فإنها ليست من شعر ناجي، وإنما هي من شعر كمال نشأت كما سبق أن ذكرت وكررت، ومن الغريب أن هذا الديوان ما يزال في المكتبات، بل إن «دار الشروق» في مصر قد أعادت طباعته!! أما ما هو أغرب، فيتمثل فيما ذكره الدكتور طه وادي في كتابه عن ناجي، حيث يؤكد أن ديوان «في معبد الليل» قد صدر عام ١٩٤٦ أي خلال حياة ناجي، وهذا التأكيد من جانبه فضيحة علمية بكل المقاييس!!

• قصائد مجهولة

في سنة ١٩٧٨ صدر عن مكتبة مدبولي بالقاهرة كتاب «ابراهيم ناجي - قصائد مجهولة - جمعها وقدم لها حسن توفيق»، يضم هذا الكتاب خمسين قصيدة مجهولة لناجي، منها اثنتان وثلاثون قصيدة نشرت في هذا الكتاب لأول مرة بعد أن قمت بجمعها من الجرائد والمجلات القديمة التي نشرت فيها، أما بقية القصائد الثماني عشرة، فإن ناجي قد غير في نصوصها المعروفة تغييرا كبيرا، بشكل يجهله تماما كل الذين لم تتح لهم فرصة الاطلاع على تلك النصوص عندما نشرها ناجي لأول مرة في الجرائد والمجلات المختلفة، وقد تصدرت هذه القصائد مقدمة مطولة مستفيضة، بينت فيها - ضمن ما بينته - مصدر كل قصيدة من تلك القصائد، ولست أريد الحديث عن هذا الكتاب، حتى لا أتهم بمجاملة النفس، لكني أكتفى هنا ببعض إشارات الآخرين إلى «قصائد مجهولة»، فقد تلقيت رسالة خطية من المهندس حسن ناجي، رأى عبير سطورها- أن هذا الكتاب أعمق دراسة عن أخيه الدكتور ابراهيم ناجي، أما الشاعر والكاتب القدير كمال النجمي فإنه

أسعدنى حين كتب عن الكتاب مقالا مطولا على امتداد
صفحتين فى مجلة «المصور» عدد ٨ سبتمبر عام ١٩٧٨، وفيه
يقول: «هكذا كان شاعرنا ابراهيم ناجى .. ذكرته رحمه الله
حين تلقيت ديوانه «الجديد» الذى جمع فيه الشاعر الكاتب
حسن توفيق قصائد مجهولة من ناجى .. وكتب لها مقدمة
طويلة ممتازة، بين فيها ما وقع من الخلط فى جمع شعر
ناجى حين قامت بجمعه إحدى اللجان منذ سنوات، وقد أسدى
الشاعر حسن توفيق إلى الشعر المصرى الحديث يدا بيضاء بما
بذله من جهد كبير فى جمع هذه القصائد المجهولة التى
استخرجها من الظلام كما تستخرج الجواهر من المناجم
السحيقة» ..

وإذا كنت قد فرحت فرحا عميقا بعد صدور «قصائد
مجهولة» إلا أن هذه الفرحة ما لبثت أن تعكرت، بل كادت
أن تتبدد، منذ أن علمت أن أحد أصدقاء ناجى الحميمين
وأحد المثقفين المصريين القلائل الذين يعملون فى صمت،
وهو الكاتب وديع فلسطين، كان قد نشر عدة مقالات
مطولة عن ناجى وعن شعره الضائع والمجهول فى مجلة
«الأديب» البيروتية، وحين قرأت هذه المقالات بعد صدور

كتاب «قصائد مجهولة» أدركت مدى الخسارة التي لحقت بي ومدى الكسب العنوي الذي كان يمكن أن يتحقق لو أتيح لي أن أتابع هذه المقالات قبل صدور كتابي هذا، وفي إحدى هذه المقالات يقول وديع فلسطين .. «عند أبريل ١٩٧٩ من مجلة «الأديب» .. لا أريد أن أنتقص من قدر الجهد الذي بذله حسن توفيق، فالواقع أنه في بحثه عن ناجي وفي جريه وراء شعره الضائع قد صادفه التوفيق، ولكن من الخطأ القول أن الخمسين قصيدة الواردة في كتابه هي كل شعر ناجي الضائع، فلا بد لأي دارس من أن يضيف إليها ما سبق لي جمعه، ولا بد كذلك من التنقيب عن جديد من شعر ناجي الضائع استكمالاً لديوانه الذي أصابه النقص منذ صدوره ..».

والواقع أنني لم أقل إطلاقاً إن قصائد ناجي المجهولة تتمثل في خمسين قصيدة، بدليل أنني سعيت - فيما بعد - إلى الاستاذ وديع فلسطين، واستفدت من مقالاته أكبر فائدة، وظللت أعاود البحث بكل ما أوتيت من جهد ومن طاقة، إلى أن أصبحت القصائد المجهولة التي ضمتها «الأعمال الشعرية الكاملة» مائة قصيدة وقصيدة، في

طبعة المجلس الأعلى بمصر سنة ١٩٩٦ أى أنها تضاعفت من خمسين قصيدة إلى مائة قصيدة وقصيدة، ومع كل هذا فإنى أعتقد بضرورة وجود قصائد أخرى مجهولة وإن تكن قليلة، لكنى لم أستطع الوصول إليها وقتها..

• الأعمال الشعرية الكاملة

مع أتى أدرك أن الكمال لله وحده، على اعتبار أن أى جهد بشري لا بد أن تشوبه نقائص وسلبيات، إلا أننى أستطيع القول، وأنا مطمئن إلى ما أقول، إن ما يشتمل عليه المجلد الذي صدر عن المجلس الأعلى للثقافة بمصر سنة ١٩٩٦. هو الذى نستطيع أن نسميه «الأعمال الشعرية الكاملة» للشاعر الرقيق الكبير الدكتور إبراهيم ناجى ..

تضم «الأعمال الشعرية الكاملة» التي صدرت سنة ١٩٩٦ دواوين وقصائد ناجى على النحو التالي:

١ - «وراء الغمام» - وهو الديوان الأول للشاعر، والذي أصدره فى مايو عام ١٩٣٤، وقد اعتمدت فى تلك «الأعمال الشعرية الكاملة» على نسخة الطبعة الأولى التي تضمها مكتبتي

الخاصة، والتي كتب عليها ناجى إهداء بخط يده لأحد مفتشى
وزارة المعارف، كما سبق أن أشرت، وقد حرصت على إثبات
مقدمة أحمد الصاوى محمد للديوان وقصيدة «إلى ناجى
الشاعر» التى تتصدر الديوان والتي كتبها الدكتور أحمد زكى
أبو شادى تحية لناجى ..

٢ - «ليالى القاهرة» - وهو الديوان الثانى للشاعر، والذي
أصدره عام ١٩٥٠ وليس عام ١٩٤٣ أو عام ١٩٤٤ أو عام ١٩٥١، كما
سبق أن بينت بالدليل القاطع، وقد اعتمدت فى تلك الأعمال
الشعرية الكاملة» على نسختى من الطبعة الأولى التى تضمها
مكتبتى الخاصة، والتي كنت قد حصلتُ عليها - هدية - من
مكتبة مدرسة روض الفرج الثانوية أيام أن كنت طالبا بها،
وقد حرصت على إثبات مقدمة إبراهيم الدسوقي أباطة
«باشا» التى تتصدر الديوان، كما أننى لم أسقط القصيدتين
اللتين كتبهما ناجى عن الملك فاروق الأول فى عيد ميلاده،
وعيد تتويجه، حيث حرصت على إثباتهما كما وردتا فى
الطبعة الأولى.

٢ - «الطائر الجريح» - وهو الديوان الثالث للشاعر، والذي
صدرت طبعته الأولى عام ١٩٥٧ عن دار المعارف بمصر ضمن

سلسلة «فى ظلال الوحى» وليس عام ١٩٥٢ كما ذكر الدكتور طه وادى، وقد اعتمدت فى «الأعمال الشعرية الكاملة» على النسخة التى تضمها مكتبتى الخاصة من هذه الطبعة الأولى، وحرصت على إثبات المقدمة التى كتبها محمد عبدالغنى حسن لهذا الديوان، كما أننى أضفت الأبيات التى كان أحمد رامى قد حذفها من بعض تلك القصائد، أثناء جمعه لقصائد هذا الديوان.

٤ - «قصائد من ديوان ناجى» - وقد رأيت أن أسميه الديوان الرابع للشاعر، أما القصائد التى يشتمل عليها فهى القصائد المتبقية من «ديوان ناجى» الذى حققته اللجنة المكونة من صالح جودت وأحمد رامى والدكتور أحمد هيكل ومحمد ناجى، وهذه القصائد المتبقية هى التى لم تضمها دواوين «وراء الغمام» و«ليالى القاهرة» و«الطائر الجريح» وعدد هذه القصائد التى جمعها أعضاء تلك اللجنة ثمان وعشرون قصيدة، أضيفت إليها أربع قصائد هى «إلى أميرتنا» و«إلى ابنتى» و«أبد الخلود» و«تكريم» وهى القصائد التى كان الناشر - دار العودة البيروتية - قد أضافها إلى القصائد الثماني والعشرين التى جمعها أعضاء اللجنة، ثم أصدرها مجتمعة

تحت عنوان «في معبد الليل» والذي سبق أن ذكرت أنه ديوان «ملفق»، وبهذا يكون مجموع «قصائد من ديوان ناجي» الذي تضمنه «الأعمال الشعرية الكاملة» اثنتين وثلاثين قصيدة، وقد اعتمدت على الطبعة الأولى من «ديوان ناجي» الذي استعرت نسخة منه من الأستاذ وديع فلسطين بعد ضياع نسختي الخاصة، كما اعتمدت على نسختي الخاصة مما سماه ناشره «في معبد الليل».

٥- «قصائد مجهولة» - وقد رأيت أن أسميه الديوان الخامس والأخير للشاعر، وقد صدر «قصائد مجهولة» في طبعته الأولى عام ١٩٧٨ بعد أن جمعت قصائده وقمت بتحقيقها وكتبت لها مقدمة علمية مطولة، وصدرت طبعة أخرى من «قصائد مجهولة» في بيروت عن «المركز العربي للثقافة والعلوم»، دون استئذان أو موافقة مني على صدورها، أي أنها صدرت في إطار القرصنة الأدبية! وهذه الطبعة ليست مؤرخة، وقد اشترت نسخا منها من عدة مكتبات في بغداد عندما كنت أزورها عام ١٩٨٥.

كان ديوان «قصائد مجهولة» في طبعته الأولى والثانية المزورة يضم خمسين قصيدة مجهولة، أما «قصائد مجهولة»

الذى اشتملت عليه الأعمال الشعرية الكاملة، فإنه يضم مائة قصيدة وقصيدة..

وقد قمت بترتيب «قصائد مجهولة» ترتيبا تاريخيا أى ان القاريء لها يجد قصائد لناجى كتبها من عام ١٩٢١ وهو العام الذى سبق تخرجه من «مدرسة الطب السلطانية» وحتى شهر فبراير عام ١٩٥٢ أى قبل رحيله عن عالمنا بشهر واحد، حيث أنه قد رحل عن عالمنا - كما نعرف - يوم ٢٤ مارس عام ١٩٥٢. وتشتمل الأعمال الشعرية الكاملة، التي صدرت عن المجلس الأعلى للثقافة في مصر على ثلاثمائة وسبع عشرة قصيدة على النحو التالي،

- ١ - ديوان «وراء الغمام» - يضم أربعاً وخمسين قصيدة،
 - ٢ - ديوان «ليالى القاهرة» - يضم أربعاً وسبعين قصيدة.
 - ٣ - ديوان «الطائر الجريح» - يضم ستاً وخمسين قصيدة.
 - ٤ - «قصائد من ديوان ناجى» - يضم اثنتين وثلاثين قصيدة .
 - ٥ - «قصائد مجهولة» - يضم مائة قصيدة وقصيدة.
- وإذا كنت قد جمعت - وقتها - مائة قصيدة وقصيدة، وكانت قصائد ناجى كلها (٣١٧) قصيدة، فهذا يعنى أننى قد جمعت ما يقرب من ثلث قصائد ناجى التي اشتملت

عليها «الأعمال الشعرية الكاملة». وقد راعيت أن أثبت تاريخ نشر أو كتابة كل قصيدة من القصائد المجهولة في الهامش الخاص بكل منها، أما تفاصيل المصادر المتعلقة بتلك القصائد، فإنها موجودة بصورة مفصلة ومستقلة لكي يتابعها الباحثون والدارسون إذا شاءوا أن يتابعوا.

وإذا كانت الطبعة التي صدرت عن «المجلس الأعلى للثقافة» في مصر، هي الطبعة التي نستطيع التي نسميها «الأعمال الشعرية الكاملة» لإبراهيم ناجي، فإن الجهد الذي قمت به هو بطبيعة الحال جهد فردي، وليس جهد «لجنة» كاملة تتألف من عدة أفراد.

لكن الجهد الفردي الذي قمت به لم يكن ليتحقق على النحو الذي تحقق به، لولا مساعدات وتشجيع كثيرين من الذين يعشقون ناجي، ولا بد لي هنا من الاعتراف بفضل الإنسان الرائع الكاتب وديع فلسطين الذي فتح لي آفاقا كبيرة، وأعارني الكثير من الكتب التي طلبت منه أن يعيرني إياها، كما أن مقالاته التي كتبها في مجلة «الأديب» اللبنانية عن ناجي قد أفادتني كثيرا، والحق أن

وديع فلسطين لم يبخل بوقته وجهده تجاه تلك «الأعمال
الشعرية الكاملة» حيث كان يفتح لى قلبه وببسته لأنقب
فى مكتبته الخاصة العامرة، ولأستوضحه فيما كان
غامضا من أمور تتعلق بناجى، ولا بد أن أذكر هنا شقيق
ناجى الراحل - المهندس حسن ناجى الذى استقبلنى فى
بيته وأعارنى دراسة مخطوطة عن ناجى، كان قد كتبها
الشاعر الراحل محمد مصطفى الماحى، وهى دراسة
أفادتنى وجمعت منها عدة قصائد مجهولة، ولا بد أن أشكر
السيدة الأستاذة عفت عبدالعزيز ناجى التى أهدتني
مقالا نقديا مخطوطا بخط ناجى، وهو مقال مكتوب على
أوراق عيادته الطبية ويتعلق بالنقد الأدبى فى تراثنا
القديم، كما أتوجه بالشكر لوالدتها الجليلة السيدة
جماليات مظهر التى أهدتني صورة لناجى كان قد كتب
عليها قصيدة بخطه، ويرجع تاريخ هذه القصيدة
المجهولة إلى شهر سبتمبر عام ١٩٢٤.

ولا بد أن أذكر هنا انى كنت أصل الليل بالنهار، إلى أن
فرغت من هذه الدراسة يوم ٢١ ديسمبر عام ١٩٩٥، لكي
تصدر الطبعة الأولى من «الأعمال الشعرية الكاملة» يوم

٢٤ مارس عام ١٩٩٦ والذي وافق الذكرى الثالثة والأربعين
لرحيل الشاعر الرفيق والكبير الدكتور إبراهيم ناجي،
وهذا ما كان بحمد الله، وأترك القارئ الآن يستمتع بهذه
«الأعمال الشعرية المختارة» من روائع ناجي وقصائده
«المجهولة على حد سواء».

«حسن توفيق»



من روائع إبراهيم ناجي

- خمس وعشرون قصيدة -



العودة

(عاد الشاعر إلى دار أحباب له فوجدها قد تغيرت حالها)

هذه الكعبة كنا طائفياً
والمصلين صبأحاً ومساءً
كم سجدنا وعبدنا الحسن فيها
كيف بالته رجعنا غرباء

دار أحلامي وحببي لقيتنا
في جمود مثمما تلقى الجديد
انكرتنا وهي كأننا إن رأينا
يضحك النور إلينا من بعيد

رفرف القلبُ بجنبتي كالذبيح
وأنا أهتف: يا قلبُ أتتُ

فِي جَيْبِ الدَّمْعِ وَالْمَاضِي الجَرِيحِ
لَمْ عُدْنَا؟ لَيْتَ أَنَا لَمْ نَعُدْنَا

لَمْ عُدْنَا؟ أَوْ لَمْ تَطْوِ القَرَامُ
وَقَرَعْنَا مِنْ حَنِينِ وَالْمِ
وَرَضِينَا بِسُكُونِ وَسَلَامِ
وَأَنْتَ هَيْثَا لِفِرَاحِ كَالْقَدَمِ؟

أَيُّهَا الوَكْرُ إِذَا طَارَ الأَلِيضُ
لَا يَرَى الأَخْرُ مَعْنَى السَّمَاءِ
وَيَرَى الأَيَّامَ صَفْرًا كَالخَرِيفِ
نَائِحَاتِ كَرِيحِ الصُّحْرَاءِ

أَهْ مِمَّا صَنَعَ الدَّهْرَ بِنَا
أَوْ هَذَا الطَّلَلِ العَسَابِسِ أَنْتَا
وَالخَيْيَالِ المَطْرُقِ الرَأْسِ أَنَا
شَدُّ مَابِتْنَا عَلَى الضَّنْكِ وَبِتُّ

أين ناديك وأين السمـرُ
أين أهلوك بساطاً وندامي
كلما أرسلتُ عيني تنظرُ
وثب الدمعُ إلى عيني وغماما

موطن الحسن ثوى فيه السأمُ
وسررتُ أنفاسه في جـوه
وأناخ الليلُ فيه وجثمُ
وجرتُ أشباحه في بهوه

والبلوى أبصرته رأيَ العيانِ
ويداه تنسجان العنكبوتِ
صحت! يا ويحك تبدو في مكانِ
كل شيءٍ فـيـه حيٌ لا يموتا

كل شيء من سرور وحرور
والليالي من بهيج وشجي
وانا اسمع أقلام الزمن
وخطى الوحدة فوق الدرج

ركني الحاني ومغناي الشفيق
وظلال الخلد للعاني الطليخ
علم الله لقد طال الطريق
وانا جنيتك كيما استريح

وعلى بابك ألقى جعبتي
كفريب أب من وادي المحن
فبيك كفاً الله عنى غربتني
ورسنا رحلي على أرض الوطن!

وطنني أنت ولكني طريد
أبدى النفي في عالم بؤسي!
فإذا عدت فالنجوى أعوذ
ثم أمضي بعد ما أفرغ كأس!

أغرقت في الأمل الجميل فلم أدع
متخيلاً عذبا ولا مأمولا
وبكيت من يأسى عليك فلم أذر
عند الحاجر مدمعا مبنولا
وأسائل الزمن الخفي لعله
يشفي أواماً أو يبلى غليلا
يا أيها الزمن الذي أسرارهِ
لا تستطيع لها العقول وصولاً
إبالله هل أواماً وراءك لحظة
جمعت خايلاً هاجراً وخيلاً؟
هي لحظة وهي الحياة ومن يعيش
من بعدها يجد الحياة فضولا
مرّ الظلام وأنت ملء خواطري
ودنا الصباح ولم أزل مشغولاً
وأتى النهار علي فتى أمسي بما
حمل النهار من الشئون ملولا
وكذا الحياة تمل إن هي أفضرت
ممن يهون عباها المحمولا

كُذِّعْتُ عَلَى كُذِّعْتُ وَلَسْتُ بِبِالْغِ
إِلَّا ضَنْتِي مَتَّابِعاً وَنَجُولاً
صَدَا الْحَوَادِثِ بِدَلِّ الْإِشْرَاقِ فِي
فَكْرِي وَكَذِّعْتُ خَاطِرِي الْمَصْقُولاً
وَتَتَابِعِ الْأَنْوَاءِ فِي أَهْقِ الصَّبَا
لَمْ يُبْقِ لِي صَحْواً أَرَاهُ جَمِيلاً
ذَهَبَ الصَّبَا الْغَالِي وَزَالَتْ دَوْحَةٌ
مَسَدَّتْ لَنَا ظِلَّ الْوَفَاءِ ظَلِيلاً
أَيَّامٍ يَخْذِلُنِي أَمَامَكَ مَنْطِقِي
فَإِذَا سَكَتُ فَكُلُّ شَيْءٍ قَسِيلاً
وَيْثُورِي حَبِي فَإِنْ لَفْظٌ جَرِي
بِفِئْمِي تَعَثَّرَ بِالشَّفَاءِ خَجُولاً
يَا مَنْ نَزَلَتْ بِنَبْعِهِ أَرْدُ الْهَوِي
فَإِذَا قَتَيْتَهُ مَحْطِماً وَوَبِيلاً
مَا رَاعَنِي مَا ذَقْتُهُ وَخَشِيْتُ أَنْ
الْقَاكِ بِالْدَاءِ الدَّفِينِ جَهُولاً
فَأَشَدُّ مَا عَانِي الْفَوَادُ صَبَابَةٌ
شَبَّبْتُ وَظَلَّ دَفِينُهَا مَجْهُولاً

ساعة لقاء

يا حبيب الروح يا روح الأمانى
لست تدرى عطش الروح إليك
وحنينى في أنين غير فانى
للردى أشربه من مقلتيك

أه من ساعة بث وشجون
ولقاء لم يكن لى في حساب
وحديث لم يدر لى في الظنون
يا طويل الهجر يامر الغياب

حل يا ساحر صفو وسلام
بعد فتك البين بالقلب الغريب

ودنا روضٌ وظلٌ وغمامٌ

بعد فتك النار بالعمر الجديد!

مرّت الساعة كالعلم السعيد

ومشت نشوتها مشى الرحيق

ذهب العمر، وذا عمرٌ جديد

عشّته من فمك الحلو الرقيق!

مرّت الساعة والليلُ دنا

والهوى الصامتُ يغدو ويروخ

وتلاشت واختفت أجسادنا

واعتنقنا في الدُجى روحاً بروخ

تسمع الشعر وشعري منك لك

وبإلهامك أبدعت الروي

انت يا معجزة الحسن ملك
كل لفظ منك شعر قدسى

كيف يفنى ما كتبناه بنار
وخطناه بسهد ودموع
يشهد الليل عليه والنهار
والشهيد المتواري في الضلوع

التقت ارواحنا في ساحة
كفربين استراحا من سفر
وخطنا رحلنا في ااحة
زادنا فيها الاماني والذكر

وتسائلت عن الماضي وهل
حسنت دنياى في غير ظلالك

يا حبيبي! أين أمضى من خجل
وفؤادى أين يمضى من سؤالك

شد ما يخرجني جهد المقل
من شبيب ضاع أو من نور عين
يتمشى السقم في قلب الأجل
واراني لك ما وقيت ديني

أنا شاديك ولحنى لك وحدك
فأقض ما ترضاه في يومى وأمسى
درج الدهر وما أذكر بعدك
غير أيامك يا توام نفسى!

وأنا الطائر! قلبي ما صبأ
لسوى غصنك والوكر القديم

ما تبدلنا ولا حال الصبأ
والهوى الطاهر والود الكريم!

لم تزل ذكرا من بالي وبالك
كيف ينسى القلب أحلام صباه؟
قد صحت عيني على فجر جمالك
كيف ينسى الفجر يا فجر الحياة؟!

النأي المحترق

كم مرة يا حبيبي والليل يغشى البرايا
أهيم وحدي وما في الظلام شك سوايا
أصير الدمع لحناً وأجعل الشعر نايا
وهل يلبي حطام أشعلته بجوايا
النار توغل فيه والريح تندرو البقايا
ما أتعس النأي بين المنى وبين النايا
يشدو ويشدو حزيناً مرجعاً شكوايا
مستعطفاً من طويناً على هواه الطوايا
حتى يلوح خيال عرفته في ضبايا
يدنو إلى وتدنو من ثغره شفقتايا
إذا بحلمي تلاشى واستتيقظت عينايا
ورحت أصفي وأصفي لم ألف إلا صدايا

الوداع

حان حرماني وناداني النذير
ما الذي أعدت لي قبل المسير
زمني ضاع وما انصفتني
زادي الأول كالزاد الأخير
ري عمري من أكاذيب المنى
وطعامي من عفاف وضمير
وعلى كفك قلباً ودم
وعلى بابك هيداً وأسيراً

حان حرماني فدعني يا حبيبي
هذه الجنة ليست من نصيبي
آه من دارٍ نعيمٍ كلنا
جئتها اجتاز جسراً من لهيب
وأنا إلفك في ظل الصنوبر
والشباب الغض والعمر القشيب

أنزل الربوة ضيفاً عابراً
ثم أمضي عنك كالطير الغريب

لِمَ يَا هَاجِرُ أَصْبَحْتَ رَحِيماً
والحنان الجَمِّ والرقة فيمَا؟
لِمَ تَسْقِينِي مِنْ شَهْدِ الرِّضَا
وتلاقيني عطوفاً وكريماً؟
كُلُّ شَيْءٍ صَارَ مَرّاً فِي فَمِي
بعد ما أصبحتُ بالدنيا عليماً
أهْ مَنْ يَأْخُذُ عَمْرِي كُلَّهُ
ويعيد الطفلَ والجهلَ القديمَا!

هل رأى الحبُّ سكارى مثلاً لنا؟
كم بنينا من خيالٍ حولنا!
ومشينا في طريقٍ مقمّرٍ
تثبُّ الفرحةُ فيه قبلنا!
وتطلعنَا إلى أنجَمِهِ
فتهاوينَ وأصبحنَ لنا!

وضحكنا ضحكك طفلين معاً
وعبدونا فسبقنا ظلالنا!

وانتبهنا بعد مازال الرحيق
وأفـقنا. ليت أنا لا نـفـيق!
يقظة طاحت بأحلام الكرى
وتولى الليل، والليل صديق
وإذا النُّور تـذير طالع
وإذا الفجر مُطل كالحريق
وإذا الدنيا كما نعرفها
وإذا الأخـباب كل في طريق

هات أسعدني ودعني أسعدك
هدنا بعد الثنائي موردك
فأذقنيـه فإني ذاهب
لا غسدي يُرجى ولا يُرجى غمدك
وابلائي من ليالي التي
قربت حينني وراحت تبعدك!

لا تدعني لليالي فغداً
تجرّح الفرقة ما تأسو يدكنا

أزف البينُ وقد حان الذّهابُ
هذه اللحظة فُتت من عذابِ
أزف البينُ، وهل كان النوى
يا حبيبي غير أن اغلق باباً؟
مَضت الشمسُ فأمسيتُ وقد
اغلقت دوني أبواب السحابِ
وتلففتُ على آثارها
اسأل الليل! ومن لي بالجواب؟!

--*

خواطر الغروب

قلتُ للبحر إذ وقفْتُ مساءً
كم أطابتُ الوقوفَ والإصغاءَ
وجعلتُ النسيمَ زاداً لروحي
وشربتُ الظلالَ والأضواءَ
لكأنَّ الأضواءَ مختافات
جِعلتُ منك رَوْضَةً غناءً
مَرَّ بي عطرُها فأسكَّرَ نفسي
وسرَى في جوانحي كيف شاءَ
نشوةً لم تطل! صححاً القلب منها
مثل ما كان أو أشدَّ غناءً
إنما يفهم الشبيهُ شبيهاً
أيها البحر! نحن لسنا سواءَ

أنت باقى ونحن حرب الليالى
مَرَّقَتْنَا وصيرتْنَا هباءً
أنت عساتٍ ونحن كالزبدِ الذى
هبِ يعلو حيناً ويمضى جُفاءً
وعجيباً إليك يمهتُ وجهى
إذ مللتُ الحياءَ والأحياءَ
أبتغى عندك التأسى وما تمـ
لك رداً ولا تجيب نداءً

كل يومٍ تساؤلٌ ... لبيت شعرى
مَنْ يثبني في حسن الإنبياء؟
ما تقول الأمواج! ما ألم الشمس
فولت حزينه صفراء
تركنا وخلفت ليل شك
أبدى والظلمة الخرساء

وكان القضاء يسخر مني
حين أبكى وما عرفتُ البكاء
ويح دمعى وويح ذلة نفسى
لم تدع لي أحداً كبرياء!

*-#-#

الغد

ياحنانا كَيْدِ الأَسَى الرُّؤُومِ
وشُعاعاً يُشْتَهَى بعد الغُيومِ
أنا في بُعْدِكَ مَفْقُودُ الهُدَى
ضائِعٌ اغشِشوا إلى نورِ كَرِيمِ
اشتري الأحلامَ في سُوقِ المَنَى
وابيَعِ العُمُرَ في سُوقِ الهُمومِ
لا تَقُلْ لي في غَدٍ موعِدُنَا
فَالغَدُ الموعُودُ ناءِ كالنجومِ

اغسداً هللت؟ فعلامني اصطباراً
ليتني اختصرُ العُمُرَ اختصاراً
عَبَرْتُ بي نَشِوَةً مَن فَرِحِ
فَرَقَصْنَا أنا والقلبُ سكارى

وعَـررَ انا طائفاً مَن خَـبيلِ
فانلّفَعنا في الأمانى نـتـبارى
سنذمُ النور حتى يتـلاشى
ونذمُ الليلَ حتى يتـوارى

انفردنا انا والقلبُ عشياً
ننسخُ الأمان والنُجوى سـوىاً
فركبنا الوهمَ نبيغى دارها
وطوينا الدهرَ والعالمَ طياً
فـبلغناها وهللنا لها
ونزلنا الخلدَ فـبيتانا تدياً
ولقينا الحسنَ غمضاً والصبا
وتملينا الجلالَ الأبدياً

قال لى القلب، أحقاً ما بلغنا؟
كيف نام القدرُ السّاهرَ عنّا؟

اتراها خدعة حاققت بنا؟
اتراها ظنة مما ظننا؟
قلت: لا تجزع فكم من منزل
عز حتى صار فوق التمنى
اذن الله به بعد النوى
فثوبنا واسترحنا وامنا!

يا جنان الخلد قدمنت اعذارى
اذ يطوف الخلد سقمى ودمارى
ايها الامر في ملك الهوى
اعف عن لهفة روحى واوارى
اشتهي ضمك حتى اشتقى
فكأنى ظامى آخذ نارى
غير انى كلما امتدت يدي
لعناق خيفت ان تؤذيك نارى!

أيها النورُ سلاماً وخشوعاً
أيها الغيبُ صمتاً وركوعاً
ملكيتُ قلبي وأبى رهبةً
عصفتُ بالقلبِ واللبُّ جميعاً
ربُّ قولٍ كنتُ قد أعددتُهُ
لكَ إذ القاكِ يابى أن يطيقاً
وحببيسٍ من عتابٍ في فمي
قد عصاني فتفجرتُ دموعاً!

لذعتني دموعاً تلفح خدي
نبهتني من ضلالٍ ليس يجدي
واختفتُ تلك الرؤى عن ناظري
وطواها الغيبُ في سحري بُردٍ
وتلفتُ فـ_____ لا أنت ولا
جنةُ الخلدِ ولا أطيفُ سَعْدٍ
وإذا بي غارق في مـ_____ حنتي
وبلائي، اقطعُ الأيامَ وخبدي

هَاتِ قَيْثَارِي وَدَعْنِي لِلْخِيَالِ
وَاسْقِنِي الْوَهْمَ وَعَلَّنْ بِالْحِصَالِ
وَدَعِ الصَّدَقَ لِمَنْ يَنْشُدُهُ
الْحَجِي خَصْمِي فَاغْمُرْ بِالضَّلَالِ
وَحُكْمَ الْأَنْوَارِ عَنِّي، رَيْبًا
أَجِدُ الرَّحْمَةَ فِي جُوفِ اللَّيَالِي
خَلَنِي بِالشُّوقِ أَسْتَدْنِي غَدًا
فَغَدًا عِنْدِي كَأَبَدٍ طَوَالِ

فرحة جديدة

أدركتُ عندك يومي الموعوداً
ولقيتُ فيك مثالي المنشوداً
وافرحتي بك فرحة الطفل الذي
يألهو ويخلق كل يوم عيداً
وافرحتي بك فرحة الطير الذي
ملاً الروابي المصغيات نشيداً
طربتُ لصدحته وصفق ظافراً
جدلان في عرض الفضاء سعيداً
في موكب من قلبه وحبيبه
من راح تحسبُه العيون وحيداً
وافرحتي بك فرحة الضال الذي
يطوي القفار اللافحات شريداً
لاحت له بعد الهواجر أيكه
غناء تبسط ظلها الممدوداً

ما أعجب الدنيا التي بعث الهوى
وأحالتها روضاً أغرّ جديدا
شتى غرائبها وأعجبها فتى
يغدو لهجته عليك حسودا
يتهالكان على جمالك صبوة
يتنافسان ضراعةً وسجودا
يتنازعانك غيرةً وتغضباً
كلُّ يراك حبيباً به العبودا
ما أعجب الإيمان يغمر خاطري
كالفجر قد غمر السماء وثيلاً
مزقت شكى فاسترحت لأعين
علمتني الإيمان والتوحيداً

إلى من ...

جئتُ أشكو لكِ رُوحى وجسواها
وردتُ ظمأى وعادت بصداها
آه من عينك ما إذا صنعتُ
بغريبٍ مستجيرٍ بحماها؟!
تبعثه تقضى أحلامه
كلهما أغمى أطلت فرأها
ياسقى الله «الليلي» أيكه
وجزاها الخبير عنا ورعاها
وغداها من أمانينا ومن
حبنا الشهد الصفى وسقاها
قربنى عينك منى قربنى!
ظليلنى وأغمرينى بصفاها
وأرينى هداة البحر إذا انت
بسط البحرُ جلالاً وتناهى

واريني لجة السحر التي
ضل في أعماقها الفكر وتاهها
المح الأولو في أغوارها
وارى الطيبة تطفو في سناها
واراها تخضبنا الخلد لمن
باع دنياه وبالروح اشتراها

نحن ارواح حيارى افتقرت
ثم عادت فتلاقت في شجاهها
سوف ينسى القلب الأ ساعة
من رضا في وكرك الحاني فضاها
هتف القلب وقد حلتني
أي ماض كسفت لي شفتهاها
همست في خاطري فاستيقظت
روح الحيرى واصفت لنداها
فانا إن لم أكن توأمها
فكأنى كنت في الغيب أخاها

نحن أرواح حيارى شملت
وانتشت سكرى على لحن أساهأ
قربى روحك منى قربى
ظاليني واغمريني برضاها
وتعالى حدثيني حدثي
أنت مرآة شجوني وصداها
فهبيني ساعة الصفو التي
تقسم الأيام ما فيها سواها
ثم أمضي لحياة مرة
صبخها عندي سواءً ومساها

الاطلال

هذه قصة حبا عائش، التقيا وتعايا ثم انتهت القصة
بأنها هي صارت أطلال جسدي، وصار هو أطلال روح،
وهذه اللحمة تسجل وقائعها كما حدثت،

يا فـؤادي رحمَ الله الهـوى
كان صرحاً من خيال فهوى
اسـقني واشـربْ على اطلاله
وارو عني طالما الـدمعُ روى
كـيف ذاك الحـبْ أنسى خـبـرا
وحـديثنا من أحاديث الجوى
وبسـاطا من ندامى حـلمٍ
هم تواروا أبداً وهـو انطوى ..

يا رياحا ليس يهدأ عصفها
نضب الزيت ومصباحي انطفأ
وانا اقتتات من وهم عفا
وأفي العمرَ لناسٍ.. ما وفي

كم تقلبتُ على خنجره
لا الهوى مال ولا الجفنُ غفا
وإذا القلبُ على غفرانه
كلما غاربه النصلُ عفا

يا غراماً كان منى في دمي
قدرا كالموت أوفي طعمه
ما قضينا ساعة في عرسه
وقضينا العمر في مآتمه
ما انتزاعي دمعة من عينه
واغتصابي بسمة من فمه
ليت شعري أين منه مهربي
أين يمضي هارباً من دمه

لست أنسك وقد أغريتني
بضم عذب النداة رقيق
ويد تمتد نحوى كيد
من خلال الموج مُدَّتْ لغريق

آه يا قـبـلـة أقـدامـي إذا
شكت الأقدام أشواك الطريق
وبريقها يظمأ الساري له
أين في عينيك ذياك البريق

لست أنساك وقد أغريتني
بالذرى الشم فأدمنت الطموح
أنت روح في سممائي وأنا
لك أعلو فكأنى محض روح
يالها من قـمـم كـتابـها
نتـلاقـي وبـسـرـيـنا نبـوح
نستشف الغيب من أبراجها
ونرى الناس ظللاً في السفوح

أنت حُسن في ضحاه لم يزل
وأنا عندي أحزان الطقل

وبقايها الظل من ركب رحل
وخيوط النور من نجم أفل ..
المح الدنيا بعيني سئم
وأرى حولي أشباح الملل
راقصات فوق أشلاء الهوى
مُغفولات فوق أجسادك الأمل

ذهب العمر هباءً فاذهبي
لم يكن وعدك إلا شبحاً
صفحة قد ذهب الدهر بها
أثبتت الحب عليها ومجناً
انظري ضحكي ورقصي فرحاً
وأنا أحملُ قلباً ذبحاً
ويراني الناس روحاً طائراً
والجوى يطحنني طحن الرحى!

أين مني مـجلس أنت به
فـتنة تمّت سناء وسنى
وأنا حسب وقلب ودم
وفراش حائر منك دنا
ومن الشوق رسول بيننا
ونديم قـدم الكأس لنا ...
وسقانا فانتفضنا لحظة
لفـبار آدمي مـسنا

قد عرفنا صولة الجسم التي
تحكم الحي وتطغى في دماءه
وسمعنا صرخة في رعداها
سوط جلال وتعديباً إله
أمرتنا فعصينا أمرها
وأبيننا النذل أن يغشى الجباه
حكم الطاغى فكنا في العصاه
وطردنا خلف أسوار الحياه

يا لمنفسين ضللاً في الوعور
دمياً بالشوك فيها والصخور ..
كلما تقسو الليالي عرفها
روعة الآلام في المنفى الطهور ..
طرداً من ذلك الحلم الكبير
للحظوظ السود والليل الضرير
يقبسان النور من روحيهما
كلما قد ضئت الدنيا بنور

انت قد صيرت أمري عجباً
كثرت حولي أطيوار الربى
فإذا قلت لقلبي ساعة
قم نغرد لسوى ليلي أبي
حجباً تأبى لعيني ما أربا
غير عينيك ولا مطلباً
أنت من أسدلها لا تدعي
أنني أسدلت هذي الحجباً

ولكم صاح بي اليأسُ انتزعها
فيرد القدرُ الساخر: دعها
يالها من خطة عمياء لو
أنني أبصر شيئاً لم أطعها
ولي الويل إذا لبستها
ولي الويل إذا لم أتبعها
قد حننت رأسي ولو كلُّ القوي
تشتري عزة نفسي لم أبعها

يا حبيباً زرت يوماً أيكه
طائر الشقوق أغني الي
لك إبطاء الدلال المنعم
وتجني القادر المحتم
وحنيني لك يكوي أعظمي
والثواني جمرات في دمي
وأنا مرتقب في موضعي
مُرهباً السمع لوقع القدم

قدم تخطو وقلبي مشبهة
موجة تخطو إلى شاطئها
أيها الظالم بالله إلى كم
اسفح الدمع على موطئها
رحمة أنت فهل من رحمة
لغريب الروح أوظامئها
يا شفء الروح روعي تشتكي
ظلم آسيبها إلى بارئها ..

اعطني حريتي اطلق يدي
انني اعطيت ما استبقيت شي
آه من قيدك أدمى معصمي
لم أبقيه وما أبقى علي
ما احتفاظي بعهود لم تصنها
والأم الأسر والدينياسا لدي
ها أنا جفت دموعي فاعف عنها
إنها قبيلك لم تبذل لحي

وَهَبِ الطَّائِرَ عَنْ عَشْكَ طَارَا
جَافَتْ الغُدْرَانُ وَالثَّلْجُ أَغَارَا
هَذِهِ الدُّنْيَا قُلُوبٌ جَمَدَتْ
خَبَتِ الشَّعْلَةُ وَالجَمْرُ تَوَارَى
وَإِذَا مَا قَبِسُ القَلْبِ غُدَا
مَنْ رَمَادٍ لَا تَسْلَهُ كَسِيفٌ صَارَا
لَا تَسْلُ وَإِذْ كَرَّ عَذَابُ المِصْطَلِي
وَهُوَ يَذْكِيهِ فَلَا يَقْبِسُ نَارَا

لَارَعَى اللّٰهَ مَسَاءً قَاسِيَا
قَدِ ارَانِي كُلَّ أَحْلَامِي سُودِي
وَارَانِي قَلْبًا مِنْ أَعْبِيدِهِ
سَاخِرًا مِنْ مَدْمَعِي سُخْرَ العِدَا
لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ أَحْدَاثٍ جَرَّتْ
أَنْزَلْتِ رُوحَكَ سَجْنَا مَوْضِدَا
صَدَدْتِ رُوحَكَ فِي غِيهَبِهَا
وَكُنَّا الأرواحُ يعلوها الصِّدَا

قد رأيتُ الكونَ هبِراً ضيقاً
خيم اليأسُ عليه والسكوتُ
ورأتُ عيني أكاذيبَ الهوى
واهياتٍ كخيوط العنكبوتِ
كنت ترثي لي وتندري الي
لورثي للدمع تمثالُ صموتِ
عند أقدامك دنياً تنتهي
وعلى بابك أمثالُ تموتِ

كنت تدعوني طفلاً كلما
ثار حبي وتندتُ مُقلبي
ولك الحقُّ لقد عاش الهوى
في طفلاً ونمأ لم يعقل
وأرى الطعنة إذ صوبتها
فمشت مجنونة للمقتلِ
رمتِ الطفلَ فأدمت قلبه
وأصابت كبرياء الرجلِ

قلت للنفس وقد جُزنا الوصيـدا
عَجَلِي لا يَنْفَعُ الحَزْمُ وئَيْدَا
ودعي الهَيْكَلَ شَبَبْتُ نَارَهُ
تَأْكُلُ الرُّكْعَ فِيهِهِ وَالسَّجُودَا
يَتَمَنَّى لِي وَفِيَّائِي عَوْدَةً
وَالهَوَى المَجْرُوحَ يَا بَى أَنْ نَعُودَا
لِي نَحْوُ اللَّهَبِ الذَّاكِي بِهِ
لَفْتَةً العُودِ إِذَا صَارَ وَقُودَا

لَسْتُ أَنْسَى أَبَدَا	سَاعَةَ فِي العُمُرِ
تَحْتَ رِيحِ صَفْقَتِ	لَارْتِقِصَاصِ المَطَرِ
نَوَّحْتَ لِلذِّكْرِ	وَشَكَتِ لِلقَمَرِ
وَإِذَا مَطَرِبْتَ	عَرِبِدْتَ فِي الشَّجَرِ

هَآكِ مَا هَدَّ صَبَبَ الرِّيحِ بِأُذُنِ الشَّاعِرِ
وَهِيَ تَغْرِي القَلْبَ إِغْرَاءَ النَّصِيحِ الفَاجِرِ

أيها الشاعر تفضو تذكر العهد وتصحو
وإذا ما التام جرح جدد بالتذكار جرح
فتعلم كيف تنسى وتعلم كيف تمحو
أو كل الحسب هي راك غضران وصفح

هاك فانظر عدد الرمل قلوباً ونساء
فتخير ما تشاء ذهب العنبر هباء
ضل في الأرض السذي ينشد أبناء السماء
أي روحانية تُعصر من طين ومساء ..

أيها الريح أجل لكنمسا
هي حبي وتعالتي ويأسي
هي في الغيب لقلبي خلقت
أشرققت لي قبل أن تشرق شمسي
وعلى موعدها أطبقت عيني
وعلى تذكاراتها وسدت رأسي

جئت الريحُ ونادته شياطينُ الظلام ..
اختاماً كيف يحلو لك في البدء الختام
يا جريحاً اسلم الجرح حبيباً نكاه
هو لا يبكي إذا الناعي بهيذا نبأه
أيها الجبار هل تُصرغ من أجل امرأه ..

يالها من صيحة ما بعثت

عنده غير اليم الذكر

أرقت في جنبه فاستيقظت

كبقايا خنجر من كسر

لع النهـر وناداه له

فمضى منحدرأ للنهر

ناضب الزاد وما من سفر

دون زاد غير هذا السفر

يا حبيبي كل شيء بقضاء

ما بأيدينا خلقنا تعساء

ربما تجتمعنا أقدارنا
ذات يوم بعد ماعزُ اللقاء
فإذا أنكرَ خيلُ خله
وتلاقينا لقاء الغريباء
ومضى كلُّ إلى غايته
لا تقل شئناا وقل لي الحظُّ شاء

يا مغني الخلد ضيعت العُمُرُ
في أناشيدك تُغني للبشرُ
ليس في الأحياء من يسمعنا
مالنا لسنا نغني للحجرُ
للجمادات التي ليست تعي
والرميمات البيوالي في الحُضرُ
غناها .. سوف تراها انتفضت
ترحم الشادي رتبكي للوترُ

يا نداء كَلِمًا أرسَلتَه
رُدُّ مَقَهـُورًا وبالْحِظِّ ارتَظَمُ
وهتافًا من أغصانِ النى
عَمَّادِ لِي وَهُوَ نَوَاحٌ وَنَدَمُ
رُبُّ تَمَثَّالٍ جَمَّالٍ وَسَنَا
لَا حَ لِي وَالْعَيْشُ شَجْوٌ وَظَلَمُ
ارتَمَى اللحنُ عَلَيْهِ جاثِيًا
لَيْسَ يَدْرِي أَنَّهُ حُسْنُ أَصَمِ

هَذَا اللَّيْلُ وَلَا قَلْبٌ لَهُ
أَيُّهَا السَّاهِرُ يَدْرِي حَيْرَتَكَ
أَيُّهَا الشَّاعِرُ خُذْ قِيَمَتَكَ
غَنِّ أَشْجَانَكَ وَأَسْكِبْ دَمْعَتَكَ
رُبُّ لَحْنِ رَقِصِ النُّجُومِ لَهُ
وَعِزِّ السُّحُبِ وَبِالنَّجْمِ فَتَكَ
غَنَّهُ حَتَّى نَرَى سِتْرَ الدَّجَى
طَلَعَ الضُّجْرُ عَلَيْهِ فَأَنَّهُتَكَ

وإذا مس أزهارات فُصرت
ورأيت الرعب يغشى قلبها
فتصرف واتئد واعزف لها
من رقيق اللحن وامسح رعبها
ربما نامت على مهد الأسي
وبكت مستصرخات ربها
أيها الشاعركم من زهرة
عوقبت لم تدري يوماً ذنبها

رواية

نزل الستار فضيم تنتظر
خلت الحياة واقصر العمر
لم يبق إلا مقفر تعس
تعوي الذئاب به وتأتمر
هو مسرح وانقض ملعبه
لم يبق لاعمين ولا اثر
ورواية رؤيت وموجزها
صحباً مضوا واحبة هجروا
عبروا بها صوراً فمذ عبروا
ضحك الزمان وقهقه القبر

يأس على كأس

(١)

أصبحتُ من يآسي لو أن الردى
يهتف بي، صحت به هيأ
هيا فما في الأرض لي مطمح
ولا أرى لي بعدها شيئاً
ماذا بقائي ها هنا بعدما
نضضتُ منه اليومَ كفيلاً
أهرب من يآسي لكآسي التي
أدفن فيها أمني الحياً
يا أيها الهارب من جنتي
تعال أو هات جناحياً
نبكي شبابينا ونبكي النى
وترتمي بين ذراعياً

(٢)

إنى على ياسي وكأسي كسابي
وعلى سرابي عاكفاً وشرابي
ولقد فرغتُ من التعلل بالنى
إلا وميضاً فى الرماد الخابي
رمقاً يعلننى بأنك عائد
يوماً لقلبي قبل يوم ذهابي
حتى إذا الأقدار شئنَ وعدتْ لى
راجعتُ نفسى واتهمتُ صوابي
أرى شروقك فى أفول مغاربي
وأشمُ عطرِكَ فى ذبول شسبِابى!

(٣)

هات اسقني واشرباً على سر الأسي
وعلى بقايا مهجةٍ وشجاها

مهلاً نديمي! كيف ينسى حبُّها
مَنْ ينشدُ السلوى على ذكراها
ما زالت تسقيني لتنسيني الهوى
حتى نسيتُ، فما ذكرتُ سواها
كانت لنا كأسٌ وكانت قصّة
هذا الحبيب أبعادها ورواها
الآن غشاها الضبابُ وها أنا
خلف المآسى والدموع أراها
غالَ الزمانُ ضبابها وحبابها
وتبخرت أحلامُها ورؤاها
أحببْتُها وطويتُ صفحتها وكم
قرأ التبيبُ صحيفةً وطواها
تلك الوليدةُ لم تطلُ بشراها
لما تكد تطأ الثرى قدمها
زفأ الصبح إلى الرمال نداءها
وسرى النسيمُ عشيةً فنعاها

عاصفة روح

(الزورق يفرق والملاح يستصرخ)

أين شط الرجاء	يا عباب الهموم
ليلتني أنواء	ونهار غيوم
أعولي يا جراح	اسمعي الديان
لايهم الرياح	زورق غضبان
البلى والثقبوب	في صميم الشراع
والضنى والشحوب	وخيال الوداع
اسخري يا حياها	قهقهة يارعود
الصبا لن أراه	والهوى لن يعود
الأماني غرور	في فم البركان
والدجى مخمور	والردي سكران

راحـت الأيـام با بتسام الثغور
وتولـى الظلام فى عناق الصخور

كـان رؤيا منام طيفك المسحور
يا ضفاف السلام تحت عرش النور

اطحنني ياسنين مزقي يا حراب
كل برق يبين ومضه كذاب

اسخري يا حياه فهقهي يا غيوب
الصبا لن اراه والهوى لن يؤوب

اذكري

اذكري ذاك المساء	كيف كنا سعداء
لم يدغ عندي همما	ومحا عنك الشقاء
ملا الدنيا صفاء	عندما شئت وشاء
أحسن الدهرُ إلينا	بعدهما كان أساء
كلما اقبلت السخبُ	فظللت السمماء
قاتمات غائمات	يتهددين بظاء
لاح نجمٌ من بعيد	فتجلى واضاء
وتصدى قمرٌ	راح على الأرض وجاء

رسائل محترقة

ذوت الصنابة وانطوت
لكننى القى المنايا
عادت إلى الذكريات
في ليلة ليلاء أرقني
هدأت رسائل حبها
فحلفت لا رقت
أشعلت فيهما النار
تغتيال قصة حبنا
أحرقتها ورميت قلبي
وبكى الرماد الأدمي
وفرغت من آلامها
من بقايا جامها
بحشدها وزحامها
عصيب ظلامها
كالطفل، في أحلامها
ولا ذقت شهى منامها
ترعى في عزيز حطامها
من بدنها لختامها
في صميم ضرامها
على رماد غرامها

الغريب

يا قاسي البعد كيف تبتعدُ
إني غريب الديار منفرِدُ
إن خائني اليوم فيك قلت غداً
وأين مني ومن لِقائك غداً
إن غداً هوةً لناظرها
تكاد فيها الظنونُ ترتعدُ
أطلُ في عمقها أسانلها
أفـيـك أخفى خياله الأبدُ
يالامس الجرح ما الذي صنعتُ
به شفاهَ رحيمه ويدا
ملء ضلوعى لظى وأعجبـه
أني بهذا اللهب أبترِدُ
يا تاركى حيث كان مجلسنا
وحيث غناك قلبى الغرِدُ

أرئو إلى الناس في جموعهم
أشقتهم الحادثات أم سعدوا
تفرقوا أم هم بها احتشدوا
وغروروا هابطين أم صعدوا
إني غريب تعال يا سكني
فليس لي زحامهم أحد

كل الورى

كل الورى يدعون حُبِّكَ
أنا الوحيد الذى أحَبُّكَ
صدرك فيه اضطرابٌ شوقٍ
يقرع قرع العبابِ حُبِّكَ
فكيف تخلي به مكانى
وَتُسْكُنُ الغادينَ قلبَكَ
لما اعتنقنا على اشتياقٍ
لستُ بالسَّاعدينَ خطبَكَ
تعال لا تعذرْ لذنبي
بقدرِ حبي غفرتُ ذنبيكَ

طال على المتعبِ الطريقُ
بلا حبيبٍ ولا صديقٍ

قد بَعُدَ الشَّاطِئُ الرَّجِي
والموج لا يرحم الغريق
في واضح النور جنح ليل
وفي الرحاب الفساح ضيق
يا أرجوان الغروب مهلاً
ولتتئداً أيها العقيق
صبغتِ عمري فصرتُ أمشي
على دمائي التي أريق ...

يا مسرحاً والفضول تترى
عليه مالي بك اغترار
فلا بخير ولا بشر
ولا طوال ولا قصار
ماخذتُ عهدى لمن تولى
كلا ولا خانني اصطباز
أين الليالي التي تُسر
بلا لقاء ولا مزار

كم قلتُ ذا مشهدك يمرُّ
ولم أقل إنه سيترارُ

إن كان للمشجيات رسم
إني تمثالهها القمام
بلا دموع ولا شكاة
قد جمعت الدمع والكلام
يا طالب الحزن في المآقي
لا تنشد الدمع في الرخام
وخذه من أخرس مريير
من شفة دمعهها سجام
فهل فم قد بكى بكائي
من ذا رأى دمعة ابتسام

السراب في السجن

يا سجين الحياة أين الفرارُ
أوصد الليلُ بابَه والنهارُ
فلمن لفتة وفيم ارتقابُ
ليس بعد الذي انتظرت انتظارُ
والتهماتُ من هوى وشباب
قصة مسدل عليها الستارُ
ما الذي يبتغي العليل المسجى
قد تولى العنود والسمارُ
طال ليلُ الغريب وامتنع القمضُ
وفي المضجع الغضا والنارُ

وهب السجن بابَه صاراً حراً
لك لا حائل ولا أسوارُ

وعفا القيد عنك كفا وساقا
فإذا الأرض كلها لك دارُ
أين أين الرحيل والتسيارُ
بعدت شقيقة وشطُّ مزارُ
والخطى الثقلات باليأس اغلالُ
لساقيك والمشيب عثارُ
ما انتفاع الفتى إذا عفت الجنة
وأجتاح دوحها الإعصارُ
عشت حتى أرى خمائل حبي
تتهاوى كشمخ ينهارُ
تحت عيني ويذبل الحُسنُ فيها
ويموت الربيعُ والأنوارُ
ما انتفاع الفتى بموحش عيش
بقيت كأسه وطاخ العقارُ
وبقاء البساط بعد الندامى
كأس سُمُّ بها يدور البوارُ

ما انتفاعي وتلك هافلة العيش
وفي ركبها اللظى والدمارُ
الدمار الرهيبُ والعدمُ الشامل
والسلفُح والضمنى والأوارُ
يا ديارَ الحبيبِ هل كان حلماً
ملتقى دون موعِدِ ياديارُ؟
يا عزيز الجنى عليك سلامٌ
كيف جادت بقربك الأقدارُ
بورك الكرمُ والقطوفُ وأوقساتُ
..كان العناق فيها امتصارُ
كلما أطلقك كفي استردتك
كما يحفز الغريم الثارُ

المنصورة

بأي معجزة في الحب نتفق
يا قلب لا يتلاقى الضجر والغسق
يا قلب إننا لقينا اليوم معجزة
تكاد في ظلمات الليل تأتلق
ظللت أسأل نفسي كيف تعيشها
بقية من بقايا العمر تحترق
وافيتها وفلول النور دامية
تطفو وترسب أو تعلق فتعتلق
لم أدر حين تبدت لي إذا شفقي
أبصرته أم على المنصورة الشفق؟
يامن منحيت الأمانى البيض معذرة
إني بهذي الأمانى البيض أختنق
أين الهدوء المرجى في جوانبها
إني رجعت وليلي كله أرق

أقبلتُ أنشدُ أمناً في هواك بها
فلم أنلُ وتولى قلبي الفسرقُ
لا بالقلوب ولا الأرواح يا أملي
إنما بشيء وراء الروح نعتنقُ
ويحي على كفك البيضاء إذ بسطتُ
عند السلام وويحي حين تنطبقُ
هل يسمع النيلُ إذ سرنا بجانبه
والموج مجتمع فيه ومفترقُ
صوتاً تماوج في روعي فجأوبه
من جانب القلب موجُ راحٍ يصطفقُ
تظل تنهب أذني من أطايبه
كأنها من خفايا الغيب تسترقُ
يا جنة من جنان الله أعينها
لن تبعدني ولدي السحرُ والعبقُ

عينان

طوى السنين وشق الغيب والظلمة
برق تالق في عينيك وابتسمما
يا ساري البرق من نجمين يومض لي
ماذا تخبيء لي الأقدار خلفهما
اجئت بي عتبات الخلد ام شركاً
نصبت لي من خداع الوهم ام حلماً؟
كأنني ناظر بحراً وعاصفة
وزورها بالقد الجهول مرتطمما
حملتني لسماء قد سرنت لها
بالروح والفكر لم انقل لها قدما
شقت سديماً وزقت في غلائلها
فكدت ابصر فيها اللوح والقلمما
رأيت قلبين خط الغيب حبهما
وكاتباً ببنان النور قد رسمما

وسحر عينيكَ اِنِّي مقسمُ بهما
لا تسألني القلب عن إخلاصه قَسَمًا
واها لعينيكَ كالنبيع الجميل صفا
وسال مؤتلق الأمواج منسجما
ما أنتما؟ أنتما كأسٌ وان عذبت
فيها الحِمَامُ ولا عذرٌ لمن سلما
لما رمى الحب قلبينا إلى قدير
له المشيئة لم نسأل لمن ولما
في لحظة تجمع الأباد حاضرها
وما يجيء وما قد مر منصرما
قد أودعت في فؤاد اثنين كل هوى
في الأرض سارت به أخبارها قدما
كلاهما ناظرٌ في عين صاحبه
موجًا من الحب والأشواق ملتطما
وساحة بتعلات الهوى احتربت
فيها صراعٌ وفيها للعناق ظما

يا للغدِيرين في عِينِكَ إِذ لَمَّا
فَالرَّأويَانِ هَمَا وَالظَّامِنَانِ هَمَا
بَأَى قَوْسٍ وَسَهْمٍ وَصَائِبٍ وَيدِ
هُوَكَ يَا أَيُّهَا الطَّاعِي الْجَمِيلِ رَمَى
يُرْمِي وَيُبْرِيءُ فِي أَنْ وَأَعْجَبَهُ
أَنْ الَّذِي فِي يَدِيهِ الْبِرُّ مَا عَلِمَا
وَكَيْفَ يُبْرِئُنِي مِنْ لَسْتُ أَسْأَلُهُ
بِرءًا وَأَوْثَرَ فِيهِ السَّهْدَ وَالسَّقْمَا
لَوْ أَنَّ لِلْمَوْتِ أَسْبَابًا تَقْرِبُنِي
إِلَى رِضَاكَ لَهَانَ الْمَوْتُ مَقْتَحَمَا
إِنَّ اللَّيَالِيَّ الَّتِي فِي الْعَمْرِ مِنْكَ خَلَّتْ
مَرَّتْ يَبَابًا وَكَانَتْ كُلُّهَا عَقَمَا
تَلَفَّتْ الْقَلْبُ مَكْرُوبًا لَهَا حَسْرًا
وَعَضُّ مِنْ أَسْفٍ إِبْهَامَهُ نَدَمَا

خمرة الرضا

يا حبيبي اسقني الأمانى واشربى.. بوركت خمرة الرضا وهى تسكب
بورك الكأس والحباب الذي يرقص فى الكأس والشعاع المذهب
نضبت رحمة الوجود جميعا وبك الرحمة التي ليس تنضب
وإذا ضاقت السماء بشجوى فالسماة التي بعينيك أرحب
كم تمنيت والصدور تجافيني وتزور والوجوه تقطب
كم تمنيت صدرك البريرتاح على خضقه الطريد العذب
هات وسدنى الحنان عليه .. جسدى متعب وروحى متعب

الخريف

يا حبيبي غيمةً في خاطري
غفر الله لها ما صنعت
صرخ القفر لها منتحبا
فأصمّ الغيث عنه أذنه
وجفوني وعلى الأفق سحابة
كلما شاكيثها تندی كآبة
وبكى مستعظما مما أصابه
ما على الأيام لو كان أجابه

كثر الهجرُ على القلب فهل
أنت فجر من جمالٍ وصبا
كيف جانبك أبغى سلوة
أيها الساكن عيني ودمي
من سلو أو بعادٍ يرتضيه
كل فجر طالع ذكرنيه
ثم ناجيتك في كل شبويه
أين في الدنيا مكانٌ لست فيه

عندما أزمع ركبُ العمرِ
ظهرت تجلوك كفُ القدرِ
تتراءى في الشباب العطرِ
وقف العمرُ لها معتذرا
رحلة نحو الغاني الآخرِ
صورة أروع ما في الصورِ
نفحة تحمل طيب السحرِ
وثنى الركبُ عنان السفرِ

عندما أقفرت الدنيا جميعاً
لحت لي تحمل عمرا وربيعاً
إن يكن حلماً تولى مسرعاً
أجمل الأحلام ما ولى سريعاً
إن يكن ما كان ديناً يقتضى
خلى أذغفه عنك دموعاً
قد شريناه عزيزاً غالياً
إن تكن بعثت فإني لن أبيعاً

يا ندامى الحب سُمِّمِ الهوى
سكبوا لي السهد في ذلك الشراب
أرقبوني أجرع السقم وبني
صفرة الكأس وأوهام الحباب
كلما ثقيل أيام المنى
تنجلي النعماء عن ذلك السراب
وترى أيامي الحبيرى على
عرسها الضاحك أحزان الضباب

لعم أقبيدك بشيء في الهوى
أنت من حبي ومن وجدي طليق
الهوى الخالص قبيدٌ وحده
رباً حراً وهو في قبيدٍ وثيق
مزقت كضيق أشواك الهوى
وأنا ضقت بأحجار الطريق
كم ظمئٌ بظمئٍ يرتوي
وغريقٌ مستعين بغريق

يا ليالي العمر ما سرُّ الليالي
البطوانات الممالات الطوال
مسرعات مبطئات ولها
خفة الموت وأثقال الجبال
كاسفات البال عرجاء المنى
عائرات الحظ شوهاة الظلال
عجبا للعمر يمضي مسرعا
للمنايا بسلاحفافة الملل

يا كَنَارِ الرُّوضِ فِي أَيِّكَ الهَوَى
جففت الروضةُ من بعد النديمِ
حل بالأيكِ خـريف منكر
وظلال قباتمات وغيومُ
ماتت الروضة إلا طائفنا
من هوى حي على الذكرى يقومُ
فإذا أنكر ما حلُّ بها
فرَّ يبغى سربه بين النجومِ

شاهت الدنيا وجوها ورؤى
وتولاها سهوم ووجوم
يا عذارى الحسن في ظل الصبا
كل حسن بعد ليالي دميم
يا نعيم العيش في ظل الرضا
آه لو أعرف ما طعم النعيم
أنكر الجنة قلباً ضجيراً
أبدى النار موصول الجحيم

طلالاً موهتاً بالضحك فما
غَيَّرَ التَّمْوِيهَ رَأْيَا لَكَ فَيَا
كَلِمَا تَنْظُرُ فِي عَيْنِي تَرَى
سِرِّي الْغَافِي وَمَعْنَايَ الْخَفِيَا
وَتَرَى فِي عَمِّقِ رُوحِي زَهْرَةَ
قَدْ سَقَاهَا الْحُزْنَ دَمْعاً أَبَدِيَا
وَيَسْرَاهُ النَّاسَ طَلَاً وَتَرَى
أَنْتِ دَمْعاً غَائِماً فِي مَقَلَّتِيَا

يَا فَوَّادِي مَا تَرَى هَذَا الْغُرُوبِ
مَا تَرَى فِيهِ انْهِيَارَ الْعَمْرِ؟
مَا تَرَى فِيهِ غُرَيْقاً ذَا شُحُوبِ
يَتَلَاشِي فِي خِضَمِ الْقَدْرِ؟
مَا تَرَاهَا اتَّأَدَتْ قَبْلَ الْمَغِيبِ
وَرَمَتْ مِنْ عَرْشِهَا النُّجُودِ
لَفْتَةً الْحَسْرَةَ لِلشُّطِّ الْقَرِيبِ
قَبْلَ أَنْ تَسْقُطَ خَلْفَ النَّهْرِ

يا فؤادي قاتل الله الضجر
وعذابني بين حل وسفر
ما ترى قنطرة من بعدها
راحة ترجى وبال يستقر
ذلك الجرح وما أفدحه
ما عليه لو إلى السلوى عبر
قد طواه اليوم في برده
وأتى الليل عليه فانضجر

مر يومي فارغاً منك ومن
أمل اللقيا فما أتعن يومي
انت يومي، وغدي أنت، وما
من زمان مربي لم تك همي
أه كم أغدو صغييراً، حاجتي
لك كالطفل إلى رحمة أم
ولكم أكبر بالحب إلى أن
أغدى مستشرفاً آفاق نجم

أي سرفسيك إني لست أدري
كل ما فيك من الأسرار يغري
خطر ينساب من مفتري
فتنة تعصف من لفتة نحر
قدر ينسج من خصلة شعري
زورق يسبح في موجة عطر
في عباب غامض التيار يجري
واصل ما بين عينيك وعمري

ذات ليل والدجى يغمرنا
أترى تذكر إذ جزنا المدينة
كلمة روعت من نار شج
حرماً يعلو تلمست جبينه
بيد شفافة مثل الندى الرطب
تعيب النار برداً وسكينه
أيها الآسي لناري هذه
ما الذي تصنع بالنار الدفينه؟

أخيراً إلا كان هذا كله
ذلك الجسر الذي كنا عليه؟
والمصابيح التي في جانبيه
ذلك النيل وما في شاطئيه؟
وشعاع طوفت في مائه
وظلال رسبت في ضفتيه
وحبيب وادع في ساعدي
ووعود نلتها من شفتيه؟

رب لحن قص في خاطرنا
قصة الحادي الذي غنى سواده
وكان الصمت منه واحداً
هيات من عشبها الرطب وساده
ها أنا عدت إلى حيث التقينا
في مكان رفرفت فيه السماده
وبه قد رفرف الصمت علينا
إن في صمت الحبين عباده

رفرف الصمت ولكن أقبلت
من أقاصي السهل أصداء بعيده
تتهادى في عباب ساحر
مرسل للشط أمواجاً مديده
كم نداء خافت مبعثه
تشتهي أذن الهوى أن تستعيده
عاد منساباً إلى أمماتها
هامساً فيها بأصداء جديده

رفرف الصمت ولكن هاهنا
كل ما فيك من الحسن يغني
أه كنم من وتر نام على
صدر عود نوم غاف مطمئن
وبه شئت لحنون من أسي
وحنين وأنين وتمني
رقد العاصف فيه وانطوت
مهجة العود على صمت مرن

هذه الدنيا هجوير كلها
أين في الرمضاء ظلُّ من ظلالك
ربما تزخر بالحسن وما
في الدمي مهما غلت سُر جمالك
ربما تزخر بالنور وكم
من ضياء وهو من غيرك حالك
لو جرت في خاطري أقصى المنى
لتمنيتُ خيالا من خيالك

أنا إن ضاقت بي الدنيا أفيء
لشوان رحبة قد وسعتنا
إنما الدنيا عباب ضمنا
وشطوط من حظوظ فرقتنا
ولقد أطفو عليه قافنا
غارقا في لحظة قد جمعتنا
كلما تترى المعاني اجبتلي
خلف معناها لأسرارك معني

ما الذي صبك صبباً في الفؤاد
ما الذي إن أفصحه عني عاد
طاغياً يعصفُ عصفاً بالرشاد
ظامئاً سيان قرباً وبعاد
ساهر العينين موصول السهاد
ما الذي يجري لهيباً في الرماد
ما الذي يخلقنا من عدم
ما الذي يُجري حياة في الجماد

كم حبيب بعثت صهباؤه
وتبقت نضجةً من حبيبها
في نسيج خالد رغم البلى
عبث الدهر وما يعبث به
ما الذي في خصلة من شعره
ما الذي في خطه أو كتبه
ما الذي في أثر خلفه
من أفانين الهوى أو عجبته

ما الذي في مجلس يألفه
عقد الحب عليه موعده
ربما يبكي أسي كرسية
إن نأى عنه وتبكي المائدة
ربما نحسبها هشتا إذا
عائدا هشا لها أو عائده
ربما نحسبها تسألنا
حين نمضي أفراق لعده؟

كم أعدت لك ستراً في الخفاء
وتوارت عن عيون الرقباء
كم أعدت نفسها وانتظرت
واستوت موحشة تحت السماء؟
وهي لو تملك كفا صافحت
كفك الحلوة في كل مساء
وهي لو تملك جوداً بذلت
كل ما تملك كفاً من سخاء

رُبَّ كَرِيمٍ مَدَّهُ اللَّيْلُ لَنَا
فَتَوَاقْنَا لَهُ نَبِيًّا اقْتطافه
وعلى خيمته أسوده
عربي الجود شرقي الضيافه
وجد العرس على بهجتُه
وسناه دون وردٍ فأضافه
ثم وارت يده جنيناً
وطوته كأساطير الخرافه

أرج يعسبق في أنحائه
حملته نحو عرشينا الرياح
كل عطر في ثناياه سـرى
كان سراً مضمراً فيه فباح
يالها من حقة كانت على
فصّر فيها كأماد فساح
نتمنى كلما طابت لنا
أن يظل الليل مجهول الصباح

يا فؤادي..العمر سِفر وانطوى
وتبقت صفحة قبل النوى
ما الذي يغريك بالدنيا سوى
ذلك الوجوه، وذئك الهوى

زَارَا

أنا وحدي في البئيد حيران هائم
فممتي تذكر القيفار الغمام
رحمة يا سماء إن فمي جفا
وحلقتي عن الوارد صائم
غاض نبع النى ولم يبق حتى
ومضة الحلم في محاجر نائم
أيها الطاعم الكرى ملء جفني
ك وجفني من الكرى غير طاعم
أبكني واستبدي بي واقض ماشا
ء لك الحسن في واطلم وخصام
غير هذا الثوى فإن لييا
ليسه ظلال من المنايا حوائم
تضمحل الحياة فيه وتنهد
كأن النهار مغول هادم

لا تَكُنِّي لِدَلِكِ الأَبَدِ الأَسْبَدُ
وَدِ فِي قَاعِ مُزِيدِ الأَلَجِ قَاتِمِ
لا تَكُنِّي لِهَوَّةِ تَعَصِيفِ الأَشْبَدِ
بِأَحْ فِي جَوْفِهَا وَتَغْوِي السَّمَائِمِ
لا تَكُنِّي إِلى جَنَاحِ عُنُقِ القَابِ
فِي ضَلُوعِي مُجَلَّقِ الرُّعْبِ جَائِمِ
لا تَكُنِّي لَضَمَائِعِ فِي حَنَائِمِ
هَذَا غَرِيبِ فِي مَهْمَةٍ مِنْ طَلَّاسِمِ
يَسْأَلُ الزَّهَرَ وَالخَمَائِلَ وَالأَنْثَمِ
— وَارِ عَنِ تَرْبِهَا الضَّحُوكِ البَاسِمِ
ذَاقَ مَا ذَاقَ فِي الصَّبَابَةِ إِلا
ذَبْحَةَ الرُّوحِ وَانْفِصَالَ التَّوَائِمِ
إِنْ تُعْذُ مُحْسِنًا إِلى فَعْدِ بِي
لِلْعَهْودِ المَقْتَسَمَاتِ الكَرَامِ
وَإِذَا مَا رَأَيْتَ عَزَمِي يَنْهَاهَا
رُفِئَتْ بِتِ بِالأَذْكَرِيَّاتِ الدَّعَائِمِ
جِئْتَنِي فِي الخَرِيفِ وَالرُّوضِ عَارِ
فَكَسَوْتُ الرُّبِّيَ عِذَارِي البِرَاعِمِ

واجبال الربيع أخضر كميني
 به ليمحو اصفارَه التراكِم
 رحلةً للنجوم لم تك أوها
 ما وبعضُ النعيم أوهاُمُ حالِم
 أه كم ليلةٍ أراجعُ أيا
 مي أعدُ العلى وأخصي العظام
 وحسبتُ الخسارَ فيها فكان الن
 فبينُ عندي زَماني المتقادم
 قبل أن نلتقي فلما تلاقينِ
 لنا عرفتُ الغنى وذُقتُ المغانم
 حيثما اغتدي فإن الدراري
 ملءٌ رُوحِي وفي خيالي بواسم
 إن أبتَ جائعاً فثمةً زادي
 أو أبتَ مُفسِراً فثمُ الدراهم
 وعجيبٌ قد كنتُ لي حسدُ الحسنَا
 دِ فيها وكنيتُ أنتَ التمام
 بالذي صننتُ عهدَه لم أخنه
 وميتي خانتُ الأكفُ المعاصم؟

والذى حُكْمُهُ كَأَقْدَارِ عَيْنِيهِ
سَكَّ فَمَا مِنْهُمَا وَلَا مِنْهُ عَاصِمُ
أَيُّ صَوْتٍ مِنَ الْغَيُوبِ يَنَادِيهِ
سَنِي فَأَطْوِي لَهُ الدُّنَى وَالْعَالَمُ
قَدَرٌ مُشْعَلٌ عَلَى شَفَاةٍ تَدُ
عَوْفًا خَطْوًا عَلَى اللَّظَى غَيْرَ نَادِمُ
وَفَوَادِي يَحْوُمُ بِالنَّارِ لَا يَخُ
سَفَلُ أُنَى عَلَى الْمَنِيَّةِ حَائِمُ
الهُوَى مَصْنَعِي وَكَمِ مِنْ حِمَامِ
كَسَانِ بَابَا إِلَى الْخُلُودِ الدَائِمِ
وَطَرِيقَا مِنَ الْأَسْتَةِ وَالشُّو
كِ رَوَتْ أَرْضَهُ الدَّمُوعُ السَّوَاجِمِ
شَهِدَ اللَّهُ مَا قَضَيْتُ اللَّيَالِي
نَاعِمَ الْجَنِّبِ فَسَوْقَ مَهْدِ نَاعِمِ
أَيُّ جَيْشِيكَ مُغْرِقِي لَيْلِي الطَا
غِي أَمِ الشُّوقِ وَحَدِّهِ وَهُوَ عَارِمِ؟
أَهْ مِنْ رَبِّمَا وَمَنْ أَمَلٍ يُنْمِ
سَسَكُ نَفْسِي رَجَاءَ يَوْمِ قَادِمِ

قد تجيء الأنبياء من شاطئ النـ
ـيل غداً والمبشراتُ النسائم
وتكونُ النجاةُ في القمر السا
ري على زورقٍ من النورِ حـالم

ظلام

لا تَقُلْ لي ذاك نجمٌ قد خبا
يا فـؤادي كلُّ شيءٍ ذهباً
ذلك الكوكبُ قد كان لعيني
السمواتِ وكان الشُّهُباً
هذه الأنوارُ ما اضيَعَهَا
صِرْنُ في جَنبِي جراحاً وظبي
كلما اهتت شعاعاً خلقت
بعده سجناً ومَدَّتْ فُضُوباً

قلتُ أسلوكِ وكم من طعنةٍ
بالدِاراةِ وبالوقتِ تهـوون
فإذا حُبُّكِ يَطْفئُ مُزبداً
كأن فوق السَّيلِ طَقْيَانِ الجنون

وكذا تمضي حياتي كلها
بين يأسٍ ورجاءٍ وظنون
ما على الهجر معيناً أبداً
وعلى التسيان لاشيءٍ يُعين

ذلك الحب الذي فزنتُ به
لا أبالي فيه ألوان اللامه
ذلك الشط الذي ذقتُ به
بعد لج البحر أماناً وسلامه
إنه مزق قلبي قسوة
وسقاني الر من كأس الندامه
صار ناراً ودماراً في دمي
وصراعاً بين قلبٍ وكرامه

ذلك الحب الذي علمتني
ان أحب الناس والدنيا جميعاً

ذلك الحب الذي صـور من
مُجذِبِ القـضـرِ لـعـيـنـي ربيـما
إنه بصـرـنـي كـيـفـاً الـورـى
هدموا من قـدسـه الحـصـنَ المـنـيعـا
وجـلـالـي الـكـونَ في أـعـمـاقـه
أـضـيـناً تـبـكي دـمـاءً لا دـمـوعـا

لـم تُعـيـنـيـنـي عـلـى صـرـفِ النـوى
أه كـنـتِ عـلـى الدـهـرِ أـعـنـتـا
فـلـدـرُ نـكـسٍ مـنـي هـامـسـتـي
أذن الدـهـرُ بـبـيـنـي وأذنت
وعـجـيـبٌ أـمـرٌ حـبٌ لـم يـهـنْ
هو لو هـانَ عـلـى نـفـسـي لـهـنـت
لـهـفٌ قـلـبـي لـهـفـةٌ لا تـنـقـضـي
كـنـتِ دـنـيـاى جـمـيـعـا كـيـفـاً كـنـتِ؟

كنت في برج من النور على
قمة شاهقة تغزو السحابا
وانا منك فـراش ذائب
في لجين من رقيق الضوء ذابا
فرح بالنور والنار معا
طار للقمة محموماً وآبا
آب من رحلته مترقياً
وهو لا يألوك حبا وعتابا!

برئت نفسي من الحقد ولم
أخف ضيقنا لك بين العبارات
إن يوماً واحداً استغدني
جمع الأفراح طراً من شتات
وهو عمر كامل عشت به
كل أعمار الوري مجتمعات
لست أنساك وقد علمتني
كيف يحيا رجل فوق الحياة

افرحي ما شئت يا روحى افرحى
انشدى ما نقلته الطير عني
واغنى نفع الصببا وانتقلنى
فى الصببا المراح من غصن افصن
وعلى ايسك ناعى كل من
مر بالايك ونادى كل خسن
لن يحبوك كحبيبا لن ترى
ضاحكا مثلى ولا حزنا كحزنى

يا كتاب الحسن جأت آية
من جمال وكمال وشباب
زعموا انى قد خلدتها
بأغاني والحنانى المسداب
مما انا شاد ولكن قارىء
سورا من ذلك الحسن العجاب
لم ازل اقرا حتى سجدوا
وجعلت الخلد عنوان الكتاب

يا ابنة الأصداف والبحر أبي
قبل أن يلقي بي الموج هنا
سألت الأعماق عن غواصها
أنا صياد لأليها أنا
إن هجرنا القاع والليل إلى
فيم شم وعشنا في السنا
فبنا الأمواج والصخر وما
برح العاصف في أعماقنا

عاصف عات تمنيت له
هداة أين له ما تطلبين
اسألي عن مقلبة مخلصه
خبأت رسمك في جفن أمين
سهرت ثرعاك مهما لقيت
في سبيل العهد والود المكين
أقسمت لا تسأل النوم ولا
تطلب الرحمة منه بعض حين!

بعبد ما غور نجمي ودليلي
ما مسيري دون تراب وخليلي؟
في طريق الشوك والصخر وفي
شعب الإرهاق والكد الوبيل
الغريبان عليها التقيا
يستعينان على الدرب الطويل
ما انتفاعي بحياتي بعد ما
سأفك التيار في غير سبيلي؟

يا لجهل اثنين أقدارهما
آه يا ليتهما قد عرفا
ما الذي نضع بالعيش إذا
ما صحا القلب غريباً وغفا؟
ما الذي نضع بالعيش إذا
ما السبيلان عليه اختفا؟
ما الذي نضع بالعيش إذا
صار تذكراً فأمسى أسفا؟

عندما تُقْرِضُ داراً من رِفاقِ
وَتُحِسُّ السَّمَّ في كِياسِ وسِفاقِ
عندما يَكشِفُ بؤسَ وجهِهه
سافرَ اللُّغنةَ مَفقودَ الخِلاقِ
عندما تُنسى بِظِلِّ عالِقا
وبخِيطِ الوهمِ مَشْدودِ الوثاقِ
يا فـؤادي انظُرْ وفكرْ وأفقِ
أى قَينِدِ لكِ بالأحبابِ باقِ؟

كل جِدِّ عَيْبَتْ وَالدهرُ ساخرُ
وخبِيءِ السرِّ للعَيْنينِ ظاهرُ
أدعى أنى مَسْقِيماً وَغَدَاً
رَكِبَتِ المُضنَى إلى الصَحراءِ سائرُ
عندما صافحتُ خائِئتني يدي
وَوَشَى خِفافِ مِنَ الأشجانِ سافرُ
كَلَدَبَتْ كَفّاً على أطرافِها
رِغشةَ البُغْدِ وإحساسِ المسافرِ!

يا دياراً يومئها من سُحْبِ
وغَيُومٍ وِضْبَابِ أَهْقُ غَسْدِ
كَلْ نَبَتِ عِبْقَرِيْ اطْلَعْتَ
جَعَلْتَ مِنْهُ طَعَاماً لِلْحَسْدِ
اخْتَلَفَ المِيثَاقَ مِنْ كَانِ بِهَا
كَلْ آمَسَالِيْ فَلَمْ يَبْقَ أَحَدِ
ضَاعَ عَمْرٌ وَحَصَادٌ وَغَدَاً
مِنْ هَشِيمِ كُلِّ مَا كُنْتُ أَعْدَاً

فَهْمُ بِنَا وَالْكُونُ جَهْمٌ كَالدَجِي
نَتَلَمَّسُنْ مِنْ جَحِيمِ مَخْرَجَا
وَانْجُ مِنْهُ بِبِقَايَا رَمَقِ
أَوْ حَطَامِ وَقَلِيلِ مَنْ نَجَا
لَا تُسَدِّرْ أَيْبَاً بِهِ اضْئِيعُ مَنْ
فِي لُظَاهِ مَسْتَعِينٌ بِالْحِجَا
وَاسْأَلِ الرَّحْمَنَ أَنْ يَنْصِلِحَ عَهْ—
لِدَا كَسِيحَا وَزَمَانَا أَعْرَجَا

عشتُ وامتدَّتْ حياتي لأرى
فى الثرى مَنْ كان قبلاً فى القمم
انهيار المثل العلياً وانـ
كار آلاءِ وكُفْرٍ بالقِيَمِ
مَنْ يَكُنْ عَضُ بِنَاتَا نَادِمَا
هأنا فطفتُ إبهامَ الندمِ
وإذا انحطَّ زمانٌ لم تجِدْ
عاليًا ذا رفعةٍ إلا الألمِ

ضحكةٌ ساخرةٌ هازلةٌ
وخيالٌ تافهٌ هذى الحياه
هذه الأكلوبة الكبرى التى
خدع الناسُ بها وأسفاه
ذلٌ فيهما المالُ والجاهُ إلى
أن غدا أخقرها مالٌ وجاه
تخمدُ الله على أنا بها
لم تصنُ من ذلةٍ إلا الجباه

عَبَيْتَا أَهْرَبًا مِنْ نَفْسِي وَمَنْ
ذَلِكَ السَّائِكِ رُوحِي وَالْبَسْدَانِ
مَنْ لِقَلْبٍ مُسْتَطَارِ الْأَبْ مَنْ
كَلِمَا عَاوَدَهُ التَّذْكَارُ جُنْ
أَيْنَمَا أَمْضِي فَحَوْلِي ذِكْرُ
وَحَبِيبِي وَمَكَانُ وَزَمَنِ
وَرَبِيعِ دَائِمِ الْخَضِرَةِ فِي
رَوْضَةِ النَّفْسِ وَطَيْرِ وَهْنِ

قِصَّةُ خَالِدَةَ لَا تَنْتَهِي
وَهِيَ مَا كَانَتْ لَهَا يَوْمَ ابْتِدَاءِ
أَنَا لَا أَدْرِي مَتَى كَانَتْ وَلَا
أَيْنَ عِنْدَ اللَّهِ أَسْرَارُ اللَّقَاءِ
حِينَمَا لَاحَ شِهَابٌ فِي سَمَائِي
أَسْمَرُ النُّورِ رَفِيعُ الْخَيْلِ
عَبْقَرِيٌّ مَوْحَشٌ مَنْفَرْدٌ
مَتَمَّالٌ قَلِقٌ الْأَضْوَاءِ نَاءِ

هو في الأفق بعيد وهو دان
هو لي نفسي وروحي وكياني
مخطيء من ظن أنا مهجتان
مخطيء من ظن أنا توامان
هو شطر النفس لا توامها
هو منها هو فيهما كل أن
نحن نبض واحد نحن دم
واحد حتى الردى متجدان

رباعيات

صيرك الحسنُ أميرَ الوجود والشعر من دراته كلك
مستلهما منك معاني الخلود فكل تاج في العلى منك لك

فناهبَ برق الثنايا العذاب وسارقُ ياقوتة من فمك
وكل تغريد الهوى والشباب أغنية حامت على مبسمك

وذلك الماس الرفيع السنا والجوهر الغالي الذي صدته
أرفع من فكر الورى معدنا وكل فضلي انني صغته

لا فكر لي، عشتُ على فكرتك أقبس ما أقبس من عُرتك
ودمعتي تقفات من عبرتك فانظر بمرآتي الى صورتك

أشقائي الحبُّ وقلبي سعيد يعدُّ هذا الدمع من انعمك
أجزل ما كافأ هذا الشهيد بلوغه الجد على سلمك

لا شيء من يوم النوى منقذى انى امرؤ عنك وشيك المسير
وانت باقٍ والجمال الذى غنى به شعري ليومى الأخير

انظر الى آيات هذا الجمال ترتد عنها عاديات البلى
عاجزة الباع ويأبى الزوال لوردة من عدن أن تذبلا

للأنفس الظمأى إليك التفات
ولى التفات لسرى الصنفات
ولهفة ملء اللحاظ الجياع
واللؤلؤ اللماح خلف القناع

قلبي مع الناس وفكري شرود
عيني على سر وراء الوجود
في عالم رحب بعيد الشُباب
وبغيتي عرش وراء السحاب

كم طرت بي واجتزت سور الضباب
وعلقت بي للأرض أرض السراب
والضوء ملء القلب ملء الرحاب
والليل جهم كجناح الغراب

أريتني الغيب الذي لا يرى
ثم انحدرتنا نستشف الثرى
كشفت لي ما لا يراه البصر
عل وراء الثرب سر السفر

صدري وساد زاهر بالحنان
موج على لجته خافقان
تصوري أعجب ما في الزمان
هراً على أرجوحة من أمان

كمركب في البحر يوم اغتراب
هيهات يُنجي من شطوط العذاب
ما أبعد المحنة بعد اغتراب
إلا عباب دافق في عباب

مألت كأسى وانتظرت النسيم
شوقي جحيم وانتظاري جحيم
فما لساقى الروح لا يُقبل
أقل ما في لُفحه يقتل

أنت كريم الود حلو الوفاء فما الذي عاقبك هذا المساء؟
وما الذي أخّر هذا اللقاء وحرّم النبع وصدّ الظماء

أذمّ هذا الوقت في بطنيه آخره يعثّر في بدنه
لله ما أحمل من عيبه وما يعانى القلب من رزئه

تدقّ فيه ساعة لا تدور وإن تدرّ فهو صراع الأضرب
رنيّتها يقلق ضمّ الصدور وطرفها يقرع باب القلوب

يا ذاهباً لم يشف منى الغليل ما أسرع العقرب عند الرحيل
هتفتُ فف لم يبق إلا القليل وكلّ حيّ سائر في سبيل

يومٌ تولى أو ظلامٌ سجّبا كلاهما بالقرب منك انتصار
أحمد اليوم تلاه الدجى أم أحمد الليل تلاه النهار؟

إن نور النجم به مرة فإن إشراقك لي مرتان
وكيف يُبقي الشك لي حيرة ولي على برج المنى نجمتان؟

فهذه تلمع في خاطري ملء دمي إشراقها والبهاء
وهذه ثوميء للساھر والليل صافٍ وأديم السماء

وهذه تجلو كثيف الغيوم وتمحق الحزن وتأسو الكلوم
فما الذي أجرى دموع النجوم؟

هيهات أنسى دُرَّة الأنجم وفي جريحٍ أعزلٍ تحتمي
إلى من أفاقها ترتمي من أي هول؟ هي لم تعلم؟

إن ضلوعاً تحتمي في ضلوع مقاديرٍ ليس بها من رجوع
أخذُ أصفاد الجوى والنزوع هوى الحزاني وعناق الدموع

رضيتُ بالدهر على ما جنى ومسرّ يومى هادئاً ساكناً
وأبتُ بالحكمة بعد الجنون وأى شيء خادع كالسكون

أرنو إلى الصحراء حيث الرمال نامت كأن الفبح فيها ظلال
يأليت لى والدهر حال وحال من وقدة الإحساس بعض الكلال

فأقبل الدنيا علي حالها مسأماً بالقدر في آلهـا
وراضياً عنها بأغلالها محتملاً وطأة انقالها

الرُعبُ سيّان بها والأمان والحسن زاد سائغ للزمان
والوهم في حالاتها كالعينان والحبُّ والكره بها توامان

وَدِدْتُ لو قلبِي كهذِي القفار
أعمى عن الليل بها والنهار
أصمُّ لا يسمع ما في الديار
وددت لو قلبِي كهذِي القفار

وددت لو عندي جهلُ الثرى
غفلان لا يعنيه أمرُ جرى
تُعمرُ أو تُقفر هذِي البيوت
أيولد الحيُّ بها أم يموت

وليلة تمضي وأخرى وما
ما ضاء من ليالاتنا أظلما
جئت فهل الهاك عني احد؟
والسبت خداعٌ بها كالأحد

يمتليء السطح على ضيقه
حسده والقلبُ في ضيقه
والوقت عندي كانفساح الأبد
أنا الذي لم أذرِ طعم الحسد

وذلك (الجاز) وهذا النغم
يحمل لي طيف خيال قدم
منتقلاً بين الرضا والألم
تراه عيني في ثنايا حلم

في واحة يرسو عليها الغريب
وهكذا الدنيا خداعٌ عجيب
فكلُّ ما فيها لديه غريب
إذا خلت أيامها من حبيب

وهكذا يومٌ ويومٌ سـواه
وهكذا يذهب طيب الحياه
ينكرها القلب الصبور الحمول
بين التمني واعتذار الرسول

هنا مهاد الحب هل تذكرين وهاهنا بالأمس طاب السمر
وتلك أحلام الهوى والسنين يحملها التيار فوق النهر

والقمر الفضي بين الفيوم يخفق كالمنديل عند الوداع
يا حسرتا! هل صورته الهموم كالزورق الغارق الأشرع

قد جللته غيمة عابرة تسحب أذيال يا الأسي والندم
وأغرقته موجة غامرة فأطبق الصمت وران العدم

ضممت أضلاعي على نعشه فلم يزل فيها لها وشعاع
لأى غور زال عن عرشه وغاص في اللج إلى أى قاع

ارثي لحظ الأفق وهو الذى يرمقنى بالنظرة الساخره
وتهرب الأنجم هذي وذى ويجثم الليل على القاهره

ويزحف الكون على خاطري كأنه في مقلة الساهر
سد من الرعب بلا آخر يعب عب الأبد الزاخر

وفى ظلال الموت موت الوجود وخلف أطلال البلى والهمود
وبين أنفاس الردى والخمود وتحت سحب عابسات وسود

تدفعني عاصفة عاتية تقصف من خلفي وهُدَامِيه
قد مزقت روحي وآماليه وهزبت لي طرف الهاوية!

تلمع في الظلمة أحداقها قد رحبت باليأس أعماقها
شافية النفس وترباقها مشتاقة أقبل مشتاقها

قد كان لي عندك عزّ الذليل وكان للآمالي ومضّ ضئيل
يلمع في ظني قبل الرحيل فانطفأ النور ومات القليل

فداك يا جاهلة ما بييه قلبي وأنفاسي الظماء الحرار
وكيف أنسى ليلتي الداميه ولهفتي ألّهت خلف القطار؟

وعودتي أجرع كأس الحياة مُعاقراً سُمّ الفناء البطيء
أنكر أو أفزع ممن أراه سيان من يذهب أو من يجيء

وليلة فاضت بوسواسها تعجب من الفين بين البشر
ذلك يعدو خلف أنفاسها وهذه تتبع سير القمطر

تتبعه بين الرُبي والشعاب تتبعه يسري خلال السحاب
كم هالكت وهو يضيء الرُحاب والتفتت محسورة حين غاب

وذلك الطفل اللهيف الغيور في فلك من ضوء ليلي يدور
يقفو خطاها وهي بين الطيور لها جناحان مراح ونور

كزورق يعبر بحر الوجود له شرعان ولحظ شرود
كم شرقاً أو غرباً في صعود وارتفعا حتى كأن لن يعود

ليلي أرجعي إنى شقى كئيب اهتف مفقود الهدى والقرار
يا هاته الأوطان إنى غريب وعالمي ليس هنا يا ديارا

تركنتني وحدي وخلفتني أرزح تحت المبكيات الثقال
أنكرت ميثاقي وأنكرتني أكل ماضيها وليد الخيال؟

فرغت من أحلامه وانطوى بمُرّه وارتحت من عنده
الأمر ما شئت فذنب الهوى على الذي يكفر يوماً به

كان إلى الله سبيلي وما كان إلى الإيمان درب سواه
وكان في جرح الهوى بلسما وكان عندي منحة من إله

مهما تكن ناري فإن الجحيم أراف بي من ظلم هذا البعاد
ورباً هم مقعد أو مقيم قد لطفته نسمات الوداد

فخفت النار وقر الهشيم وعادتنى الذكر الضابره
والنيل يجرى هادئاً والنسيم معربد في الخصل الثائره

كم تهتف الأيام: خانت فحُنْ
إن هنتُ هذا عهدها لم يهنُ
ويح حياتي إن تخُنْ أمسها
ولا لياليها وإن تنسها

تهيبُ بي الفرصة قبل الفوات
إني امرؤ زادي على الذكريات
ويعرض الصييد فلا أقتصُ
وما غلا عندي لا يرخصُ

ومطلب في العمر ولى وفات
كان فجراً ضاحكا في مات
وكان همي أنه لا يفسوت
وملأ نفسي مغرباً لا يموت

في السأم الحي الذي لا يبيد
أجدد العيش وما من جديد
والأمل الطاغى بأن ترجعي
وأدعي السلوان مسا أدعي

كم خانني الحظ ولا أنثني
وثقست المرأة لي أنثني
أقضى زمانى كله في لعل
رقتُ بالآمال ثوب الأجل

قد فاتني الصيف وخان الربيع
وما شكاتي حين شملي جميع
وكان همي كله في الخريف
وانت لى أيك وظل وريف

والآن قد مرّق عندي القناع
وبدد الوهم وفض الخداع
موت الأباطيل وزحف الشتاء
برد المنايا وشحوب الضياء

وَأَسِيفَ الْقَلْبِ لِكَنْزِي الَّذِي غَضَّتْ بِهِ أَفْتِدَةَ الْحُسَدِ
صَحُوتِ مِنْ وَهْمِي وَلَا كَنْزَلِي قَدْ صَفَّرَتْ مِنْهَا وَمِنْهُ يَدِي

أَيْنَ زَمَانٌ مَكْتَسِبٌ يَوْمُهُ بِالْحَبِّ مَوْشِيٌّ بِحُلْمِ الْغَدِ؟
مِنْ هَاتِهِ الْأَيَّامِ مَحْرُومَةٌ عَرِيَانَةٌ الْأَمَالِ وَالْمَوْعِدِ

قَدْ قَتَلَ الدَّهْرُ هِنَائِي كَمَا مَاتَتْ بِثَغْرِي ضِحْكَاتِ السَّعِيدِ!
وَرُبَّمَا رَقٌّ زَمَانٌ قَسَا فَانْعَطَفَ الْجَافِي وَلَانَ الْحَنِيدِ

مَحَقَّقُ الْأَمَالِ أَوْ وَاوَعِدُ بِضَرْحَةٍ يَوْمَ لِقَاءِ وَعِيدِ
فَإِنْ يَعِدُنِي نَارُ شَكْوَى بِهِ كَأَنَّمَا وَعْدُ اللَّيَالِي وَعِيدِ!

وَأَسِيفًا هَذَا سَجَلٌ كُتِبَ خَطُّهُ كَفُّ الْقَدَرِ الْمُحْتَجِبِ
فَفِيمَ عَوْدِي لِقَدِيمِ الْحَقْبِ وَفِيمَ تَسْأَلِي عَمَّا ذَهَبِ؟

ضَاقَتْ بِنَا مَصْرٌ وَضَقْنَا بِهَا وَكَلَّ سَهْلٌ فَوْقَهَا الْيَوْمَ ضَاقِ
وَضَاقَتْ الدُّنْيَا عَلَى رَحْبِهَا أَيْنَ نِدَامَسَايَ وَأَيْنَ الرِّفَاقِ؟

كَفُّ تَلَمُّ الْعُمَرِ وَالْعُمَرِ رَاحِ وَهَيْبَةُ تَجْمَعُ شَمْلَ الرِّيَاحِ
لَا حَسِبَ بَاقٍ وَلَا ظَلَّ رَاحِ لَيْلٌ تَوَلَّى وَتَوَلَّى صَبِيحِ

هذا نهار مات يا لئلهار كل مساء مصرع وانهيار
مال جدار النور بعد انحدار وغابت الشمس وراء الجدار

وذا مساء صبغته الهموم بلونها القاني وهذي غيوم
تحوم والظلمة فيها تحوم تبسط مهذا لينا للنجوم

كان ثوباً في السماء احترق فلم يزل حتى استحال الأفق
ظل دخان أو بقايا رمق ولم يعد إلا ذبول الشفق

وتزحف الظلماء زحف الغير حاجبة ما دونها كالستار
وكل حي وادع أوقرير ما اختلف الشأن ولا الحظ دار

العيش أمر تافه والمنون والحكمة الكبرى بها كالجنون
وهكذا نمضي وتمضي السنون وهكذا دارت رحاها الطحون

في شجها حيناً وفي طعنها سينقضي العمر وأين الفرار؟
وثورة الشاكين من طعنها نوح الشظايا وعتاب القبار!



من القصائد المجهولة لناجي

- خمس وعشرون قصيدة -



صخرة الملتقى

سألتك يا صخرة الملتقى
فيا كعبة شهدت هائمين
إذا الدهر ليج بأقساده
أرق الهوى عندها مجهداً
متى يجمع الدهر ما فرقا
أفاء إلى حسنهما المنتقى
أخذنا على ظهرها الوثقا
وإن النسيم بها مرهقا

رمى البحر نحوك أمواجه
وصلت نواحيك هدارة
قرانا عليك كتاب الحياة
نرى الشمس ذائبة في المحيط
إذا نشر الغرب أثوابه
نقول هل الشمس قد خضبت
أم الغرب كالقلب دامي الجراح
فيامهجة خلف هذا الغمام
ويا صورة في نواحي السحاب
لنا الله من صورة في الضمير
يرى صورة الجرح طي الفؤاد
فيأبى الوفاء عليه اندمالا
فصانلت تياره الأزرقا
كما اغضبت أسدا موثقا
وفض الهوى سرها المغلقا
وننتظر البدر في المرتقى
فأطلق في النفس ما أطلقا
وخلت به دمها المهرقا
له طلبه عز أن تلحقا
بكت نضرة وصبا ريقا
راينا بها همنا المخرقا
يرراها الفتى كلما أطرقا
د مازال ملتهدا محرقا
ويأبى التذكر أن يشفقا

(١) نشرت في أغسطس ١٩٢٧

ويا صخرة العهد جاش العباب
وجاورك القفر يعيي الظنون
أرى في العباب كفاح الحياة
والمح فيها عراك الرجال
وكيف على رُحْب هذا الجا
وقفت على اليم أسأل نفسي
هل الله من قبل خلق الحياة
ومثل في القفر لغز الحمام
ولا قاك محتدماً محنقاً
إذا الفكر في كنهه حنقاً
وتيارها الجارف الأحمقاً
إذا لاحق الزورق الزورقاً
ل ننزلها منزلاً ضيقاً
بعيد الهواجس مستغرقاً
أراد على الموج أن تخلقاً؟
ولم نكتشف سره الأعمقاً

أرى في ابيضاض الرمال المشيب والكفن الشاحب المقلقاً
أرى في السراب غرور النفوس والأمل الخائب المخفقاً
وقد جعل الله ذا الصخر بين الحياة وبين البلى موبقاً

ومثل فيه عتو الدهور
تريد الحياة لقاء الممات
ويا صخرة العهد أنت إليك
أريك مشيب الضواد الشهيد
شكا سره في حبال الهوى
فلما قضى الحظ فك الأسار
لن تستباح ولن تخلقاً
ولا يأذن الله باللتقى
وقد مزق الشمل ما مزقاً
والشيب ما كلل المضرعاً
وود على الله أن يعتقاً
حن إلى أسره مطلقاً

لمن زين الله هذى السمراء أو جمل الكون أو نسقاً؟

لن يطلع الضجرُ في أفقها
لن مسَّ هذا النسيمُ الغمامَ
إذا ذكرتهُ الحمامُ أنْ
اللطائرُ المضردُ الروحُ يمضي
وربُّكَ ليسَ لهذا ولكنْ
فيبدو بها ضاحياً موقناً؟
فرقْ منه الذي رقرقا؟
وأنْ ضاحكته الربى صفا
يرودُ الواردَ عن مستقى؟
لروحين في أفق حلقاً!

«المنصورة»

اللقاء

عادت لطائرها الذي غناها
أى الحظوظ أعادها لوفيتها
مشبوبة التحنان تكتم نارها
وشدا فهاج حنينها وشجاها
ونجى وحدتها والى صباها
عبثا وتأبى أن يبين لظاها

يا إلقى المنشود سيرك ذائع
فيم السؤال؟ أما يدلك جارف
ودموع أشعار أثرت نواحها
ما يصنع الرقباء في حب طفى
مد الخريف على الرياض رواقه
ما بالرياض كآبة في أرضها
جملت حمائم أيكها وأنا الذي
نار الحنين دفينها أفشاها
من صبوتي جاز المدى وتناهى
وجمالك الوحي الذى أملاها
وصباية جئت وضاع حجاها
ومضى الربيع الطلق ما يفشاها
وسحابة تغشى صفاء سماها
شاكيتها فاغرورقت عينها

لهضي عليها أين أنات الصبا
أجرى عليها الصمت حتى لم يعد
ماذا لقينا من لقاء خاطف
يا ويح هاتيك الشواني لم تقف
حتى يمتع باليقين مكنب
وتناوح الغدران بين رباها
الامخيب صرختي وصداهها؟
وعشية كالبرق حان ضحاها
حتى نسيغ هناءة ذقناها
عينيه في رؤيا يضل سناها

(١) نشرت في ١٢ نوفمبر ١٩٢٧

تمضى لها الأبصار والهة الهوى
عادَ الزمانُ لها بسرِّ دموعها
وتحولُ عنها ما تطيقُ لقاءها
وخيالٍ يقظتها وحلمٍ كراها

تخبو العواطفُ في الصدورِ وتنتهي
وأنا أحسُّ اليومَ بدءَ علاقةٍ
ويجفُّ في زهر القلوبِ نداءها
وعنيفاً ثورتها وحرَّ مداها
وأحسُّ طفغانِ الهيامِ لكوكبي
ومنارِ أيامي وفجرِ هواها
لم تُروِّ منك نواظري وخواطري
ورجعتُ أزكى مهجةً وشفاهاً

ما حيلةُ القربِ الوشيكِ بمهجةٍ
ما حيلةُ الآمالِ في معبودةٍ
الدهرُ أجمعُ ما يبيلُ صداها
قرحتُ أجزائي على مغناها
إلا التذكُّر وهو زادٌ منك
ماذا تقوتُ خواطري ذكراها
قضيتُ أحلامي أضْمُ خيالها
وأضعتُ أيامي أقولُ عساها

«المنصورة»

الشك

بي ماتحس وفي فؤادك ما بي
تجري الدموع وأنت دان واصل
لنكرت بي ناري عشية لا مست
ومشت يميني في عزيز حالك
وسألت: ما صمتي وما إطرافتي
أقبل! أنقني ما اليقين وهاته
أقبل! لأقسم في حياتي مرة
لهضي على هذا اليقين وطعمه
من أنت؟ من أي العوالم ساحر
مهلاً سليل النور! ما هذي الدنى
حدثت نفسي إذ رأيتك بادياً
ما يصنع الملك الطهور بعالم
ما يصنع الأبرار في الأرض التي
دورة أبدأ السنين كعسلها
تغلو الحياة بها إلى أن تنتهي
أضفر خليلي الشك في الرؤيا التي
يا طالما ضجّ الفؤاد من البنى

فتعال نبكي يا نجى شبابي
كمسيلهن وأنت في الغياب
شفتاي منك أنامل العناب
مسترسل كالجدول المنساب
وعلام ظلت حيرة المرتاب
خلوا من الآلام غير مشاب
أن الذي أسقاه ليس بصاب
بفمي وتكذيبي شهى شرابي
مستأثر بأعنة الألباب
أبدأ مكان جلالك الخلاب
وأطلت تسألني بغير جواب
فإن وأيام كلمع سسراب
ساوت من الأبرار والأوشاب
من ليل آثام لصبح متاب
عند التراب رخيصة كتراب
ملكته على مشاعري وصوابي
وشكا التماغ سرايها الكذاب

(٢) نشرت في ١٩ مايو ١٩٢٨

يا هيكل الحسن المبارك ركنه
لا صدق إلا في لهيبك وحده
قدمت قرباني إليه بقية
فإذا سمحت دفعت فيه دماءها
وأذبت جواهرها فداء نواظر
الساحر النور الظهور رحاب
وجلاله الباقي على الأحقاب
من مهجة تلتفت على الأحباب
ورجعت أحمد من ذراك مآبي
علوية قدسية الحراب

«النصورة»

خواطر الغروب

«النص الأول»

قلتُ للبحر إذ وقفْت مساءً
وجعلتُ النسيمَ زاداً لروحي
وكانَ الأضواءَ مختلفات
مرّبي عطرها فأسكرَ نفسي
فاطرحتُ الهمومَ والأعباءَ
وكأنّي أرى بعين خيالي
وكانَ الوجودَ لم يحوِ إلا
نشوة لم تطلْ صحا القلب منها
إنما يفهم الشبيهُ شبيهاً
أنت باقٍ ونحن حارب الليلي
أنت عاتٍ ونحن كالزبدِ اذا
وعجيبٌ إليك يممتُ وجهي
أبتغي عندك التأسى وما تملكُ
كل يومٍ تساؤلٌ .. لبيت شعري
ما تقولُ الأمواجُ! ما ألمّ الشمس
تركستنا وخلّفت ليل شكّ
يا لهذا الجلالِ والأبدِ المجـ

كم أطلتُ الوقوفَ والإصغاءَ
وشربتُ الظلالَ والأضواءَ
جعلتُ منك روضةً غناءً
وسرى في جوانحي كيف شاءَ
ونسيتُ العذابَ والبرحاءَ
ساحرَ المقاتلينُ يغضي حياءَ
حسنه والطبيعة الحسناءَ
مثل ما كان أو أشدّ عناءَ
أيها البحر نحن لسنا سواءَ
مزقتنا وصيرتنا هباءَ
هبِ علو حيناً ويمضى جفاءَ
إذ مللتُ الحياةَ والأحياءَ
رداً ولا تجيبُ نداءَ
من ينبي فيحسنُ الإنباءَ
سَ قولتُ حزينه صفراءَ
أبدى والظلمة الخرساءَ
هول يزدادُ حيرةً وخفاءَ

(٤) نشرت في ٢٢ نوفمبر ١٩٣٠

روعتني ضالة الناس فيه
وبكيت الغرور والأمل الوا
ما تُرجيه ريشة في مهب الريح
ما يرجيه ذلك القبسُ الخا
والخيالُ الذي تراءى وولى
نحن العوبة القضاء ومن
ولعل القضاء يسخر مني
فليدعني القضاء أبكى لأشفي
لاح خلف الدموع وجه حبيب
قلت لقلب جاء ريك فسانهل
لم تثبتنا الحياة إلا بهذا

فبكيت الحياة والأحياء
سع والسخط والرضى والرياء
تلقى الإعصار والأنواء
بي وشيكاً كأنه ما أضاء
غير وان كأنه ما تراءى
يملك امرأ ومن يرد القضاء
حين أبكي وما عرفت البكاء
لم تدع ذلة الهوى كبرياء
لا أرى غيره لقلبي عزاء
كم ظمنا فما وجدنا الماء
حسبنا وجهه الجميل جزاء

المساء

يا غلة التلهف الصادي يا آيتي وقصيدتي الكبرى
زادي لقائك: طاب من زاد وإذا نأيت أعيش بالذكري

يلقى خيالك كيفما باتا صب له لفتات مسحور
يروى ويشيع منك هيهاتا لا يرتوي بصر من النور

بعد الأوار يلبأ في الفرس لا يرتوي عود من الطل
ومن احتسى من لفة الشمس لا يرتوي أبدا من الظل

ذقت المنايا عند أنفاسي والبعث كان شبابك الزاهي
ومن ارتوى من سخط الناس لم يروه غير رضا الله

يا للمساء العبقري وما منحت من النضجات عينك
أو كان رؤيا وهم حلمًا ما كان أقدس وأسنك

يا للنسائم مسبحة خشعت بهيكل ذلك الوادي
فحفيظها همسات أجنحة ورفيظها صلوات عبّاد

(5) نشرت في ١٦ سبتمبر ١٩٢٥

نمشي وقد طال الطريق بنا ونود لو نمشي إلى الأبد
ونود لو خلت الحياة لنا كطريقنا وغدت بلا أحد

نبني على أنقاض ماضينا ونظل ننشد من أمانينا
قصرأ من الأوهام عملاقا وشيا من الأحلام براقا

واظل أسقيها وتملا لي حتى إذا سكرت من الأمل
من منبع فوق الظنون خفي وترنحت مالت على كتفي

حلفت بأني اغتدي معها فمسحت بالقبلات أدمعها
حيث اغتدت وهواي في دمها وطبعت أقسامي على قمها

إننا لقوم أنكروا الجسدا أو ما ترى روحيهما اتحدأ
فأعجباً لفترفين ما افترقا أو ما ترى ظليهما اعتنقا

الأطلال - الضائعة

يا لمنظيين ضللاً في الوعور
طرُداً من ذلك القصر الكبير
كلما تقسو الليالي عرفاً
يخلقان النور من قلبيهما
دمياً بالشوك فيها والصخور
للحظوظ السود والليل الضرير
روعة الآلام في المنفى الطهور
في دجأها كلما ضننت بنور

كلما تقسو الليالي أنبتاً
كلما جدت قيوداً جدداً
كم بسطنا الخلد في القصر السحيق
ونشرنا الأفق رحباً من مضيق
يا حبيبي ونجيني وصديقي
وخلقنا عالماً من عدم

إن يكن ذلك الهوى حلماً كذوباً
فلقد كنت لقلبي أملاً
أعبر الدنيا إليه ساخراً
المخ الأمر بعيني ملهم
إن يكن طيفاً توّلى لن يؤوباً
أطأ الدهر إليه والخطوباً
والأقي الكرب بساماً طروباً
فكأنى بك أبصرت الغيوباً

(٦) نشرت في يوليو ١٩٢٧.

بعد الشباب

ذهبَ الشبابُ فجئتِ بعدَ ذهابه
تذكينَ ما أطفأتَه بيديكِ
لتكادُ تافحُنِي النسائمُ كلما
حَمَلَتْها حُرْقُ الغرامِ لديكِ
الذي لها وهجاً على خديكِ
واری لها جمرأً على شففتيكِ
لا تُدْمِنِي نظراً إليّ فـ هو الذي
جَعَلَ الهوى قِدرأً على كفيكِ
ما تلتقي عيني بعينك لحظةً
إلا رأيتُ صبأى في عينيكِ

(٧) نشرت في ٢٧ نوفمبر ١٩٢٨

أنوار

(مهداة إلى الأستاذ خليل شيبوب)

طابت بك الأيام وافرحتهاه
قد وجدَ الضليلُ نورَ الهدى
فليذهب الليلُ غمُرتنا له
جمالكِ الطاهرُ عندي له
ولي إلى ذلك الجمالِ اتجاه
قد طرَّقَ البابَ فتى متعباً
نقلَ في الأيامِ أقدامه
عندكِ قد حطَّ رجالُ المنى
أين شقاءُ صاخبٍ في دمي
له إذا دوى به ساخراً
شكراً لذات هبطت من علٍ
بأيِّ كف طعنت قلبه
قد هدأ الليلُ وراى الكرى

أنت الأمانى والغنى والحياه
يا حلمة .. يا نجمة ... يا سناه
ما دامَ هذا الصبحُ عقبى دجاه
إيمانُ قلبٍ في خشوع الصلاه
ولي بسلطانكِ عز وجاه
طالَ به السيرُ وكَلتُ خطاه
يبغي خيالاً ماثلاً في مناه
وفي حمى حسنك ألقى عصاه
جرُّ عني الضنكُ إلى منتهاه
ضحكُ التشفى وحنون الطفاه
تحللتِ النحس فشتت يداه
فمات في قلبي حتى صداه
إلا أخا شهد يغنى شجاه

(٨) نشرت في ديسمبر ١٩٢٩.

ناداك من أقصى الربي فاسمعي
نادى أليفاً نام عن شجوه
احسبك الحب وغنى به
وانما الحب حليث العلى

لمن على طول الليالى نداءه
عذب تجنيه عزيز جناه
عفا الأمانى والهوى والشفاه
أنشودة الخلد ونحن الرواه

أحلام سوداء

رُبَّ لَيْلٍ قَدْ صَفَا الْأَفْقُ بِهِ
قَدْ سَرَى فِيهِ نَسِيمٌ عَبَقُ
قَلْتُ يَا رَبُّ لَنْ جَمَلْتَهُ
فَخَلِي نَائِمٌ عَنْهُ الْقَسْدُ
وَشَجِيُّ الْقَلْبِ يَشْدُو لِلذِّكْرِ
كُلُّ شَيْءٍ مَأْتَمٌ فِي عَيْنِهِ
غَامٌ وَجْهَ الْأَفْقِ وَارٍ بَلَّتْ بِهِ
كَلِمَا تَقْرِبُ تَمْتَدُّ لَهُ
فَنَاتِمَاتُ كَذْنَابِ حُومٍ
صَحَتْ بِالْبَدْرِ تَنْبِيهُ لِلنُّذْرِ
لَا تَبِخُ مَائِدَةَ النُّورِ لَهُمْ
فَهَقَهُ الرِّعْدُ وَدَوَى سَاخِرًا
فَمَتَّ مَذْعُورًا وَهَمَّتْ قَبْضَتِي
لَهْفًا الْقَلْبِ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا

وَمَا قَدْ أَبْدَعَ اللَّهُ أَزْهَرَ
فَكَأَنَّ اللَّيْلَ بَسْتَانَ عَطَرَ
وَلَنْ هَذِي الثَّرِيَّاتُ الْغُرُرُ
نَامَ لَمْ يَسْعُدْ بِهَاتِيكَ الصُّورُ
دَامِيَ الْأَلْحَانِ مَجْرُوحِ الْوَتْرِ
لَا الْكُرَى طَابَ وَلَا طَابَ السَّهْرُ
سُحِبَ حَامَتُ عَلَى وَجْهِ الْقَمَرِ
كَأَكْفِ شَرِهَاتٍ تَنْتَظِرُ
جَائِعَاتٍ مِثْلَ غُرْبَانِ الشَّجَرِ
أَنْدَرِكِ الْهَالَةَ حُفَّتْ بِالْخَطَرِ
لَا تَبْجُهَا لِسْوَادِ مَعْتَكِرِ
فَكَأَنَّ الرِّعْدَ عَرَبِيْدُ سَكْرِ
ثُمَّ مُلَّتْ ثُمَّ رُدَّتْ مِنْ قِصْرِ
عَجَزَ الْقَادِرُ وَالْبَاعُ خُورِ

(٩) نشرت في ١١ ديسمبر ١٩٢٩.

لَهْفُ الْقَلْبِ عَلَى الْحَسَنِ إِذَا
تَحْتَمِي الْوَرْدَةُ بِالشُّوكِ فَإِنْ
أَهٍ مِنْ غِصْنٍ غَنِيٍّ بِالْجَنِيِّ
أَهٍ مِنْ شَكٍّ وَمِنْ حَبٍّ وَمِنْ
كَسَّتِ الْأَفُقَ سَوَادًا لَمْ يَكُنْ
طَالَمَا قَلْتُ لِقَلْبِي كَلِمًا
إِنْ تَكُنْ خَانَتًا وَعَقَّتْ حَبْنًا
كَانَ طَيِّفًا مِنْ ظَنُونٍ لَمْ يَدْمُ

فَهَقَهُ الْغَرِبَانُ وَالذَّنْبُ سَخِرَ
كَثُرَ الْقُطَافُ لَمْ تُغْنِ الْإِبْرَ
وَمِنْ الطَّامِعِ فِي ذَاكَ الثَّمَرِ
هَاجَسَاتٍ وَظَنُونٍ وَحَنْدَرِ
غَيْرِ غَيْمٍ جَائِمٍ فَوْقَ الْفِكْرِ
أَنْ فِي جَنْبِي أَيْنَ الْمُحْتَضِرِ
فَأَضْفَهَا لِلْجِرَاحَاتِ الْأَخْرَ
وَسَحَابًا مِنْ جَنُونٍ .. وَعَبَّرَ

إثنان في سيارة

من أي أكسوان وأي زمسان
يا ساعة بسطت ظلال أمان؟
هل كنت حين هبطت غير ثواني
ومسداك فوق الظن والحسبان
العمر أكثره سدى وأقله
صفو يتاح كأنه عمران
كم لحظة قصرت ومدت ظلها
بعد الغيب كدوحة البستان
ويمر في الذكرى خيال شبابها
فكان يقظتها شباب ثان
من ذلك الطيف الرقيق بجانبى
كفأه في كفى هاجعتان
إنى التفت إلى مكانك بعدما
أخليت به فبكيت سوء مكانى

(١٠) نشرت في ٢٦ فبراير ١٩٤٠.

لكأننا والأرض تُطوى تحتنا
نجمان في الظلماء منفردان
لكأننا والريخُ دونَ مسارنا
خَطَّانِ في الأقدارِ منطلقانِ
هل كان ذاكَ القربُ إلا صيحةُ
همت بها شفتانِ ترتجضانِ
هل كان ذاكَ القربُ إلا لوعةُ
ونداءُ مسغبةٍ إلى حرمانِ
والناسُ مُستَبقونَ كلُّ يبتغي
غرضاً يكافحُ دونه ويعاني
حُمىً مقدرةً على الإنسانِ
تبقى بقاءَ الأرضِ في الدورانِ
وكانما هذى الحياةُ بضوئها
وضجيجها ضرباً من الهذيانِ

الربيع - عام ١٩٤٠

لمن هذا الجلالُ جنى وظلاً
ومن بسطَ الجِمال ومن أهلاً
ومن نشر الضياءَ على البرايا
ومن من أوجبه العسالى أطلاً
أطلّ فلم يدع ركناً صغيراً
ولم يترك على الدنيا محلاً
أجل هذا الربيع ومما رأينا
أحباً ولا عرفنا منه أحلى
تعالى الله، مدد لنا بساطاً
وأودع نعمه فيه وعدلاً
فليس به غنى أو فقيراً
جميع الناس منه تصيبُ فضلاً
لقد عاد الربيع فقل لقوم
هنالك أمعنوا فتكاً وقتلاً

(١١) نشرت في أبريل ١٩٤٠.

لن هذا الربيع إذا اقتتلتتم
وجفأ الحب فيكم واضمحلاً
لن ورداً على الأغصان زاه
وهذي الأرض بالأحزان تكلي؟!

صخرة المكس

تعال نرفاً للشجر السلامَا
الست ترى على الشجر ابتسامَا
الم تشعُرُ كأن يَدَيَّ عزيز
مَسَحَنَ لك المواجهَ والسقامَا
كان خَطِي العبابِ خطي حبيب
كَأَنَّ المَوْجَ أَفْئِدَةٌ ترامِي
سلامَا يا عروس الماء اني
أحبُّك لا أملُ بك المقامَا
أسيرُ إلى لقائكِ نضو شوق
وارجع عن ربوعك مستهامَا
أراكِ فتنتشي روعي وقلبي
كأنني قد سقيتُ بك المدامَا
وإن طوى الساطُ فنصبَ عيني
عليك خيالُ أحيابي القدامي
وإن طاحَ الزمانُ بكأسِ حبي
فلا الساقِي نسيتهُ ولا الندامي

(١٢) نشرت في ٢٩ أبريل ١٩٤٠

فوادي هم بنا نذكر شجانا
 لصخر في جوار الكس قاما
 تعال ولا تقل هذا جماد
 وكيف تروم بالصخر اعتصاما؟
 فكم في الحى من قلب اصم
 تنكر أو تجاهل أو تعسامي
 وكم صخر احس بما عنانا
 وما عرف الحديث ولا الكلاما
 وكم في الناس من رجل قوى
 شديد البأس يقتحم اقتحاما
 تعرض للحوادث لا يبالي
 تلقاها نصالا أم سهاما
 فإن عرضت له الذكر الخوالي
 رأيت الكون في عينيه غاما
 عمرته الرجفة الكبرى وراحت
 جيوش الصبر تنهزم انهزاما

بربك أيها الأنوار ماذا
 صنعت بساهر ألف الظلاما
 بربك أيها الأمواج ظلت
 على الشيطان ترتطم ارتطاما

أتيتك أبتغي منك التأسّي
 وأنشدُ في نواحيك السلام
 أراك فتحت لي شجناً جديداً
 وكنت أروم للماضي التئاماً
 وهيت وخانني جلدى والأ
 فهذي الدمة الحرى علاماً
 أيا بلد التأسّي كيف أنسى
 زمانى فيك كهلاً أو غلاماً
 ويوم أتيت مكتئباً عليلاً
 أحس البين يدنو والجماماً
 أخرجرك فيك أقداماً ثقلاً
 واجمع من عزيمتى الحطاماً
 وعلاتى وأدوائى كسبباً
 شربن دمي وأبلين العظاماً
 أراك فلا أبالى بالنايا
 وأحمدُ عند شاطئك الختاماً
 وكم طاف الرفاق وغادرونى
 كغوادٍ ومروابى كراماً
 تمرى الحياة ولست أدرى
 أيوم مرّام قضيتُ عاماً

عرفتك والشتاء يمدُّ ظلاً
وينشرُ في جوانبك الغماما
عرفتك والمصيفُ عليك زاهٍ
وقرنُ الشمسِ يضطرمُ اضطراما
عرفتك والعواصفُ فيك غضبي
نشرنَ على محياك القتاما
عرفتك والفلائكُ فيك بيضٌ
مجنحةٌ يحاكينَ الخماما
عرفتك هادئاً والفجرُ غافٌ
كانَ البحرُ وسأده فتاما
عرفتك كالصديقِ بكلِّ حالٍ
وكنتِ شرابِ روعي والطعاما
وملحكِ في دمي وشذاكِ باقٍ
وهذا الصوتُ أسمعهُ دواما
تعالني صخرةُ الماضي أجيبني
وقسوفكِ وانتظاركِ إلاما
لقيتِ من العبابِ كما لقينا
من الأيامِ قرعاً واصطداما
كأنكِ للورى هلفاً وهذى
جموعٌ تبتغي امرأ جساما

إذا ما أخفقتوا رجعتوا فرأدي
وإن همموا وجدتهم زحاما

فؤادي إن تغيرت الليالي
فمثلك من رعى فيها الذماما
بلغنا كعبة الآمال فاخشع
ودعنا في مناسكها قياما
خذ السلوان من حجر صوت
فما أحرأك بالحجر استلاما
بربك أين أحلام غـوال
وعمر قد قطعناه نياما
ونسفاه أماني أو خيالاً
ونطعمه قصيداً أو غراما
وعهد كان فيك ربيع ورد
كهذا اليوم حسناً وانسجاما!!!

ليلة من ليالى القاهرة

قالت تعال .. فقلتُ لبيك
هيهات أعصي أمر عينيك
أنا يا حبيبة طائر الأيك
لِمَ لا أغني في ذراعك
أنا يا حبيبة جئت أنتظر
انى امرؤ بهواك مؤتمن
مهما يكن في حبك القدر
مهما يطل فى وعدك الزمن
ظلم على ظلم على ظلم
وفنتى غريب القلب منفرد
غشى السكون فليس من قدم
وخلأ المكان فما هنا احد
وظفى الهوى فى صدر مختنق
فى ليلة صيفية الريح

(١٣) نشرت يوم الثلاثاء ٢٢ أبريل عام ١٩٤١.

يرنو بناظره إلى طرُق
عمياء زرقاء المصابيح
أصفي لصوتِ خطاكِ في وهمي
مستيقناً حيناً ومفترضاً
مستغرقاً في نشوةِ الحلمِ
فيردُّ صوتُ القلبِ معترضاً
يا عينُ هذا مـدلجُ سـاري
فـمن اللـم كـأنه شـبـحُ
الليلِ غـلقـه بأسـرارِ
يا ليتـه يدنو فـيـتـضحُ
يا أذنُ تلكِ خطي، اتقـتـربـي؟
لا بل خطي تنأى وتبتعد
إني على الحالين مسرتقب
لويصنـدقُ الميـعاد مـن يـعد
وإذا بمقـبلةٍ على جـزع
بسـطت إلى يمين مـرتجـف
وإذا ارتعاشةً طائر فـزع
أحسـسـتـها إذ لامست كـتـفى

وكان السنة السماء لها
لغة إذا اقتربت كواشفها
همست: تأمل فالتفت لها
فإذا بها شحبت مرآشفها
شحبت كلون المغرب الباكى
وتأقت كالنجم عيناها
وتلفتت كحبيس اشراك
وحكا اضطراب الموج نهداها
راجعت نبلي واتهمت دمي
وسألت قلبي أين حجته
فوجدته خلوا من التهم
وتحدثت الشبهات عفته
قلت اهدني لم سورة الندم
كففاك ترتجفان يا املى
واخذت أدفى بردها بضمي
لو تنف عن حرارة الضبل
وجذبها بذراعها نمشي
نمشي وما ندري لنا غرضنا
الضبان قد فرأ من العش
يتبادلان سعادة ورضنا

وحديقة نامت بلا شجن
 وغفت على امن ازاهرها
 لم لا وقد سكنت الى غصن
 وغدا لها طل يبساكرها
 كم ابصرت قبلي ومر بها
 مثلي ومثل حبيبتى اثنان
 وهنية ما كان اعذبها
 اذ يلتقي في الحب قلبان
 يا لحظة ما كان اسمها
 وهناء ما كان اعظمها
 مر الغريب فباعدت يدها
 وخلا الطريق فقربت فمها
 مرت بنا سياره ومضت
 خطافه فضاحة النور
 كشفت لعينينا وقد مضت
 ظلين مستنقين في السور
 ضحكت لظلينا وقد عجبت
 مما يصور قلب منصور
 وكان ضحكتها وقد طربت
 قطرات ماء فوق بلور

لم تدرِ هاتيك الحبيبة ما
كان الهوى في خاطري يوحى
ما نقلت في جانبي قدما
إلا خطت تمشي على روعي
عودتها من شر أمسية
تعييا بها وتضل أبصار
وكواكب ليست بمجدية
ظلم مكدسة واحجار
عثرت بها فرفعتها بيدي
حسنا يكاد يشف في الظلم
ويرف مثل الزهر وهو ندي
ويجف مثل عرائس الحلم
وكأنني مما يسوء خلي
وحياتي انجابت حوالها
ارمي الطريق بناظري رجل
وانا لها طفل يضاحها
مكثها الدنيا بما وسعت
وانا اهامسها بأسراري
وأسررها بحكاية وقوت
ورواية من نسج افكاري

وإذا الطريق يسير منعطفا
وإذا رياح تضرب السدفا
وكان منها منذراً هتفا:
بلغ السير نهاية فقفا
يا تواماً من صدرى انثزعا
يا من دعا قلبي له فسعى
لم أيها الداعي هواك دعفا
والدهر يأبى أن نظل معفا
انظر ذراعي اللذين همفا
قد طوقاك مخافة البين
اقسم بأنك عائد لهمفا
إني لممـدود الذراعين

الميعاد الضائع

يا مَنْ طواها الليلُ في ظلمائه
روحاً مفزعةً على بیدائه
تلفستين إليّ في انحسائه
لهف الفؤادِ على الشريدِ التائه

إنْ تظمئني لى كم ظمئنتُ إليك
جمعَ الوفاءِ شقيةً وشقيةً
يا منيتي قستِ الحياءُ عليك
وجرتْ مقاديرُها الجسامُ عليّ

إني التسفتُ إلى مكانك والمنى
شئتُ وقلبي لا يطيقُ حراكها
فصرختُ يا أسفاً لقد كانتْ هنا
لمْ عاقتني القدرُ الخئونُ هناكاً!

(١٤) نشرت في ٢٨ يوليو ١٩٤١

عَبَسَتْ وَسُودَتْ السَّمَاءُ ظِلَالَهَا
فَكَانَ عَقِبَانَا تَحْتَ رِحَالِهَا
وَكَانَ أَطْوَادَ السَّحَابِ حِيَالَهَا
أرْسَتْ عَلَى الْكَتِفِ الصَّغِيرِ ثِقَالَهَا

تستصرخين لك السماء وقد خبت
وطوت بشاشة كل نجم مشرق
إن خلتها استمعت إليك وقاربت
ألفيتها صارت كالجذع ضيق

يا مَنْ هَرَبْتَ مِنَ الْقِضَاءِ وَصَرَفَهُ
عَجَباً لِهَارِبَةٍ تَلُودُ بِهَارِبِ
إِذَا هَوَى نَجْمٌ وَمَالَ لضعفه
أبصرت حظك في الشعاع الغارب

أسفياً عليك وأنت روح حائر
والكون أسراراً يضيق بها الصغى
تجتاز عابرةً ويسرع عابر
وتمر أشباح يوارىها الدجى

في وجنتيك توهج وضرام
وبمقلاتيك مدامع وذهول
وكذا تمر بمثلك الأيام
مجهولة وعذابها مجهول

وليت قبل لقائنا يا جنتي
لم تظفري مني بقول مسعود
وكعادة الحظ الشقي وعادتي
اقبلت بعد ذهاب نجمي الأوحدي

تتعاقب الأقدار وهي مسيئة
كم عطفنا ليل وخان نهار
وكأنما هذا الفضاء خطيئة
وكان همسه نسيمه استغفار

وكانه احزان قوم ساروا
هذي مآثمهم وثم ظلالها
عفت القصور وظلت الأسوار
كمناحة جملة وذا تمثالها

غَامَ السَّوَادُ عَلَى وَجْهِهِ الدُّورِ
وَسَرَى إِلَى نَحْيِبِهَا وَالْأَدْمَعُ
وَكَانَنِي فِي شَاطِئِ مَهْجُورِ
قَدْ فَارَقْتَهُ سَفِينَةً لَا تَرْجِعُ

حَمَلْتُ لَنَا أَمَلًا فَلَمَّا وَدَّعْتِ
لَمْ يَبْقَ بَعْدَ رَحِيلِهَا لِلنَّاضِرِ
إِلَّا خَيْالَ سَعَادَةٍ قَدْ أَقْلَعَتْ
وَوَدَاعَ أَحْبَابٍ وَدَمْعَ مَسَافِرِ

الكأس

لا تبكها ذهبت ومات هواها
في القلب متسع غدا لسواها
احببها وطويت صفحتها وكم
قرأ اللبيب صحيفة وطواها
يا شاطئ الأحزان كم من موجة
هبها ارتطامة موجة وصداها
تلك الوليدة لم تطل بشراها
لما تكذت طأ الثرى قدمها
زف الصباح إلى الرمال نداءها
وسرى النسيم عشية فنعاه
هات اسقني واشرب على سرّ الأسي
وعلى صبابة مهجة وجواها
مهلاً نديمي كيف ينسى حبها
من ينشد السلوى على ذكرها

(١٥) نشرت في ١٨ أغسطس ١٩٤١

ما زالت تسقيني لتسسيني الجوى
حتى نسيتُ فما اذكرتُ سواها
كانت لنا كأسٌ وكانت قصةً
هذا الحبيبُ أعادها ورواها
كأسي وشمس هوائٍ والساقى الذي
عَصَرَ الشعاعَ لهجتى وسقاها
الآن غشاها الضبابُ وها انا
خلفَ المدامعِ والهيمومِ اراها
غالِ الفناءُ حبابها وضبابها
وتبخرتُ أحلامها ورواها

الورد

يا مرحباً بالورد في إبانهِ
وبموكب الأمال في بستانهِ
يا محسناً للعين في إقبالهِ
ما تنتهي العينان من إحسانهِ
قل لي أهذا الطلُّ دمعُ حنائِرُ
يروى الربيعُ النضر من أشجانهِ
عجباً له والحسنُ ملءَ عيونهِ
يبكى عليك وأنت في أحضانهِ
إنى رأيتك بعدما ولى الصبأ
فبكى الشبابُ على ربيعِ زمانهِ
ورأيتُ عرسك في مجالي أنسه
والطيرُ صدأح على أفنانهِ
فتألفتُ روعي ثرجي قطرة
من كأسه أو وقفة في جانهِ

(١٦) نشرت عام ١٩٤٢

قلق

عَبَثًا أَبْتَغِي لِقَابِي السَّكِينَةَ
وَاللَّيْسَالِي بِهَا عَلِيٌّ ضَمِينَهُ
هَآكِ مَا قَدْ أَبْطَيْتَهُ يَا حَيَاتِي
مَنْ حَيَاتِي فَهَذَاكَ مَا تَبْقِيَنَهُ
فَظِلَالٌ مِنَ الْغَمِّ رُوبٍ دَوَامٍ
وَبِقَسَايَا مِنَ الْمَغْسِيْبِ طَعْمِيَنَهُ
يَا غَرِيبَ الضُّوَادِ قَلْبِي غَرِيبٌ
وَسَجِينِ الْعَذَابِ نَفْسِي سَجِينَهُ
أَيُّهَا الشَّاطِيَةُ الَّذِي غَابَ عَنْ عَيْنِي
أَمَا حَانَ أَنْ تَوُوبَ السَّفِينَهُ
وَإِحْتِنِي لِلْمَحْجَةِ مِنْهُ إِنِّي
جَسَدٌ ذَائِبٌ وَرُوحٌ حَزِينُهُ
كَيْفَ خَانَتْ مَدَامَعِي فَيْكَ قَلْبًا
لَمْ تَكُنْ قَبْلَ عُودَتِي أَنْ تَخُونَهُ

(١٧) نشرت في يناير ١٩٤٢

سبقته إليك يوم التلاقي
وأبت في وداعنا أن تعسينه
قد صرفت الهوى كما تعرفينه
وارتقتبتُ الغد الذي ترقبينه
وأنا في انتظار يومٍ بعيدٍ
ما ارتيابي وقد ضمنتُ يقينه
بعدهما صَوَّحَ الشَّبابُ ووَلَّى
وطوى حُلْمَـةَ وافئى سنينه

غِيُوم

إن تجدد يا قلباً قلباً قد لها
عن حبيب مات فيه ولها
ربّ شمسٍ منحثنا ظلّها
وتخلّت .. غمض الله لها

ذنبٌ من يهـواك أو ذنبُ السنين
ذلك الهـجرُ ولا لومَ عليك
أذنبت ساعة نجوى وحنين
وسدت راحتته في راحتك

آه لو تعرف يوماً الى
مستطاراً تأكل النار ضلوعى
أو شريداً يلفح القفـر دمي
أو طريداً تشرب الريح دمـوعى

(١٨) نشرت في مارس عام ١٩٤٣.

القمر

أضياءً على النيل واطخر بين شطآن
وفضض الرمل من سهل وكثبان
لأنت قلب الوجود المحض منطلق
على السماء ينادى كل إنسان
وأنت دون سحاب ثغر فرحان
وأنت خلف سحاب غل أشجان
وأنت عند شجي دمعاً سكبت
على الفضاء فظلت دون أكفان
وأنت للأرض هاد وهي ما فتئت
حيرى تدور على أعقاب حيران
وأنت في الكون ظل الخلد منتشر
على البرية من قاص ومن دان
لا يبلغ الزمن المحدود جانبه
وكيف للخلد تحديد بأزمان

(١٩) نشرت في يوليو عام ١٩٤٦.

للتقى السعداء الملح مهن قصر
والعمر في نورك المحبوب عمران
من أنت يا من سرى في خاطري ودمي
وصمتته الحلو يسرى ملء آذاني
يا لفتي الغريد العبرقي إذا
شدنا على وترها بالصمت رنان
يظل يهتف في روي فيسكن
فما احتياجي لي ترجيع الحان
يا طاوياً في الليالي السر أجمعه
ويا كتاب الليالي دون عنوان
عجبت ليل يحوي جنة خلعت
نور الصباح على أعطاف بستان

أمل

حبيبة قلبي حياتي الفدا
وان كان في مقلتيك الردى
إذا مـر يومى بلا ملتقى
اقول لقلبي انتظريها غداً
رويدك إن غداً فـداً
خفى الدروب بعيد المدى
إذا لم نجد لـحمة فى الرمال
فإن الهوى مضجع من مدى
لعينيك أطوي الحياة اصطباراً
شقياً بها عانياً مفرداً
هبيني لأجلك ضيعتها
فوالله لم أفض عمري سدى
فأنت الوجود وأنت الخلود
وأنت النداء وأنت الصدى

(٢٠) نشرت يوم ١٠ يناير ١٩٤٩.

وكيف بفيرك تحلو الحياة
ويغذب مـوردها مـورداً
وانتِ النعيمِ وانتِ العذاب
وانتِ مـواردها والصدداً
وانتِ احب المحبين فيهما
وانتِ كذلك احب العبدان
تنادينني ان قلبي اليك
غدا هاتفاً وسرى منشداً
وانتِ اللهيبي واني الفيراش
فهاتي على نارك الموعداً
تظنينني ناعماً بالرقاد
واني الذي خصصم الرقاد
سأسهر عمري حتى أراك
واجعل من حبنا معيداً

على ضفاف النيل

سحر الجمال على ضفاف النيل
في مشرق أو في احرار اصيل
والعين تنتهب المفاتن كلها
وتجول بين مزارع ونخيل
طب النفوس وراحة العاني اذا
حل الضنى وشفاء كل عليل
ونعيم احلام ومتعة ناظر
مستنقل من رائع لجميل
ولربما بخل الزمان على الورى
والنيل بالخيرات غير بخيل
وكفاه ان النفس في وقد اللظى
تاوي لظل في رباه ظليل
وكفاه ان شهد الحضارة مولدا
لا ريب كل حضارة باصول
والمجد اعراق وهذا شاهد
عن سامق من مجدنا ونبيل

(٢١) نشرت في مايو ١٩٤٩.

عاصفة غضب

في ليلة عاتية صاخبه
ثارت على الفتنة الغاضبه
وفي اشتباكات الهوى والقلبي
ومن سنان الكلم الواثبه
ذاق فـؤادي طعنة طعنة
مسرارة الموت بها ذائبه
أطبقت عيني وخيال الردي
يحموم في وجنتي الشاحبه
وأطبق الليل سوى بقعة
حمراء من دمعتي الساكبه

وطافيات من حطام اللمني
على متون الرقم الراسبه
وحائيات من فلول القسوى
ومن بقايا الهمم الغاربه
مستنقذات من جحيم الجوى
ترحف خلف الجنة الهاربه

(٢٢) نشرت في فبراير عام ١٩٥٢، أي قبل رحيل نايجي عن عالمنا بأكثر من شهر واحد ..

بايعتُ حُسْنِك

بايعتُ حُسْنِكِ أَوْلَى وَأَخْيِرَ
وَرَضِيْتُ حُبَّكَ سَيِّدًا وَأَمِيرًا
وَحَنِيئَتُ رَأْسِي وَأَطْرَحْتُ تَمْرِدِي
وَأَتَيْتُ أَرْسَفَ فِي الْقَيْوُدِ أَسِيرًا
أَمَنْتُ بِالْحَبِّ الْقَوِيَّ وَرَعْدَةَ
سَبَقْتُ غَرَامَكَ غَازِيًا وَمَغِيرًا
يَجْتَا حِ أَيْامِي وَيَجْعَلُ مَضْجَعِي
شَوْكًا، وَلِيَلَاتِي الطَّوَالَ سَعِيرًا
وَاهَا لِلنَّارِ كِ.. إِفْتَحِي أَبْوَابَهَا
لِلْقَلْبِ.. يَسْتَقْبِلُ لِظَاكِ قَرِيرًا
النَّارُ وَالْآلَامُ.. مَا أَحْلَى الْقُدَى
مَادَامَ حُبُّكَ بِالْفِدَاءِ جَدِيرًا
وَارْوَعَةَ الْإِيمَانِ فِي مَحْرَابِهِ
وَالصَّمْتُ يَغْمُرُ مَهْجَةً وَشَعُورًا
وَارَهْبَةَ الْعَاصِي تَقْرِبُ وَاعْتَدَى
طِفْلًا لَدَى النُّورِ الْكَبِيرِ صَفِيرًا
وَارْجُفَةَ الْجِبَارِ قَدَمُ قَلْبِهِ
وَجِثًا.. وَسَلْمًا.. طَائِعًا مَقْهُورًا

(٢٢) نشرت في يناير عام ١٩٣٦ .

صخور وأشواك

كل يوم يمرُّ يُخَيِّي جروحي
كل يوم يزيد غربة روعي
كل يوم يضيقُ حتى محا الضيق
ق رجائي بقرب يوم فسيح
لم تحنْ هداتي ولا اذن الله
له لراسي بضجعة المستريح
وأراني إن مزق الشوك أقدا
مي وزاد العثارُ في التبريح
أمسك القلبَ مستجيرا كائي
صرت أمشي على فؤادي الذبيح

(٢٤) نشرت في يناير ١٩٣٦.

إلى أم كلثوم

ليسعد النيلُ وليهتفُ لك الجيلُ
لك الخلودُ وللشعر الأكاليلُ
تلقّتي تجدي مصرًا بأجمعها
تحنو عليك ويرنو نحوك النيلُ
جرى النسيمُ على وجه الفلير به
كانه في شفاه الفنّ تقبيلُ
تسمعي في العلى همسا وأغنية
أذاك صوتك أم في الخلد ترتيلُ
على الثرى لك أكبادُ مصفحةُ
وفي السماوات إكبارُ وتهليلُ
قد بجلوكِ وهل في العبقرية ما
يكفي لتمجيدها فخر وتبجيلُ
ولم تقسامُ تماثيلُ ممجدةُ
وهي قلوب الورى هذى التماثيلُ

(٢٥) القيت مساء ٢٢ أكتوبر عام ١٩٤٩.

وحسبُ صوتك أن يعدو بنا سوراً
كأنه في كتاب الفن تنزيلُ
رأي الحقيقة رأي العين منطلقُ
مصفاً بقيود العيش مكبولُ
سرى له الصوتُ مسرى النور فانتشعت
عنه وعن قلبه الصافي الأضاليلُ
فإن يكن حُلماً كالوهم طاف به
فإنه الحقُّ.. والباقي أباطيلُ
فليفخر النيلُ وليزهى بمعجزة
لها على قدرة الخلاقِ تدليلُ
من أنت؟ ما أنت.. فالأفهام حائرة
وكيف للذن تفسير وتعليلُ
للذن عندك آيات منزلةُ
أنت الفراقين فيها والأناجيلُ
وحسبهُ وقطوفُ منك دانيةُ
بأنه في وجوم العيشِ تجميلُ

مصادر القصائد المجهولة



١- صخرة الملتقى - نشر النص الكامل المجهول لهذه القصيدة في عدد «السياسة الأسبوعية» الصادر بتاريخ ٦ اغسطس ١٩٢٧ ص ٢٠، وتصدرتها مقدمة نثرية هذا نصها: «صخرة ألفناها في صباننا وتعرفنا عليها إلى شلى وبيرون وكيوتس، واوحت الينا كثيرا من شعرنا جئمت بين العباب المائج والصحراء المنبسطة، عدنا اليها بعد كر السنين فكتبنا عليها القطعة التالية»، والواقع ان هذه المقدمة مضللة لقارئها، اذ أنها توحى له بأن الشاعر قد أصبح كهلا، بينما حقيقة الأمر تبين انه لم يكن قد تجاوز السابعة والعشرين ممن عمره عندما نظم القصيدة، ثم إنه لم يعمل بالمتصورة ولم يتعرف فيها على رفاق الشعر والحب والشباب إلا في عام ١٩٢٧، فكيف بالله عاد الى «صخرة الملتقى» بعد كر السنين؟ ترى لماذا اذن كتب مقدمته؟ هل كتبها في وقت من اوقات الضيق التي يحس فيها حتى الشباب بالكهولة النفسية؟ أم أنه اراد بها ان يثبت لهيئة تحرير «السياسة الأسبوعية» أنه رجل مكتمل النضج وليس حدثا صغيرا، وبذلك يتسنى لقصيدته ان تنشر؟ لا ادري! على أي حال فأننى قد سبق ان بينت كيف ان على محمود طه كان

أسبق من ناجي في مجال نشر قصائده في «السياسة الأسبوعية»، فقد نشرت له عدة قصائد قبل قصيدة ناجي هذه، ثم نشرت له في عدد ١٦ يوليو ١٩٢٧ قصيدة «صخرة الملتقى» التي نشرها - فيما بعد - في ديوانه الأول «الملاح التائه» (ص ١٨) وفيها يقول:

صخرة الملتقى أتيتك بعد الأين أشكو من الحياة أذاتى
أنا ذاك الشادى الذى نسلت ريش جناحيه هبة العاصفات
وهذه الحقائق التاريخية الواضحة تتناقض مع ما قاله صالح جودت في مقدمة ديوان ناجي (ص ١٦) حيث قال: «..وفي المنصورة نظم ناجي «صخرة الملتقى» التي تجدها في هذا الديوان، وبعث بها إلى السياسة الأسبوعية، وكان من أمهات الصحف الأدبية في ذلك العهد، فاحتفت بها الصحيفة ونشرتها في مكان كريم، وبدأنا نفعل ما فعل ناجي، بعد أن كنا نشفق من إرسال شعرنا إلى الصحف وأخذنا طريقنا منذ يومئذ إلى الناس، ثم ذكر صالح جودت (ص ٢١٠) إن شاعرنا ناجي «نظم هذه القصيدة في المنصورة حوالى عام ١٩٢٨ مع أن الحقيقة - هي كما بينت - أنها نشرت (أى بعد أن نظمت بطبيعة الحال)

في يوم ٦ أغسطس ١٩٢٧، على أن صالح جودت يبدو أقرب إلى الحقيقة من أحمد عبدالمعطي حجازي الذي جزم بأن ناجي «نشر في عام ١٩٢٠ أولى قصائده «صخرة الملقى» في جريدة «السياسة الأسبوعية» وهي يومئذ من أمهات الصحف الأدبية وكان يشرف عليها طه حسين والمازني وهيكل»، جزم حجازي بهذا ولم يتواضع بأن يقول «حوالي» كما فعل صالح جودت، ولم يبين لنا المصدر الذي رجع إليه في هذا إن كان هذا المصدر موجودا ولم يتسنّ لمثلي أن يطلع عليه...»

مهما يكن من أمر فإن ناجي اختصر أبيات قصيدته اختصارا عجيبا، ونشرها ثانية في العدد الرابع عشر في مجلة «الأسبوع» بتاريخ ٢٨ فبراير ١٩٢٤، ثم عاد فنشرها مرة ثالثة ضمن قصائد ديوانه «وراء الغمام» ولكن بعد أن رضي عن عدة أبيات كان قد حذفها من النص المنشور في مجلة «الأسبوع»، وقد صدرها بعبارة أصدق مما سبق أن قاله عندما نشر القصيدة لأول مرة، إذ قال، «صخرة بين البحر والصحراء كنا نتلاقى عندها ونستلهم البحر والصحراء أشعارنا» وقد نشرت القصيدة مرة رابعة ضمن ديوان ناجي، واعتمد المحققون

النص المنشور في «وراء الغمام» وليس في هذا مأخذ عليهم مادام الشاعر ارتضى ذلك النص وضمنه ديوانه وبطبيعة الحال فإن النص المنشور ضمن «قصائد مجهولة» هو النص الأول الذى يجعله قراء ناجي الجدد، بل القدامى أيضا ممن لم يقرأوا له غير دواوينه نفسها، والنص المنشور هنا يتألف من تسعة وثلاثين بيتا، بينما يتألف النص المنشور في مجلة الأسبوع من احد عشر بيتا أى أن الشاعر حذف منه ثمانية وعشرين بيتا، وأما المنشور في ديوان «وراء الغمام»، وهو نفسه المنشور في ديوان ناجي، فإنه يتألف من ستة عشر بيتا أى أن الشاعر حذف من النص الأول ثلاثة وعشرين بيتا هي: الرابع والخامس والسادس والثاني عشر، والأبيات من السابع عشر إلى التاسع والعشرين، والأبيات من الرابع والثلاثين إلى التاسع والثلاثين، وقد غير الشاعر نص الشطر الأول من البيت الثانى بحيث أصبح نصه في «وراء الغمام» و«ديوان ناجي»
فيا صخرة جمعت مهجتين
أفشاء إلى حسنهما المنتقى

أما نص الشطر الأول الذى يطالعه قارئ القصيدة هنا فهو:
فياكعبة شهدت هائمين.. أفاء ..

..*

٢- اللقاء - نشرت في جريدة «السياسة الأسبوعية» بتاريخ ١٢
نوفمبر ١٩٢٧ ص ٩ وقد ذيلها الشاعر باسم المدينة التي نظمها
فيها وهى «المنصورة» وقد نشرت هذه القصيدة فيها بعد -
ضمن قصائد «وراء الغمام» بعنوان «رجوع الغريب» بدلا من
«اللقاء»، كما أن ناجي استبقى منها سبعة عشر بيتا أى أنه
حذف ثمانية أبيات من النص الذى نشره هنا نقلا عن
السياسة الأسبوعية، والأبيات التى كان الشاعر قد حذفها هى:
الخامس والسادس والسابع والحادي عشر والثاني عشر والسابع
عشر والعشرون والثانى والعشرون والثالث والعشرون والرابع
والعشرون، وقد أبدل لفظة «المنشود» بلفظة «المعبود» في
الشطر الأول في البيت الرابع (يا ألقى المعبود سرك ذائع ...)
كما أنه أبدل لفظة «أحلامى» بلفظة «أيامى» في الشطر الأول
من البيت الخامس والعشرين (قضيت أيامى أضم خيالها)
٣- الشك، نشرت في عدد «السياسة الأسبوعية» الصادر

بتاريخ السبت ١٩ مايو ١٩٢٨ - ص ٢١ وتصدرتها مقدمة نشرية
هذا نصها، «كنا نتحدث عن الألم في ليلة ما فانبرى اديب
يذكر أن هناك نوعا من الألم الحقيقي لا يتذكر ان احدا من
الشعراء قد وصفه، ذلك الألم الذى لا نفهم سببه ونحن
ممتعين بكل ما نجب وبالغين مآربنا في لقاء احبابنا .. الخ ..
قلت اذكر اني قرأت شيئا من هذا للأستاذ العقاد في كلامه
عن المنفلوطى رحمه الله وقد أسماه ألم النفس الانسانية ..
وقال: هو ذلك الألم الذى يعترى المرء وهو شاعر تام المآرب ..
أما آلام الجوع والمرض فليست بإنسانية، بل يشترك فيها
الانسان والحيوان .. قال صديقى، لو حللنا ذلك الالم لوجدناه
مزيجا من الإحساس بالجراح القديمة وشكا في الحاضر إذا
قسناه بالماضى وما أثاره، وخوفا من المستقبل .. وتفكيراً في
الزمن المتقلب وسرابه الكاذب .. أليس جديراً بالشعران يصف
لنا الدموع في السعادة لا في الشقاء وأن يصف الشك فيها وهى
مقبلة طارئة لا نكاد نثق أنها هى بعينها، والتقىنا بعد يومين
فلفحت اليه بالقصيدة التالية:» وقد حذف الشاعر هذه
المقدمة عندما نشر القصيدة ضمن قصائد «وراء الغمام» وكتب

بدلاً منها مقدمة موجزة نصها: قد يظفر المرء بقرب حبيبه،
لكنه يشك في النعيم الذي لقيه، فيبكي في النعمة كما يبكي
في الشقاء»، ونص القصيدة كما نشرته السياسة الأسبوعية
يتألف من اثنين وعشرين بيتاً، استبقى الشاعر منها ثمانية
عشر بيتاً، وحذف أربعة هي: العاشر والسادس والسابع عشر
والحادي والعشرون، وقد أبدل الشاعر لفظة «ومشت» بلفظة
«وجرت» في الشطر الأول من البيت الرابع بحيث أصبح:
(وجرت يميني في عزير حالك ...)

٤ - خواطر الغروب - نشرت في عدد «السياسة الأسبوعية»
الصادر بتاريخ السبت ٢٢ نوفمبر ١٩٢٠، ولم يذيلها الشاعر
باسم المدينة التي نظمها فيها، لكنني أجزم بأنه قد نظمها في
الأسكندرية، إذ يبدو من خلال الإعلان المنشور بجريدة
«مسامرات عزمي» أن الشاعر قد افتتح عيادة في الإسكندرية،
وهذا هو نص الإعلان المنشور في العدد ٦٢ الصادر بتاريخ ٢٠
سبتمبر ١٩٢٠ أي قبل نشر قصيدة «خواطر الغروب» بأقل من
شهر: «الدكتور إبراهيم ناجي - اختصاصي في الأمراض

الباطنية والأطفال - شارع فؤاد الأول نمرة ٥ - الاسكندرية -
العبادة من ٨ - ١٠ صباحا و ٤ - ٧ مساء»، وفي هذا العدد ذاته
نشر ناجي قصيدة «في هيكل الهوى» التي ضمنها ديوانه «وراء
الغمام» بعد ذلك، وكان ناجي قد نشر قبل قصيدة «خواطر
الغروب» قصيدتين ذيلهما باسم المدينة التي نطمهما فيها
وهي الاسكندرية، هاتان القصيدتان هما «إهداء اشعار» وقد
نشرها في جريدة «السياسة الاسبوعية» بتاريخ ٦ سبتمبر
١٩٣٠ وقد صدر بها ناجي ديوانه «وراء الغمام» فيما بعد، وهذا
ما ضلل محققي ديوان ناجي على نحو ما ذكرت من قبل في
معرض حديثي عن الاخطاء التي وقع فيها محققو ديوان
ناجي، اما القصيدة الثانية التي ذيلها الشاعر باسم
الاسكندرية فقد نشرها في عدد «السياسة الاسبوعية» الصادر
بتاريخ ١٨ اكتوبر ١٩٣٠ وهي قصيدة «رباعيات الشاعر والعزلة»
وهي نفسها القصيدة التي نشرها في مجلة ابولو بعنوان «ليالي
ناجي - الشاعر والنهر» ثم ضمنها ديوانه «وراء الغمام» وأطلق
عليها «الليالي»، كما أن الشاعر ذيل قصيدته التالية لقصيدة
«خواطر الغروب» باسم مدينة الاسكندرية، وهذا ما يجعلني

اجزم بأن ناجي كان في الاسكندرية يعمل بها طيلة تلك
الفترة، فضلا عن أن قصيدة «خواطر الغروب» تتحدث عن
تأملات الشاعر عندما وقف أمام البحر مساء ..

والنص الذي نشرته «السياسة الأسبوعية» لهذه القصيدة
يتألف من ثمانية وعشرين بيتا، استبقى الشاعر منها سبعة
عشر بيتا عندما نشرها في عدد ديسمبر ١٩٢٣ من مجلة أبولو
- ص ٣٣١، ثم عاد فحذف بيتين آخرين عندما نشر القصيدة
في «وراء الغمام»، وهذان البيتان هما:

وكأنني أرى بعين خيالي

سأهر المقاتلين يغضى حياءً

وكان الوجود لم يحوِ

حسنه والطبيعة الحسنة

والحق أن الشطر الأول بنصه من ثاني هذين البيتين ليس
لناجي، وإنما لعلى محمود طه، ففي قصيدة «صخرة الملتقى»
«ص ١١٤» من ديوان «الملاح التائه» يطالع القاريء هذا البيت:

وكان الوجود لم يحوِ

ذلك الصخر رائع الجنبات

ومن الغريب أن عبدالعزیز الدسوقي قد نقل نص قصيدة «خواطر الغروب» من مجلة أبولو، ونقل بطبيعة الحال البيتين اللذين حذفهما ناجي من نص القصيدة في «وراء الغمام» وقد نقل عبدالعزیز الدسوقي نص القصيدة في ص ٤٥٢ من كتابه «جماعة أبولو» لكنه لم يتنبه الى البيتين المحذوفين ويبدو أنه لم يشغل نفسه بهذا خاصة وان دراسته ليست تحقيقا لنصوص أدبية وإنما هي دراسة شاملة لشعراء جماعة أبولو مجتمعين، والذي يجعلني أقرر أن الدارس لم يتنبه الى هذين البيتين هو الهامش الذي ذكر به قصيدة ناجي في كتابه ونصه: «مجلة أبولو - المجلد الثاني - ٣٣١ (ديسمبر سنة ١٩٣٣) وراجعها في ديوان وراء الغمام لناجي ص ٨٥ وما بعدها» .. إذا عدنا الى النص الذي ننشره ضمن «القوائد المجهولة» نقلا عن «السياسة الاسبوعية» فإننا سنجد أن الأبيات التي حذفها ناجي هي الخامس والسادس والسابع، ثم الأبيات من السادس والعشرين الى الثامن والعشرين، وقد أبدل الشاعر لفظة «ولعل» بلفظة «وكأن» في الشطر الاول من البيت الرابع والعشرين بحيث أصبح (وكأن القضاء يسخر مني

(.. ثم غير ناجي نص البيت الخامس والعشرين من صورته
التالية:

فليدعني القضاء أبكى لأشفي

لم تدع ذلة الهوى كسبرياء

غير الشاعر هذا البيت إلى هذه الصورة:

ويح دمعي وويح ذلة نفسي

لم تدع لي أحداثه كسبرياء

٥- المساء - نشرت لأول مرة في مجلة «الرسالة» عدد ١٦
سبتمبر ١٩٣٥، ثم نشرت مرة ثانية ضمن ديوان «ليالي
القاهرة» - ص ٨٦ من الطبعة الأولى، وبمراجعة النص المنشور
في «الرسالة» ومقارنته بالنص المنشور في الديوان، يتبين لنا
أن ناجي قد أجرى تغييرات عديدة كما حذف أبياتا عديدة
أيضا من النص المنشور في الديوان، فالنص الذي نشره في
«الرسالة» ييتألف من اثنين وعشرين بيتا، أما النص الذي

نشره ضمن ديوان «ليالى القاهرة» فيتألف من إثني عشر بيتا،
أى أنه حذف عشرة أبيات من النص الاول.

٦- الأطلال «الضائعة» - نشرت هذه القصيدة في مجلة
«الحديث» الحلبية - عدد يوليو - تموز عام ١٩٣٧ - ص ٤٨٠،
والنص المنشور في «الحديث» يتألف من إثني عشر بيتا، لم
ينشر ناجي منه في «ليالى القاهرة» غير أربعة أبيات بعد ان
عدل فيها أيضا، ولهذا فقد اخترت أن اسميها الأطلال الضائعة
تمييزالها عن نص الأطلال المنشور ضمن ديوان «ليالى
القاهرة».

٧- بعد الشباب - نشرت في العدد الخامس من المجلد الثالث
عشر من «مجلتى» - ٢٧ نوفمبر ١٩٣٨ - ص ٢١٩، وقد تحدثت
عن هذه القصيدة في معرض حديثي عن الأخطاء التى وقع
فيها محققو ديوان ناجي.

٨- أنوار - نشرت في مجلة «الرسالة» الصادر بتاريخ ٤

ديسمبر ١٩٢٩ ص ٢٢٢٦، وتصدرتها عبارة تقول إنها «مهداة إلى الأستاذ خليل شيبوب»، والقصيدة منشورة في «ليالي القاهرة» ضمن ما أطلق عليه الشاعر اسم «ملحمة ليالي القاهرة» والنص الذي ننشره هنا نقلا عن «الرسالة» يتألف من سبعة عشر بيتا، أما النص المنشور في «ليالي القاهرة» فيتألف من عشرة أبيات أي أن الشاعر حذف سبعة أبيات من التاسع إلى الثاني عشر ..

٩- أحلام سوداء - نشرت في «الرسالة» وبتاريخ ١١ ديسمبر ١٩٢٩ - ص ٢٢٧٠ - ونص القصيدة يتألف من اثنين وعشرين بيتا، وقد حذف منه الشاعر ستة أبيات عندما ضمنه «ليالي القاهرة»، أما الأبيات المحذوفة فهي الرابع والخامس والسادس والرابع والثاني والعشرون.

١٠- اثنان في سيارة - نشرت في عدد ٢٦ فبراير عام ١٩٤٠ من مجلة «الرسالة» وشم نشرت ضمن قصائد ديوان «ليالي القاهرة»، والنص المنشور في «الرسالة» يتألف من أربعة عشر

بيتا، بينما يتألف النص المنشور في الديوان من عشرة أبيات،
أى ان الشاعر قد حذف أربعة أبيات من النص الأول، كما أجرى
عدة تعديلات فى الألفاظ على نحو ما يتبين لمن يراجع
النصين فى الاعمال الشعرية الكاملة، وهذه الأعمال الشعرية
المختارة.

١١ - الربيع - عام ١٩٤٠ - نشرت فى مجلة «الطالبة» عدد أبريل
عام ١٩٤٠ بعنوان «الربيع»، وقد أضفت عام ١٩٤٠ إلى العنوان
تميزا للقصيدة عن غيرها من قصائد ناجى التى تحمل نفس
العنوان.

١٢ - صخرة المكس - نشرت فى العدد ٣٥٦ من «الرسالة» وهو
العدد الصادر بتاريخ ٢٩ أبريل ١٩٤٠ - ص ٧٣٩، وقد تحدثت من
قبل عن هذه القصيدة فى معرض حديثى عن تأثرات ناجى
بمن أعجب بهم من الشعراء، وذلك فى مقدمة الطبعة الأولى
من «قصائد مجهولة».

١٣ - ليلة من ليالى القاهرة - نشرت هذه القصيدة فى عدد
الثلاثاء ٢٢ أبريل عام ١٩٤١ من مجلة «الثقافة»، ثم نشرها
ناجى ضمن ديوان «ليالى القاهرة» بعنوان «لقاء فى الليل» ص
٢٥، والنص المنشور فى «الثقافة» يتألف من اثنين وخمسين
بيتاً، أى أن ناجى حذف اثنين وعشرين بيتاً من النص الاول
الذى نشرته «الثقافة» وهذا النص هو الذى ينشر هنا ضمن
«قصائد مجهولة» التى تشتمل عليها الأعمال الشعرية الكاملة
لناجى، وكذلك هذه الأعمال المختارة.

١٤ - الميعاد الضائع - نشرت فى العدد ٤٢١ من «الرسالة» وهو
العدد الصادر بتاريخ ٢٨ يوليو ١٩٤١ - ص ٩٦٠، والنص منشور
تحت عنوان: «ليالى القاهرة» ويتألف من ستة وعشرين بيتاً،
استبقى الشاعر منها ثمانية عشر بيتاً، وحذف ثمانية أبيات
هى الأبيات من الخامس إلى الثانى عشر من النص المنشور
ضمن «القصائد المجهولة» نقلاً عن «الرسالة» ..

١٥ - الكأس - نشرت فى العدد ٤٢٤ من «الرسالة» وهو العدد

الصادر بتاريخ ١٨ اغسطس ١٩٤١ - ص ١٠٤٧، والنص منشور تحت عنوان «ليالى القاهرة» ويتألف من اثني عشر بيتا حذف منه ناجى بيتين هما الثالث والعاشر وذلك عندما ضم القصيدة الى ديوانه «ليالى القاهرة» بعد ذلك، والحق اننى ما كنت اريد ضم هذه القصيدة الى هذه المجموعة من «القصائد المجهولة» لأن الشاعر لم يحذف سوى بيتين كان من الممكن الإشارة اليهما فى مقدمتي ولكن الذى دفعنى دفعا الى ضمها كاملة هو تلاعب الشاعر فى ترتيب أبيات النص المنشور فى الديوان وهو تلاعب غريب حقا:

١ - البيت الاول من النص المنشور فى «الرسالة» هو البيت السابع من النص المنشور فى ديوان «ليالى القاهرة» وص ٣٤٩ من ديوان ناجى ..

٢ - البيت الثانى من النص المنشور فى «الرسالة» هو الثامن من النص المنشور فى «ليالى القاهرة».

٣ - البيت الثالث من النص المنشور فى «الرسالة» حذفه الشاعر كما ذكرت.

٤ - البيت الرابع هوالتاسع.

٥ - البيت الخامس هو العاشر.

٦ - البيت السادس هو الأول.

٧ - البيت السابع هو الثاني.

٨ - البيت الثامن هو الثالث.

٩ - البيت التاسع هو الرابع.

١٠ - البيت العاشر حذفه الشاعر كما ذكرت.

١١ - البيت الحادي عشر هو الخامس

١٢ - البيت الثاني عشر هو السادس، وقد أبدل الشاعر فيه

لفظة «الفناء» بلفظة «الزمان» بحيث أصبح «غال الزمان

ضبابها وحبابها» كما أنه قدم الضباب على الحباب على عكس

ما فعل في النص الأول وهو «غال الفناء حبابها وضبابها»..

١٦- الورد - نشرت في العدد السابع من مجلة «العمارة» عام

١٩٤٢، وقد سبق أن تحدثت عنها من قبل

١٧ - قلق - نشرت في عدد يناير عام ١٩٤٢ من مجلة

«الحديث» الحلبية، وهي تنشر هنا لأول مرة ضمن الأعمال

الشعرية الكاملة لناجي كما تنشر للمرة الثانية ضمن هذه الأعمال المختارة.

١٨ - غيوم - نشرت في العدد الثالث من السنة السابعة عشرة من مجلة «الحديث» وهو العدد الصادر في آذار (مارس) ١٩٤٣، وقد نشرت لأول مرة في الأعمال الشعرية الكاملة، وتنشر في هذا الكتاب للمرة الثانية.

١٩ - القمر - نشرت في عدد يوليو عام ١٩٤٦ من مجلة «الطالبة» مع قصيدة ثانية لناجي في نفس العدد بعنوان «خسوف القمر» وقد نشرت القصيدة لأول مرة ضمن الأعمال الشعرية الكاملة لناجي وللمرة الثانية ضمن هذه الأعمال المختارة.

٢٠ - أمل - نشرت في عدد ١٠ يناير عام ١٩٤٩ من مجلة «العالم العربي» ولدى نسخة احتفظ بها من هذا العدد، كانت الشاعرة أماني فريد قد أهدتها لي، لأن القصيدة ذاتها موجهة

إليها، وقد نشرت القصيدة لأول مرة ضمن الأعمال الشعرية
الكاملة لناجي ..

٢١- على ضفاف النيل - نشرت في عدد مايو عام ١٩٤٩ من
مجلة «الطالبة» وقد نشرت لأول مرة ضمن الأعمال الشعرية
الكاملة لناجي ..

٢٢ - عاصفة غضب - لم تنشر هذه القصيدة في أي ديوان
من دواوين ناجي، وقد نشرت مرة واحدة في إحدى المجلات
الأدبية وهي مجلة «الحديث الحلبي» - عدد فبراير ١٩٥٢ أي
قبل شهر واحد من رحيل ناجي عن عالمنا ..

٢٣- بايعت حسنك - نشرت للمرة الأولى في مجلة «مجلتي» -
عدد أول يناير عام ١٩٣٦، وقد اشار إليها الباحث الجاد الاستاذ
مصطفى يعقوب في دراسته التي أسماها «الأعمال الشعرية
الكاملة لإبراهيم ناجي- ملاحظات ونصوص مجهولة» وقد
أبدلت العنوان الأصلي للقصيدة من «مبايعة» التي قد ترتبط

بالسياسة وليس بالحب إلى «بايعت حسنك».

٢٤- صخور وأشواك - نشرت للمرة الأولى في مجلة «مجلتي» -
عدد أول يناير عام ١٩٣٦، وهو نفس العدد الذي نشرت فيه
القصيدة السابقة وقد أورد نصها مصطفى يعقوب في دراسته.
٢٥- إلى أم كلثوم- ألقى ناجي هذه القصيدة مساء يوم ٢٢
أكتوبر عام ١٩٤٩ بمعهد الموسيقى العربية، ضمن المهرجان الذي
أقيم به احتفالاً بعودة كوكب الشرق إلى مصر بعد رحلة
طويلة خارجها، وقد شارك في ذلك المهرجان كل من عباس
محمود العقاد وعزيز أباظة وكامل الشناوي وبديع خيرى
وبيرم التونسي، وتنشر هذه القصيدة للمرة الأولى ضمن هذه
«الأعمال الشعرية المختارة»، وقد اخترت لها العنوان، وهي
القصيدة إشارة إلى فكرة لم تتحقق فعليا وقتها، تتمثل في
إقامة تمثال لأم كلثوم.

• صدر للشاعر حسن توفيق •

•• شعر ••

- ١- الدم في الحدائق - طبعة أولى - سنة ١٩٦٩.
- ٢- أحب أن أقول لا - طبعة أولى - سنة ١٩٧١.
- ٣- قصائد عاشقة - طبعة أولى - سنة ١٩٧٤.
- ٤- حينما يصبح العلم سيفا - طبعة أولى - سنة ١٩٧٨.
- ٥- انتظار الآتي - طبعة أولى - سنة ١٩٨٩.
- ٦- قصة الطوفان من نوح إلى القرصان - طبعة أولى - سنة ١٩٨٩.
- ٧- وجهها قصيدة لا تنتهي - طبعة أولى - سنة ١٩٨٩.
- ٨- ما رأه السندباد - طبعة أولى - سنة ١٩٩١.
- ٩- ليلى تعشق ليلى - طبعة أولى - سنة ١٩٩٦.
- ١٠- الأعمال الشعرية - طبعة أولى - سنة ١٩٩٨.
- ١١- عشقت اثنتين - طبعة أولى - ١٩٩٩.
- ١٢- غبار على صورة القدس - يصدر قريبا.

••دراسة وتحقيق••

- ١- اتجاهات الشعر الحر - طبعة أولى - سنة ١٩٧٠.
- ٢- إبراهيم ناجي: قصائد مجهولة - طبعة أولى - سنة ١٩٧٨
- ٣- شعر بدر شاكر السياب - دراسة فنية وفكرية - طبعة أولى سنة ١٩٧٩.
- ٤- أزهار ذابلة وقصائد مجهولة للسياب - طبعة أولى - سنة ١٩٨٠.
- ٥- جمال عبدالناصر - الزعيم في قلوب الشعراء - طبعة أولى - سنة ١٩٩٦.
- ٦- الأعمال الشعرية الكاملة للدكتور إبراهيم ناجي - طبعة أولى - سنة ١٩٩٦.
- ٧- الأعمال النثرية الكاملة للدكتور إبراهيم ناجي - طبعة أولى - سنة ٢٠٠١.
- ٨- رحلات شاعر عاشق - طبعة أولى - سنة ٢٠٠١.
- ٩- جمال عبدالناصر - الزعيم في قلوب الشعراء - طبعة موسعة - سنة ٢٠٠٢.
- ١٠- الأعمال الشعرية المختارة للدكتور إبراهيم ناجي - طبعة أولى - سنة ٢٠٠٣.

الفهرس

٧	* قبل أن ابدأ.. وقبل أن تقرأ - مقدمة
٢٥	* ناجي.. الحياة - الحب - الموت - دراسة حسن توفيق
١٦١	• من روائع إبراهيم ناجي
١٦٢	١- العودة
١٦٧	٢- المآب
١٧٠	٣- ساعة لقاء
١٧٥	٤- الناي المحترق
١٧٦	٥- الوداع
١٨٠	٦- خواطر الغروب
١٨٢	٧- الغد
١٨٨	٨- فرحة جديدة
١٩٠	٩- إلى س
١٩٢	١٠- الأطلال
٢١٠	١١- رواية
٢١١	١٢- ياس على كأس
٢١٤	١٣- عاصفة روح
٢١٦	١٤- انكري
٢١٧	١٥- رسائل محترقة
٢١٨	١٦- الغريب

الفهرس

٢٢٠	١٧- كل الورى
٢٢٢	١٨- السراب في السجن
٢٢٦	١٩- المنصورة
٢٢٨	٢٠- عينان
٢٣١	٢١- خمر الرضا
٢٣٢	٢٢- الخريف
٢٤٦	٢٣- زازا
٢٥١	٢٤- ظلام
٢٦٣	٢٥- رباعيات
٢٧٥	* من القصائد المجهولة لناجي
٢٧٧	١- صخرة الملقى
٢٨٠	٢- اللقاء
٢٨٢	٣- الشك
٢٨٤	٤- خواطر الغروب - النص الأول
٢٨٦	٥- المساء
٢٨٨	٦- الأطلال الضائعة
٢٨٩	٧- بعد الشباب
٢٩٠	٨- أنوار
٢٩٢	٩- أحلام سوداء

الفهرس

٢٩٤	١٠- أثنان في سيارة
٢٩٦	١١- الربيع سنة ١٩٤٠
٢٩٨	١٢- صخرة المكس
٣٠٢	١٣- ليلة من ليالي القاهرة
٣٠٩	١٤- الميعاد الضائع
٣١٢	١٥- الكأس
٣١٥	١٦- الورد
٣١٦	١٧- فلق
٣١٨	١٨- غيوم
٣١٩	١٩- القمر
٣٢١	٢٠- أمل
٣٢٢	٢١- على ضفاف النيل
٣٢٤	٢٢- عاصفة غضب
٣٢٥	٢٣- بايحتُ حسنك
٣٢٦	٢٤- صخور وأشواك
٣٢٧	٢٥- إلى أم كلثوم
٣٢٩	• مصادر القصائد المجهولة

٨١١.٦ إبراهيم ناجي.

الأعمال الشعرية المختارة / إبراهيم ناجي : تحقيق
ودراسة حسن توفيق . - الدوحة : المجلس الوطني
للثقافة والفنون والتراث ، ٢٠٠٣ .
٢٥٥ ص : ٢٠ سم .

رقم الايداع بدار الكتب القطرية : ٢٠٠٣ / ١٢
الرقم الدولي (ردمك) : ٨-٨٧-٢٠-٩٩٩٢١

رقم الايداع بدار الكتب القطرية

٢٠٠٣ / ١٢ م

الرقم الدولي (ردمك) : ٨-٨٧-٢٠-٩٩٩٢١



المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث

ص.ب ١٤٥١ - الدوحة - قطر - تيلفون ٤١٠٢٠٤١





إبراهيم ناجي

الأعمال الشعرية المختارة

تضم هذه الأعمال الشعرية للشاعر الكبير الدكتور إبراهيم ناجي خمسين قصيدة، اختارها الشاعر حسن توفيق، وقسمها إلى مجموعتين، تشتمل أولاهما على خمس وعشرين قصيدة من روائع ناجي، من بينها النص الكامل للأطلال والعودة والخريف، أما المجموعة الثانية فإنها تشتمل على خمس وعشرين قصيدة من القصائد المجهولة، من بينها ثلاث قصائد تنشر للمرة الأولى في هذا الكتاب الذي تصدره مقدمة ودراسة نقدية، كتبهما حسن توفيق، وتناول فيهما جوانب جديدة تتعلق بعلامح العالم الشعري لشاعر الحب والأطلال إبراهيم ناجي الذي كان وما يزال مرموقا على امتداد الساحة الأدبية العربية، لكن شهرته الجماهيرية الفائقة لم تتحقق إلا بعد أن غنت له أم كلثوم سنة ١٩٦٦ ما اختارته من «الأطلال».

Bibliotheca Alexandrina



0449519



To: www.al-mostafa.com